وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 2

قسم التاريخ

فرقة بحث *CNEPRU*

الرمز (رقم التسجيل) 006120130014

مسؤولة المشروع: ويزة أيت عمارة

مملكة نوميديا من الحرب البونيقية الثانية الى الاحتلال الروماني

(دراسة سياسة عسكرية، اقتصادية واجتماعية)

من اعداد:

أيت عمارة ويزة

سي الهادي ذهبية

أسعون ردابح

أيخربان محند أكلي

2019-2018

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 2

قسم التاريخ

فرقة بحث *CNEPRU*

الرمز (رقم التسجيل) 006120130014

مسؤولة المشروع: ويزة أيت عمارة

مملكة نوميديا من الحرب البونيقية الثانية الى الاحتلال الروماني

(دراسة سياسة عسكرية، اقتصادية واجتماعية)

من اعداد:

أيت عمارة ويزة

سي الهادي ذهبية

أسعون رابح

ايخربان محند أكلي

2019-2018

قائمة المختصرات

ANRW: Aufstieg und Niedergang der römischen Welt

AFAS *:* Association française pour l'avancement des sciences

Afr. Rom *:* Africa Romana

AMG *:* Arts et métiers graphiques

AntAfr. : Antiquités Africaines

BAC *:* Bulletin archéologique du comité

BCTHS *:* Bulletin Archéologique du comité des travaux historique et Scientifique

B.S.G.A.O **:** Bulletin de la société de géographie et d'archéologie d'Oran

C.I.C : Congrès international d'archéologie chrétienne

C.I.L : Corpus des Inscriptions Latines

CRAI *:* Comptes rendus de l'académie des inscriptions

CNRPAH *:* centre national de recherche préhistorique, anthropologique et historique, Alger)

CRAPE : Centre de recherche en anthropologie, préhistoire et ethnographie

Doss. Arch *:* dossiers d'archéologie

EB *:* Encyclopédie Berbère

EFR *;* Ecole française de Rome

EOS : Comment. Soc. Philol. polonorum (Wroclaw). Fusionné avec KwarKlas

HAAN *:* Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord

HGA *:* Histoire générale de l'Afrique

HN *:* Histoire naturelle

JRS : Journal of Roman Studies (Londres)

LAPMO : laboratoire d'anthropologie et de préhistoire des pays de la Méditerranée occidentale

MEFR *:* Mélanges de l'Ecole française de Rome.

RA : Revue africaine

RHCM *: Revue d'histoire et de la civilisation du Maghreb*

RSAC *:* Recueil de la société archéologique de Constantine

مقدمة

لقد اعتادت المصادر القديمة والدراسات التاريخية الحديثة تناول تاريخ منطقة شمال إفريقيا، على أساس تعاقب المحتلين عليها، وإبراز دورهم الايجابي فيها، وغض النظر عن الجانب السلبي لهم، ولا يذكرون الأفارقة إلا مجازا، بل وصفهم البعض بالهمجيين يعيشون على شكل قبائل متناحرة، في حين ذهب الآخرون إلى اعتبارهم شعوبا لها قابلية للاستعمار وانه لن تستقيم لها الحياة دونه.

والسؤال الذي يطرح نفسه، ما مدى صحة هذا القول؟ وكيف نفسر وجود ممالك مستقلة، والدور الهام والبارز الذي لعبته في الحروب البونية، والمكانة الحضارية التي احتلتها ضمن دول البحر الأبيض المتوسط أنداك؟

وسنحاول أن نطرق من خلال هذا البحث الى احدى هذه التساؤلات ضمن العنوان التالي:

"مملكة نوميديا من الحرب البونيقية الثانية الى الاحتلال الروماني (دراسة سياسة عسكرية، اقتصادية واجتماعية)".

لهذا الموضوع أهميته نظرا للإطار التاريخي الذي ظهرت فيه نوميديا اي القرن الثالث ق.م، وبذلك تكون قد عايشت الحروب البونيقية التي تمثل اطول صراع عرفه التاريخ القديم بين ضفتي البحر المتوسط بين القوة القرطاجية والرومانية. وقد جاء ذكر نوميديا في المصادر المختلفة للمؤرخين الاغريق والرومان، الذين لم يكونوا ليتناولوا التاريخ النوميدي لولا اهتمام القوى المتصارعة بكسب ود ودعم الممالك النوميدية ولان نوميديا شاركت وغيرت من مجريات الصراع القرطاجي الروماني، حيث قام ماسينيسا ملك نوميديا الموحدة بالدخول في نزاعات شديدة مع الجوار القرطاجي الامر الذي عجل في سقوط قرطاجة.

تشهد هذه المصادر بشجاعة فرق الفرسان النوميدية وحسن تنظيمها، غير ان المؤلفات الكلاسيكية الاغريقية واللاتينية لم تتكلم بصفة مباشرة عن حضارة نوميديا وتاريخها الذي ربطته بتاريخ غيرها. ولم نعثر على كتابات للأفارقة تجعلنا نطلع على تاريخها. فظل تاريخها مجهول إلى فترة الاحتلال الأوروبي للمنطقة خلال القرن التاسع عشر عندما حاول الأوروبيون الكشف عن الآثار القديمة للمنطقة، غير أن جهودهم تركزت أساسا على دراسة تاريخ الرومان واستغلوا هذا الرصيد الحضاري لفرض سياستهم التوسعية وكما طغت على كتاباتهم الإيديولوجية الاستعمارية وكان معظم الذين دونوا هذا التاريخ عسكريين وإداريين، كلهم تأثروا بتاريخ الحضارة الرومانية فأخذوا يعظمونها ويستغلونها في تبرير أعمالهم الاستعمارية ويصفون الرومان بالقوة والتحضر والأفارقة بالبداوة والترحال.

فهدف دراستنا هو التعريف بنوميديا وبشعوبها وتوضيح مختلف زوايا تاريخها وبالتالي فهم مكونات هذا التاريخ الحضارية التي لم تتناولها الدراسات بدقة ولتحقيق ذلك يجب التطرق الى المحاور الآتية:
يتناول المحور الأول، التنظيم السياسي وألياته في نوميديا قبل الاحتلال الروماني، ، سندرس فيه زاويتين من التاريخ المغاربي القديم وهما التاريخ السياسي و العسكري للمنطقة في ظل ما عرف بحقبة الممالك الافريقية، يتبين منذ الوهلة الاولى اهمية و صعوبة الموضوع في ان واحد وذلك لقلة الكتابات التي تناولت تاريخ هذه الممالك وصعوبة التعمق في جذور هذه الانظمة السياسية بمعزل عن مجريات الصراع القرطاجي الروماني و الازمات الرومانية ،فكل ما نعرفه عن التاريخ السياسي و العسكري لهذه الممالك كان مرتبطا سواء بقرطاجة او بروما، وأهمل الكتاب القدامى لهذه الجوانب من تاريخ االمنطقة، اذ لم يتحدثوا عن الجانب السياسي و الجانب العسكري للمغاربة الا في جزئه المتعلق و المرتبط بتاريخهم، وجاء في مجموعة اشارات منثورة في اعمالهم. لكن لا نملك حول الموضوع سوى هذا النوع من الاعمال أمام غياب كتابات الافارقة تجعلنا نطلع على حقيقة أنماط معيشتها وبالتالي ينبغي إعادة النظر في الدراسات الغربية وتناولها من المنظور الافريقي وهو هدف هذه الدراسة.

يهتم المحور الثاني بالتطورات الاقتصادية للممالك النوميدية من نشأتها الى الاحتلال الروماني ونتعرف من خلاله على المجتمع النوميدي الذي كان يعتمد على الزراعة كأهم أنشطته الاقتصادية، وذلك نظرا لما توفرها الارض للنوميديين من مصادر اقتصادية حيوية ونفوذ اجتماعي وسياسي.

وعرف الافارقة القدمى النشاط الاقتصادي قبل وصول الفينيقيين الى المنطقة، حيث ساعدتهم عوامل شتى على قيام النشاط الاقتصادي وتتمثل أساسها في توفير الاستقرار السياسي، هذا ما نستشفه من خلال الحكم الطويل لبعض الملوك النوميديين والسياسة الزراعية التي انتهجها هؤلاء المتمثلة خاصة في استصلاح الاراضي وتشجيع الفلاحة. ويكفي النظر الى ما سخرت نوميديا من ثروات وامكانيات اقتصادية خلال الحروب البونيقية لخدمة الاطراف المتصارعة.

إذا كانت الفلاحة أساس الاقتصاد النوميدي، فان هذا لا يعني غياب الأنشطة الاقتصادية الأخرى، فقد عرف المجتمع النوميدي تنوعا في الأنشطة الاقتصادية، فنشطت وتنوعت الحرف والمهن ونذكر من بينها صناعة الفخار والاواني بأشكالها المختلفة، كما نجد صناعة الحلي والصناعة النسيجية والأسلحة. واستعمل النوميديون في أول الأمر المقايضة في المبادلات الاقتصادية حيث كان الرعاة على سبيل المثال

يقدمون الصوف والجلود مقابل الحصول على الحبوب. ثم تحول الاقتصاد النوميدي من اقتصاد مقايضة الى اقتصاد نقدي بدءا من الملك سيفاكس الذي يعد أول ملك نوميدي صك العملة وتطورت العملة في عهد ماسينيسا واستعملت في عهده النقود البونزية ويعتبر يوبا الأول أول من صك العملة الفضية.

وإذا كانت لنوميديا حضارة متطورة فإننا لا نستطيع انكار التأثيرات الأجنبية التي عرفتها هذه الحضارة والتي مست كل ميادينها، وهي مجموعة من النقاط التي نتعارف عليها من خلال هذه الدراسة.

يتضمن المحور الثالث الحياة الاجتماعية في نوميديا من الحرب البونية الثانية إلى بداية الاحتلال الرومانى، فبالرغم من سكوت المصادر عن اسهامات النوميديين الحضارية إلا أن لهؤلاء حياة اجتماعية حيث عرفت نوميديا تنظيما اجتماعيا منذ أقدم العصور، هذا التنظيم الذي كان في البداية أسريا، فالعائلة كانت الخلية الأصلية في المجتمع وتميزت بمتانة الروابط بين أفرادها ولكبير القوم سلطة مطلقة على كافة أفراد العائلة. انتظم النوميدي بعد ذلك في كفيدراليات من القرى والقبائل وكان الدافع الاقتصادي وراء توسيع التنظيم الاجتماعي المعروف بالعائلة الى تنظيم أخر أوسع وأقوي يعرف بالتنظيم القبلي، الذي هو بمثابة دول صغيرة وحدت صفوفها للدفاع والهجوم، لكن غالبا ما تحدث تصدعات قبلية ونزاعات ولم تكن العلاقات مستقرة بين القبائل النوميدية، لذلك فقد افتقدت للسلم ولعل هذا عائد الى تضارب في المصالح القبلية. ومن التجمعات أو الاتحادات القبلية هذه، تطورت الممالك، التي نشأت حسب البعض عن طريق القسر والغلبة حيث يجمع بعض القواد قبائل عديدة تحت سلطانه بما له من هيبة وقوة. وتمسكها الشديد لعاداتها وتقاليدها جعل الاستعمار الروماني يفشل في فرض سياسته الاستبدادية في المنطقة.

أما بالنسبة للمقومات الدينية والعقائدية، فلم تكن ديانة النومديين في البداية سوى ديانة زراع ورعاة قبل كل شيء، وكانت متجهة نحو وقاية الحقول والمحاصيل ووفرتها وجودة القطعان والمواشي. وهنا نجد شعور القداسة عندهم يتبلور حول عدد كثير من الأشياء المختلفة. والهدف من هذا العنصر هو معرفة نظرتهم الدينية وأهم العناصر المشكلة لها.

كما ان احتكاك النوميديين بشعوب البحر المتوسط خاصة منها الفينيقيين واليونانيين وتعرض بلاد هم للاحتلال الروماني أدى إلى حدوث امتزاج حضاري وتأثير متبادل في مختلف المجالات خاصة منها

الدينية والعقائدية، حيث استعاروا بعض معتقداتهم وعباداتهم مما جعل بعض المؤرخين يتحدثون عن أصل المعتقدات الدينية في بلاد المغرب القديم.

أن المصادر التي نعتمد عليها في دراسة موضوع بحثنا هذا تتميز، كما أشرنا أعلاه، بالغموض وانعدام الموضوعية وهي أيضا غير مباشرة حيث لم يكن هدفها دراسة تاريخ سكان شمال إفريقيا بل كان كتابة تاريخ الإغريق أو الرومان، أما بالنسبة للكتابات الحديثة فقد انطلقت هذه الأخيرة من مبدأ أن نوميديا المستقلة كغيرها من الممالك الإفريقية القديمة، لم يكن لها كما ذكرنا أي تأثير في مجرى الأحداث بل اكتفت بالتأثر بالأحداث التي صنعها الغير. غير أننا لا نملك حول تاريخ هذه الفترة التاريخية سوى هذا النوع من الأعمال وبالتالي ينبغي إعادة النظر فيها مثلما سبق لنا الذكر.

ومن أهم النصوص الأدبية التي نملكها حول موضوع بحثنا، نذكر كتابات بوليبويوس وتيت ليف وأبيانوس وبليترك وسالستيوس والقصير واغوسطين وتاسيت فهي المصادر المعاصرة للأحداث.

ونظرا لنقص المصادر الأدبية فإننا نستعين بالمصادر الأثرية التي بإمكانها سدّ عجز النصوص القديمة ومن أهمها النصب التذكارية التي أقامها الملوك وجنودهم والتي عثر عليها في مناطق من الوطن إضافة إلى القطع النقدية التي لا تقل أهمية عن سلفتها علما أنها صادرة عن النوميديين أنفسهم، على الرغم من صعوبة فرزها وتحديد فترتها الزمنية أحيانا. كما توجد هناك مصادر أخرى كالأواني الجنائزية التي عثر عليها في المعابد الجنائزية الخاصة بملوك تلك الفترة. بالإضافة إلى مصادر أخرى ومراجع أساسية التي نتطرق اليها عند دراسة محاور الموضوع.

والهدف من الدراسة هو إعطاء رؤية جديدة حول الموضوع وتصحيح بالأخطاء التي وقعت فيه بعض الكتابات سواء الكلاسكية منها أو الحديثة.

المحور الأول

التنظيم السياسي وألياته في نوميديا قبل الاحتلال الروماني

ان البحث في تاريخ الشمال الافريقي القديم عامة مازال يستقطب العديد من الباحثين الذين اشتغلوا بدراسة تاريخ المنطقة في المرحلة القديمة، التي شهدت تعاقب حضارات لغزاة مختلفين من فينيقيين و اغريق و رومان، والملاحظ حول تلك الدراسات و الابحاث لاسيما الغربية منها ميلها الى تأكيد الاصول الاجنبية للحضارة المغربية او تأخر الحضارة في هذا الجزء من العالم الى غاية وصول الاجانب الذين نقلوا معهم الحضارة، فالمغاربة تبنوا انظمة الغير في الادارة و حتى في اسلوب و طرق المعيشة، وان كان هذا ما ذهبت اليه الدراسات الحديثة فلانها لم تجد في النصوص القديمة تحليلا لحياة هذه الشعوب قبل ارتباط تاريخها بتاريخ القادمين الاجانب، وعن ما نلاحظه في الابحاث المتعلقة بتاريخ المنطقة هو تجاهل الدارسين للفترة السابقة للعهد الفينيقي وهي التي تمثل اساس ومنطلق الحضارة الافريقية.

ونهدف من خلال الموضوع التعرف على المؤسسة السياسية وأليات لدي المغاربة والتي تمثلت في النظام الملكي والذي كما سنرى من خلال اوراق هذا البحث انه لم يكن مستمدا من الجوار القرطاجي، وسنرى ايضا كيف شارك المغاربة في تلك الرهانات المختلفة التي شهدها العالم القديم آنذاك، وكيف كانت نهاية هذا النظام السياسي بعد صموده الطويل امام سياسة الرومان.

جاء هذا العمل في عدة فصول بعد الفصل الأول حول: البيبليوغرافية المتعلقة بموضوع الدراسة اما الفصل الثاني: فكان للتعريف بالممالك الليبية القديمة و البحث في اصول تكوينها وفي علاقة اهم الملوك بالعالم الروماني وعلاقتهم بقرطاجة في افريقيا، اما الفصل الثالث: فبحثنا فيه عن النظام السياسي السائد في بلاد المغرب القديم وعن اليات السلطة و النظام والتي تمثلت في القوة العسكرية ، اما الفصل الرابع فقد كان للتعريف بأحد مظاهر ورموز النظام السياسي عند النوميديين والذي تمثل في اقامة وتشييد المدن باختلاف اصنافها ووظائفها، اما الفصل الخامس فقد خصصناه لأليات السلطة في نوميديا ولتلك الثورات التي قام بها المغاربة والتي عبرت عن رفضهم لجميع اشكال التواجد الروماني في المنطقة سواء بصيغه الغير مباشرة او المباشرة التي نتج عنها القضاء على الحكم الوطني في المنطقة.

واعتمدنا على قائمة من المصادر ومجموعة من المراجع كانت اهمها لكتاب اغريق وروما ن امثال بوليبيوس وسالوستيوس، ومراجع تمثلت في اعمال قزال وكامبس ومجموعة من المقالات والبحوث والدراسات الحديثة لعدد من الباحثين والتي حرصنا على الاستفادة منها في انجازنا لهذا العمل.

الفصل الأول

المصادر والبيبليوغرافيا المتعلقة بالتاريخ السياسي والعسكري لنوميديا

يعتمد المؤرخ في دراسته لتاريخ بلاد المغرب القديم على العديد من المصادر، التي تأتي في مقدمتها المولفات اليونانية والرومانية تليها المصادر الأثرية فالكتابات المستحدثة.

يجد الباحث في تاريخ المغرب القديم عامة و الفترة النوميدية خاصة، نفسه امام كم من المعلومات المتفرقة الواردة في الأعمال الكلاسيكية الإغريقية و الرومانية ، هذه الاخيرة التي ذكرت شذرات متعلقة بتاريخ الأمة النوميدية السياسي حيث تم ذكر ملوك و أمراء إفريقيين في المصادر الكلاسيكية ابتداءا من القرن التاسع ق.م حينما أشار المؤرخ اللاتيني جوستنيانوس (Justinius) إلى سلطة الملك حرباص(Hiarbas) في أواخر القرن التاسع ق.م ، ويضيف جوستنيانوس ويخبرنا باستنجاد القائد القرطاجي حنون(Hannon) بملك افريقي في القرن الرابع ق.م، ويذكر ديودور الصقلي (Diodore deSicile) ملكا يدعى أيلماس (Aylamas) تحالف مع اغاتوكليس(Agathocle) أثناء زحف هذا الأخير على قرطاجة أواخر القرن الرابع ق.م.

ليعود ذكر نوميديا مجددا من خلال احداث ومجريات القرن الثالث ق.م حيث ذكر بوليبيوس في تواريخه مشاركة أمراء افارقة كالقائد زرازاس والامير نارافاس في الحرب الإفريقية او ماعرف بثورة المرتزقة.

ذكرت المصادر الكلاسيكية التي تناولت مجريات الصراع القرطاجي الروماني بعضا من المعطيات المتعلقة بالملوك النوميديين أصدقاء الشعب الروماني هؤلاء الذي ارتبط ذكرهم بالدور الذي قاموا به الى جانب الرومان حيث لم يتم سرد التاريخ النوميدي الا في الجزء المتعلق بتاريخ الشعب الروماني وهكذا نجد إشارات الى ملوك نوميديين في روايات: بوليبيوس هذا المؤرخ الاغريقي الذي اقتيد رهينة الى روما اين تمكن بوليبيوس من مصاحبة العائلة الشيبيونية ،واصبح قريبا من شيبيون هذا مايجعل من تواريخ بوليبيوس مصدرا رئيسيا للحروب البونيقية خاصة و انه زار افريقيا و شاهد سقوط قرطاجة، لبوليبيوس دراية بالشؤون السياسية وتسيير الدول وكذا الخبرة العسكرية ومؤلفه غني بالمواعض حول الكيفية او المنهجية التي يجب كتابة التاريخ بها.

بالإضافة إلى غناه بالمعارف الجغرافية نتيجة الرحلات والمهام التي قام بها بوليبيوس في قارات مختلفة.

تيتوس ليفيوس الذي نقل الأحداث من بوليبيوس يقدم لنا تيتوس ليفيوس معلومات عن بداية الاتصالات الرومانية النوميدية وصولا إلى تلك التحالفات السياسية التي ابرمها الملوك النوميديون مع روما مبرزا تلك التغيرات والتحولات في سياسة التحالفات النوميدية.

من خلال مؤلف ليفيوس تكون للباحث معلومات عن التنظيم السياسي النوميدي بشطريه (المملكة الماسيلية والمملكة الماسيسيلية) في أواخر القرن الثالث ق.م، إضافة إلى معلومات تتعلق بالتنظيم

العسكري النوميدي، فقد كانت لنوميديا قوة عسكرية، لا يستهان بها على حد تعبير تيتوس ليفيوس أن: "الملك ماسينيسا كان على رأس قوة من المشاة والفرسان والتي لا تقل أهمية"[1].

سعى الملوك النوميديون إلى تطوير و تحديث الجهاز العسكري، هذا ما لاحظناه في طلب الملك سيفاكس من الوفود الرومانية التي جاءت تطلب محالفته في تكوين جنود مشاة على المنوال الروماني[2]، كما تميز النوميديون بخططهم القتالية وكذلك بمعدات و تجهيزات حربية ، وقد شهد تيتوس ليفيوس الذي مجد الرومان في حولياته، حيث نلمح عبر روايته التفوق الدائم للعنصر الروماني ، بقوة وبسالة النوميديين و شدتهم في المعارك في العديد من المناسبات منها قوله بان:"التحاق ماسينيسا بالرومان هو اسعد حدث بالنسبة لهم في بداية هذه الحملة الأفريقية، هذا النوميدي الذي قدم على رأس 200 فارس حسب قول البعض لكن الأكثرية تقول بالتحاقه على رأس ألفان من الفرسان" قوله بان:" ماسينيسا من بين الملوك كان أكثر من ساعد الرومان"[3].

لكن رواية تيتوس ليفوس للأحداث الممتدة من التحاق ماسينيسا بالصف الروماني وكذا انجازات ماسينيسا العسكرية إلى غاية توليه عرش أسلافه، لا تخلوا من التناقضات ، فحسب نفس المؤلف الذي كان قد وصف قوات ماسينيسا بالمتواضعة وبقليلة الأهمية مفسرا ضالة قوة ماسينيسا العسكرية بفقدانه للسلطة ، على الرغم من ضالة قواته نرى شيبيون حسب تيتوس ليفيوس يكلف الملك النوميدي باستدراج الخصم لاقتحام مدن قرطاجية، وكذا قيادة ماسينيسا على رأس فرسانه احد أجنحة الجيش الروماني ، في الأحداث التي نقلها تيتوس ليفيوس يتجلى لنا دور ومشاركة ماسينيسا التي لم تقتصر على الجانب الحربي فحسب و إنما شملت الجانب التخطيطي أيضا حيث حدث و أن اعتمد الرومان في معركة من معاركهم ضد القرطاجيين على احد الأساليب القتالية النوميدية المتمثلة في الكر والفر، هناك من يرى أن تخطيط المعركة كان من صنع ماسينيس، غير أن ليفيوس اسند التخطيط إلى القائد الروماني شيبيون.

ارتبطت انتصارات ماسينيسا العسكرية بالقوة والوجود الروماني حيث لم ينسب تيتوس ليفوس لماسينيسا أمجادا فردية، كالتي نسبت للقادة الرومان، تيتوس ليفيوس الذي اعتبر العلاقة النوميدية الرومانية هي علاقة تبعية ابتداء من سنة 203 ق.م، التي صادفت اعتلاء ماسينيسا العرش النوميدي عقب هزيمة

[1] Tite-live, XXIX, 4, 9.
[2] Tite –Live, XXIV, 48, 5.
[3] Tite–Live, XXIX, 29, 5.

الملك سيفاكس ووقوعه في الاسر هذا النصر الذي كان بفضل روما ومن ثم أصبح للشعب الروماني حق الانتفاع بأرض المهزومين روما التي نصبت ماسينيسا وكيلا لها وجعلته ملكا على نوميديا[4].

من كتاب الحوليات نجد المؤرخ اللاتيني ابيانوس (95-165م) عبر مؤلفه تاريخ الرومان الذي تناول فيه الأحداث من نشأة روما إلى غاية حكم الإمبراطور تراجان، ابيانوس الذي جمع المعلومات التي تخص الشعوب المختلفة في كتب مستقلة حيث نجد تاريخ المتعلق بابيريا والتاريخ المتعلق بروما والتاريخ المتعلق بإفريقيا، ابيانوس الذي قدم لنا رواية مختلفة عن سابقيه حول الملكية النوميدية، هذا الأخير الذي وصف ماسينيسا بالملك، وهكذا فان ماسينيسا حسب ابيانوس قد تخلى عن الصف القرطاجي وهو ملك والتحق بالرومان بعزم وبسالة[5].

تختلف رواية ابيانوس عن رواية بوليبيوس وتيتوس ليفيوس للأحداث، اللذين لم ينسبا لماسينيسا أمجادا فردية هذه الأخيرة ظلت مقترنة بالقوة الرومانية.

من المصادر التي لا تقل أهمية الكتاب الخامس من مؤلف بلينوس الكبير(23-79م) التاريخ الطبيعي *Histoire Naturelle*،كان بلينوس مقربا من الإمبراطور فسبسيان ، وقد عين قائدا لبعض وحدات الأسطول ، وتميز بكونه عالما موسوعيا ، تناول في مؤلفاته العلوم العسكرية و التاريخ و التعليم و اللغة ، ولم يبق من مؤلفاته البالغ عددها 106 مؤلفا سوى موسوعة التاريخ الطبيعي التي تحوى 37 كتابا ، منه الكتاب الخامس الذي خص منه منطقة شمال إفريقيا، الذي نرجع إليه فيما يخص تحديد الأرض النوميدية والمواقع الأولية للممالك النوميدية بالإضافة إلى مواقع بعض المدن النوميدية، بالإضافة إلى مؤلف الجغرافيا *Géographie* للمؤرخ الإغريقي سترابون(60ق.م-23م) ، ولد سترابون في اماسيا ،و كان شديد الثراء مما مكنه من التنقل الى مناطق عديدة من العالم، و تتميز كتاباته بانها نوع من الجغرافية التاريخية وقد قسم مؤلفه إلى 17جزءا وزع عليها أقاليم العالم ، وقد خص سترابون ليبيا بالجزأين 16و17 من مؤلفه وقد عرفنا سترابون بشعوب المنطقة ، أقصى توسعات الممالك النوميدية وكذا التعرف على بعض مميزات النوميديين الحربية ، كما تحدث سترابون عن التحصينات التي قام بها الملك النوميدي ميكيبسا لمدينة سيرتا: " إن هذه المدينة تستطيع بفضل جهود ميكيبسا عن تجند عند الضرورة عشرة الاف من الفرسان ، وضعف هذا العدد من المشاة[6].

---

[4] Tite-Live, XXXVII, 53, 22.

[5] Appien, *Afr.*, XVII,69;19,75 ; 22.

[6] Strabon,XVII, 3,13.

من المصادر الرئيسية لدراسة التاريخ النوميدي السياسي و العسكري مؤلف حرب افريقيا *Bellum Africum* لقيصر(101-44ق.م) ، الذي يفيد الباحث في معرفة تفاصيل انتقال الحرب الأهلية الرومانية في النصف الثاني من القرن الأول ق.م إلى إفريقيا ، ودور مملكة نوميديا في هذه الحرب من خلال الدور الذي قام به الملك النوميدي يوبا الأول الذي سعى إلى استرجاع مقاطعة إفريقيا إلى الممتلكات النوميدية ،وكذا الوقوف عند إمكانيات المملكة العسكرية حيث نجد عبر مؤلف حرب إفريقيا تقديرا لقوة يوبا الأول (فقرة 48) هذه القوة العسكرية التي أثارت الرعب و الهلع في صفوف جيش قيصر حسب ما ورد في (الفقرة 48)

أثار التحاق يوبا الأول بشيبيون ضجة في جيش قيصر فقد كان لوصول يوبا وقعا أليما عند الخصم، كما أعادت هذه النجدة الشجاعة لشيبيون ورفعت من ثقته"

ويفيد هذا الكتاب في معرفة مجريات معركة تابسوس الحاسمة، وكذا تسوية قيصر للمسالة الإفريقية التي أعقبت انتصاره في 46ق.م.

غير ان هذه الكتابات الكلاسيكية يؤخذ عليها العديد من المآخذ ومنها روح التعصب التي عرفت عن كتاب الحوليات الإغريق والرومان في إظهار مدى رقي حضارتهم، لعل هذا ما يفسر في نظرنا سطحية المعارف والمعلومات التي جاءت في هذه المصادر حول التاريخ النوميدي.

إلى جانب هذه المصادر الكلاسيكية يتوفر تاريخ نوميديا على مجموعة من الكتابات المستحدثة، التي كتبت بأقلام أجنبية مستعمرة، تناولت تاريخنا وأثارنا القديمة، وهي تمتاز بالدقة و العمق ولا يمكن تجاوزها لدراسة أي موضوع في تاريخنا القديم، من أهمها أعمال ستيفان قزال (S.Gsell) القيمة يستصدرها تاريخ شمال إفريقيا القديم[7]، الذي جاء في ثمانية أجزاء و يعنى الجزء الخامس بدراسة الحياة السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية كما يفيدنا الجزء الثامن و الاخير بعنوان يوليوس قيصر و إفريقيا و نهاية الممالك الأهلية في معرفة نهاية النظام السياسي النوميدي وبداية مرحلة جديدة من التاريخ النوميدي وهي مرحلة الحكم الروماني .

اضافة الى اعمال قزال نجد اعمالا اخرى لا تقل أهمية كالأعمال العديدة لغابريال كامبس منها كتابه ماسينيسا أو بداية التاريخ[8]، تناول كامبس في هذا العمل عدة مسائل متعلقة بالتاريخ النوميدي اي من

[7] Gsell, S.,1919-1928, *Histoire ancienne de l'Afrique du nord*, VIII Vol ,Paris.

[8] Camps, G., 1960, *Massinissa ou les débuts de l'histoire,* Alger.

دخول المنطقة التاريخ مركزا على دور ماسينيسا في النهوض بالأمة الإفريقية حيث تناول بالدراسة الفترة السابقة لعهد ماسينيسا وصولا إلى فترة حكم هذا الملك النوميدي ، غير ان كامبس اكتفى كسابقيه بإرجاع ظهور الممالك النوميدية إلى القرن الثالث ق.م ، ولم يبحث في جذور التشكيلات السياسية النوميدية ، إضافة إلى أعمال ديسونج (J.Desange) تمثلت في كم من المقالات التي بحثت في الشؤون النوميدية ، وكذا ترجمة و تعليق مؤلف التاريخ الطبيعي لبلينوس[9]. و أمثال هؤلاء كثيرون نذكر مارسال لقلي (M.Leglay) وبيرتييه (A.Berthier) وكانيا (Cagnat) وسنتاس (C.Cintas) ولوبوييك (LeBohec.Y، لونسال(S.Lancel) وبيكار(Picard) وآخرون.

إلى جانب هذه الكتابات الغربية التي لا تخلوا من النظرة الاستعمارية، هناك إسهامات الأقلام العربية الممثلة في كل من محمد فنتر، غاقي منصور، العروي ، التازي محمد ، بلعيد محمد لطفي ، احمد فرجاوي . دون أن ننسى إسهامات الأقلام الوطنية الممثلة في كل من دراسات محمد البشير شنيتي محمد الصغير غانم، محمد الطاهر العدواني ،محمد الهادي حارش ، ايت اعمارة ويزة ،فتيحة فرحاتي ،منير بوشناقي ، احمد سليماني و آخرون ، وسنعرض فيما سيأتي قائمة للمصادر و البيبليوغرافيا المتعلقة بالتاريخ السياسي و التاريخ العسكري لنوميديا في الفترة الممتدة من القرن الثالث قبل الميلادي إلى غاية القرن الأول قبل الميلادي .

إلى جانب المصادر الأدبية والكتابات الحديثة نجد المصادر الأثرية التي تنير الباحث من خلال الكشف عن بعض النقوش، العملات، الأسلحة وكذا النصب التذكارية التي تعود إلى الحقبة النوميدية.

كشفت الأعمال الاثرية عن وجود ورشات لصك العملة النوميدية، هذه العملات التي تعكس واقع النظام السياسي النوميدي ومراحله المختلفة، حيث تم العثور على مجموعة من العملات التي تعود الى حقب مختلفة من التاريخ النوميدي.

هذه العملات التي تكشف عن حقائق تاريخية حيث عكست تطلعات الملوك السياسية من جهة، وما بلغته المملكة من ازدهار اقتصادي واستقرار سياسي من جهة أخرى.

خلدت انتصارات بعض الملوك العسكرية، كعملات الملك يوبا الثاني التي أراد منها أن تخلد انتصاراته العسكرية على قبائل الجيتول.

[9] Desanges dans Pline l'Ancien, *Histoire naturelle*, livre V, (1-46) Paris,1980.

تظهر لنا العملات تلك العناية التي أولاها النوميديون للحصان و الفيل اللذين اعتبرا من العتاد الحربي النوميدي ، وكذا العناية بالمتوج الزراعي، إلى جانب العملات نجد النقوش الأثرية المزدوجة ، أشهر هذه النقوش هي نقيشة نصب دوقة الأثري الذي خلد العائلة الماسيلية المالكة ، شيد من طرف ماكيبسا في السنة العاشرة من حكمه ،تخليدا و تشريفا لوالده ماسينيسا عبر النص الأثري لدوقة نتعرف على المراتب و الوظائف السياسية النوميدية،إلى جانب نص دوقة الأثري، ورد ذكر الملك ماسينيسا في نقوش معبد الحفرة بقسنطينة المصنفة من طرف كل من بييرتييه و شارلييه من بين هذه النقوش نذكر النقيشة رقم 59، 62 ، هذه النقوش المختلفة المكتوبة في معبد الحفرة التي تؤكد حكم ماسينيسا وهي دليل قاطع على وجود المملكة النوميدية.

هناك مجموعة من النصوص الأثرية الجنائزية التي خلدت خلفاء الملك ماسينيسا، كنص الأثري الجنائزي في شرشال، وبعد دراسة ايكوغرافية للنصب التذكاري المكتوب بالبونية والمتكون من إحدى عشرا سطرا، تم قراءة اسم ماكيبسا في النقيشة ما يدل على تأكيد عهد هذا الملك النوميدي تاريخيا وسياسيا في يول القديمة من جهة، كما يدل على استمرار إشعاع الكتابة البونية في نوميديا بعد مرور ثلاثين عاما على سقوط قرطاجة. دون ان ننسى الكتابات الأثرية لكل من مازار وس(Mazard) والكسونروبول (Alexandropoulos) ومولر (Muller).

الفصل الثاني

التعريف بالممالك النوميدية

إن سكوت المصادر المكتوبة جعل الباحثون في تاريخ المنطقة يؤخرون دخول المنطقة المغاربية إلى المرحلة التاريخية إلى غاية أحداث الحرب البونيقية الثانية، التي تسجل في نظر البعض دخول بلاد المغرب القديم المرحلة التاريخية[10]، و في ظل غياب الكتابات المحلية بعد الحريق الذي التهم مكتبة قرطاجة في 146ق.م، و الذي أودى بكثير من المعلومات التي احتوتها كتبها عن هذه الفترة التاريخية وما بعدها ، ويبقى العمل الاثري ضروري كمحاولة لاستنطاق المادة الاثرية الموجودة في نوميديا من نقوش و رسومات و فخاريات و معالم أثرية من قبل المختصين لملء هذا الفراغ.

1. الممالك النوميدية

لا نملك من الأدلة المكتوبة و الأثرية ما يثبت وجود ممالك نوميدية قبل القرن الثالث قبل الميلادي، إلا تلك الإشارات المتفرقة الى ملوك و الواردة في بعض من المصادر المكتوبة فهذا يوستينيوس( ) Justiniusفي روايته عن تأسيس مدينة قرطاجة يتحدث عن الملك حرباص (Hiarbas) في أواخر القرن التاسع ق.م ، فمن خلال أسطورة عليسا نتعرف على كيانين مختلفين، فمن جهة نلاحظ نوعا من السيادة الليبية التي تجسدت في ملك الماكسيتانيين حرباص فقد وجد الوافدون أنفسهم أمام واجبات إلزامية و مطالب صادرة عن سلطة قائمة ، و ليس عن جماعات من الرحل و البدو التي يسهل دحرها والقضاء عليها باستعمال القليل من القوة[11]، و بالفعل التزم الوافدون بدفع تعويض سنوي عن الأراضي التي يشغلوها لهذه السلطة المحلية[12] .

إلى جانب الملك حرباص أشار يوستينيوس إلي ملك في القرن الرابع ق.م استنجد به حنون للاستيلاء على السلطة في قرطاجة[13]، ويذكر ديودور الصقلي ملكا يدعى أيلماس تحالف مع اغاتوكليس أثناء زحف هذا الأخير على قرطاجة أواخر القرن الرابع ق.م[14]، وذكر بوليبوس الذي انفرد في نقل احداث حرب المرتزقة اسماءا لأمراء ليبيين شاركوا في هذه الحرب الداخلية التي هزت قرطاجة التي خرجت منهكة من الحرب البونيقية

[10] Camps ,G.,1967,p.79.

[11] Camps , G., 1979 ,p. 44.

[12] Justin , XVIII ,5.

[13] Justin ,XXI ,4.

[14] Camps, G., 1967, 29.

الاولى، فواجهت هذا الخطر الداخلي، وكان نارافاس هذا الأمير الليبي خير مساعد لقرطاجة في محنتها ، بينما تحالف القائدالافريقي زارزاس[15](Zarzas) الذي ينتمي الى فرع معادي لنرافاس مع خصوم قرطاجة[16]. وهي كلها إشارات تدل رغم اقتضابها على وجود هيكلة سياسية تمثلت في هذه الممالك التي تطورت عنها ممالك القرن الثالث قبل الميلادي.

أ. المملكة الماسيلية

تعود اصول المملكة الماسيلية الى اصول قبلية، هذه القبيلة التي ظهرت كمملكة قوية في القرن الثالث قبل الميلادي بدليل مشاركتها في صنع احداث نهاية القرن الثالث قبل الميلادى، وقد جاء ذكر الماسيل لأول مرة خلال الحرب البونيقية الاولى[17].

كانت المملكة الماسيلية اقل مساحة وهي تشمل القسم الشرقي من قسنطينة، ولقد تقلصت حدودها امام التوسع القرطاجي.

لا يمكن تحديد حدود المملكة بدقة فقد كانت متغيرة وخاضعة للوضعية السياسية والعسكرية التي تغلب في شمال إفريقيا لاسيما من الجهة الشرقية المتاخمة لاراضي قرطاجة كانت تتسع في بعض الاحيان وتتقلص احيانا اخرى، ويمكن القول انها كانت ممتدة من الحدود القرطاجية شرقا الى الوادي الكبير غربا وهي بذلك تشمل منطقة الاوراس والشرق القسنطيني، الظهر التونسية والجزء الاكبر من مجردة الوسطى والأراضي المحاذية للسرت الصغرى[18].

شاركت المملكة الماسيلية في احداث الحرب القرطاجية الرومانية، فقد تحالفت المملكة مع قرطاجة أيام حكم الملك قايا 213-208ق.م[19]، الذي ارسل ابنه الامير ماسينيسا لمساندة الجيوش البونيقية في ايبيريا 212-206، هذا الامير النوميدي الذي شهدت له المصادر الكلاسيكية بالشخصية القوية

---

[15] Polybe, I ,2 ,84.

[16] Polybe, I., 2, 78 .

[17] Désange,G. , *Catalogue des tribus Africaines de l'antiquité classique a l'ouest du Nil* , p.109.

[18] Decret,F., Fantar, MH., p.100.

[19] قزال، س.،2007ج. III ،ص. 163.

النشيطة المتعددة المواهب، الشجاعة و الذكية ماسينيسا الذي تطلع الى تشكيل امة قوية ، وقد ارجع تيتوس ليفيوس سبب تحالف قايا مع القرطاجيين الى رغبة ابنه ماسينيسا في خوض غمار الحرب[20] .

إن مساندة ماسينيسا و المملكة الماسيلية لقرطاجة لم تستمر، فقد انتقل ماسينيسا الى حلف روما وواصل الحرب البونيقية الثانية بجانبها ، ماسينيسا الذي بدا من سنة 206ق.م بعقد اواصر الصداقة مع عدد من القادة الرومان[21]، بعدما شاهد و هو في اسبانيا انقلاب كفة الحرب لصالح الرومان بعد توالي هزائم قرطاجة في اسبانيا ففكر في التخلي عنها و محالفة الرومان[22]، ولان قرطاجة تنكرت لخدماته و غدرت به بتحالفها مع الملك سيفاكس و اعترافها بلكومازيس (Lacumazés) ملكا على عرش الماسيل[23]، و بذلك تكون قرطاجة قد ضحت بماسينيسا ومطالبه رغم شرعيتها[24].

فتحول ماسينيسا من الصف القرطاجي إلى الصف الروماني كان لأسباب سياسية وعسكرية.

ب. المملكة الماسيسيلية

تعتبر حدود مملكة نوميديا الغربية أكثر وضوحا من سابقتها، حيث تمتد من وادي ملوشة غربا وتنتهي عند رأس التريتون شرقا[25].

ومن الصعب تثبيت الحدود الأولى لمملكة سيفاكس، ففي الجهة الغربية يبدو أن الحدود الممثلة في الملوية ظلت على ما هي عليه دون تغيير منذ حكم باقا وسيفاكس[26].

إختلف الأمر بالنسبة للحدود الشرقية التي تميزت بعدم الاستقرار، كانت تتقدم وتتقلص حسب الظروف السياسية[27]، ويبدو انه كانت لسيفاكس حدود مشتركة مع قرطاجة ربما تعلق الأمر بمكتسبات إقليمية حديثة بسبب التوسعات الماسيسيلية المتتالية على حساب المملكة الماسيلية[28].

---

[20] Tite-Live, XXIV , 49,4.

[21] بيومي مهران ،1990 م.، المغرب القديم، الاسكندرية، ص.280

[22] Decret, F., Fantar, MH., 1982, p.103.

[23] شنيتي ، م ب .،1985 ، ص.25.

[24] فنطر ، م.، 1970 ،ص.47-48.

[25] Strabon, XVII , 3, 9.

[26] Camps, G., 1960, p. 168.

[27] فنطر، م .،1970 ، ص.33.

[28] Desanges, J., 1978, p.646.

أما الحدود الجنوبية للمملكة فهي صعبة التحديد، فالأراضي الخاضعة للماسيسيل كانت تمتد حتى تخوم جيتوليا[29]،كمنطقة مداروش التي كانت ملكا للماسسيسيليين[30]، كان الجيتول يقطنون أراضي شاسعة ولا يخضعون للسلطة الملكية المركزية[31].

وبهذا تكون قد شملت أراضي شاسعة، وغطت ثلثي من مساحة الجزائر الحالية إضافة إلى جزء من المغرب الشرقي، حيث توجد هناك نصوص ونقوش تذكرهم حتى في الريف المغربي[32]، حيث ظهر سيفاكس خلال الحرب البونيقية الثانية وبالتحديد في سنة 213 ق.م كسيد له أتباعه في منطقة مضيق جبل طارق[33].

لا تتوقف سلطة سيفاكس في بلاد المور عند هذا الحد، حيث نجد عدة كتابات كلاسيكية تربط طنجة بالماسيسيليين، كانت المملكة الماسيسيلية شاسعة للغاية إلى درجة أن كانت لها عاصمتان سيقا بالنسبة لماسيسيل الغرب وسيرتا بالنسبة لماسيسيل الشرق[34].

كانت سيقا (Siga) المدينة الماسيسيلية الرئيسية وقد أشير إليها دائما على أنها عاصمة سيفاكس وفيها استقبل سنة 206 ق.م شبيون وصدروبعل وفيها سك عملته[35]، وتعتبر نواة قوة الماسيسيل وهي تقع في المناطق الغربية في الإقليم الوهراني، أما سيرتا(Cirta) فتزال التساؤلات مطروحة حول إنتماءها الأصلي، إن كانت جزءا من أراضي الماسيسيل الأصلية أو هي ثمرة فتوحات سابقة[36]، وحسب ما جاء

---

[29] Decret, F., Fantar,MH.,1982,
p82.

[30] Desanges, J., 1978,
p.647.

[31] غاكي ،م.، 2007، ص. 102

[32] Camps, G., 2011, p.108.

[33] Tite-Live, XXIV ,49 , 5.

[34] غاكي، م.، 2007،ص.102.

[35] Camps, G., 1960, p. 169.

[36] Decret, F., Fantar.MH., 1982, p. 82.

في نصوص تيتوس ليفيوس فان المدينة كانت ماسيسيلية[37]، أما موقعها فهي تقع داخل الأراضي الماسيلية[38].

بعد إنهيار المملكة الماسيسيلية إستمرت المنطقة الموجودة بين ملوية ورأس بوقرعون تعرف باسم أرض الماسيسيليين، مع أنها أصبحت ملكا للملوك الماسيليين[39].

كان الماسيسيليون في الأصل قبيلة قبل أن يعطوا اسمهم للدولة[40]، وحول التمركز الأولي للقبيلة الماسيسيلية، يقول بلينوس الكبير إن " شعوب الماسيسيل كانت تقطن فيما مضى الأراضي التي ستعرف فيما بعد بالمقاطعة الطنجية وقد اندثرت بسبب الحروب مثل جارتها الأقرب قبيلة الموريين، وإستولى الجيتوليون على البلاد[41].

ومما جاء به بلينوس يستنتج قزال أن الماسيسيليين أو على الأقل عدد كبير منهم قد خرجوا من داخل موريطانيا وذهبوا للاستيلاء على أكبر قسم من الجزائر[42].

إلى جانب هذا هناك أدلة قوية تذهب بالباحثين إلى القول بان المنشأ الأصلي للماسيسيليين كان في المناطق الداخلية لتطوان[43].

تفيدنا النصوص الكلاسيكية بان الماسيسيليين نسبة إلى قبائل الماسيسيل ظهروا كقوة في إفريقيا منذ أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الثاني ق.م.

وإلا نعرف شيئا عن ظروف تشكل هذه المملكة التي دخلت في حسابات المتنازعين خلال الحرب البونيقية الثانية، والتي كان على عرشها آنذاك الملك سيفاكس ذو الاعتبار الكبير والذي كان التحالف معه مرغوب من هذا وذاك وهو ما أدركه بدوره وعرض تحكيمه على الطرفين[44].

---

[37] Tite-Live, XXX , 12,3.

[38] Strabon, XVII , 3,13.

قزال ، س .، V،ص.91 - 92

[39]2007،ج.

V، ص.89

[40]قزال،س.،2007،ج.

[41] Pline, *H .N*, V , 17.

[42] قزال، س .،2007 ،ج.Vص.، 89

[43] Desanges, J., 1980,

p.79.

[44] Decret, F., Fantar, MH., 1982, p.81.

يعتبر سيفاكس أول ملك ماسيسيلي الذي عرف لدينا منذ سنة220 ق.م، وكانت مملكته أقوى الممالك الإفريقية[45]، إلى درجة أن سالوستيوس وصفها بالإمبراطورية الواسعة والقوية[46].

بعد اسر سيفاكس احتفظ ابنه فرمينا بجزء من المملكة واتبع سياسة والده بتحالفه مع القرطاجيين، وبعد هزيمة حنيبعل غير فرمينا من سياسته وحاول التقرب من الرومان بالطريقة التي تقرب منها ماسينيسا، فارسل في عام 200ق.م وفدا الى مجلس الشيوخ الروماني للاعتذارعن عدائه للرومان و مواجهتهم في زاما، طالبا محالفة وصداقة الشعب الروماني[47].

2. العلاقات بين المملكتين النوميديتين

لم تكن العلاقات بين الجارتين النوميديتين ودية ويتجلى ذلك في تلك الخلافات التي نشبت بين الدولتين خاصة في عهدي ماسينيسا و سيفاكس ، وليس من المعروف لدينا اسباب الخلاف الذي تعود جذوره الى فترة سبقت حكم سيفاكس و ماسينيسا ، والامر المؤكد ان قرطاجة ساهمت في تزكية و تفعيل الخلاف بين النوميديتين ابان الحرب البونيقية الثانية ، قرطاجة لم توفق في محالفة النوميديتين معا[48]، كما ستستثمر روما بدورها في الخلافات المحلية بعد ان تدخلت في شؤون نوميديا الداخلية و ازمات العرش النوميدي الامر الذي تكرر في التاريخ النوميدي فبعد ان تدخلت روما لصالح ماسينيسا نراها تتدخل في تقسيم العرش النوميدي بين ورثة ماسينيسا ، وتتدخل في الحرب النوميدية التي افتعلها يوغرطة من اجل الانفراد بالسلطة ، كما استطاعت روما ان تحصل لها في نوميديا على قلاع لها كمدينة زاما ريجيا التي انقلبت على ملكها يوبا الثاني ، وكذا الجيتول الذين خرجوا عن طاعة يوبا الثاني و خدموا قيصر في حملته الإفريقية .

3. المملكة النوميدية الموحدة

بعد انتصار ماسينيسا حليف الرومان في معركة السهول الكبرى على قرطاجة وحليفها سيفاكس، قام ماسينيسا بمساعدة ليليوس بملاحقة سيفاكس العائد الى مملكته حتى لا يتمكن من إعداد العدة للقتال

---

[45] Desanges, J., 1978, p.646.

[46] Salluste, V, 2.

[47] Tite-Live,XXXI,11.13-17.

[48] شنيتي ،م .ب .،1985، ص.22.

من جديد، وصل ليليوس وماسينيسا إلى المنطقة النوميدية بعد سير دام خمسة عشرا يوما، خرج الملك سيفاكس ليعترض سبيل القائدين ماسينيسا وليليوس"[49]، إلا أن المعركة لم تحسم لصالحه بالرغم من صمود سيفاكس أمام تراجع جيشه وحتى فرار بعض

جنود اسر سيفاكس في سنة 203 ونقل الى ايطاليا[50]، اما ماسينيسا كما اشار الى ذلك تيتوس ليفوس فقد اعيد تنصيبه ملكا من طرف الماسيل كما اعترف القائد الروماني شيبيون بماسينيسا ملكا على نوميديا[51].

ذكر بوليبيوس ان ماسينيسا قد استولى في سنة 203-202 على كل مملكة سيفاكس، في حين يخبرنا تيتوس ليفيوس ان ماسينيسا قد استولى على القسم الثري من المملكة الماسيسيلية وتمكن فرمينا من الاحتفاظ بالقسم المتبقي[52]، اما قزال فانه يشكك في ان يكون ماسينيسا قد حقق السيطرة على جل الارض الماسيسيلية في هذا الفترة الزمنية الممتدة بين اسر الملك سيفاكس ومعركة زاما[53].

والاكيد ان ماسينيسا في نهاية الحرب البونيقية الثانية قد استعاد سلطته على الماسيليين، والممتدة على اراضي سيفاكس، والتي اعترفت بها روما رسميا.

اصبح ماسينيسا مسيطرا على منطقة شاسعة ممتدة من سرنيكا حتى حدود موريطانية ، فعمل على تكوين دولة حقيقية وحرص على تامين المملكة وضمان الامان لرعاياه الذين عودهم على الزراعة التي ربطتهم بالارض وضاعفت رفاهيتهم ،كما ان ممارسة النوميديين للزراعة كانت تضمن الحصول على الضرائب[54] وقد كان اقبال النوميديون على الزراعة قبل ماسينيسا محدودا ان توسيع النشاط الزراعي واستصلاح الارض و الاستثمار فيها جعل من بعض المؤرخين ينسبون الى ماسينيسا ادخال الزراعة الى نوميديا فحسب ماذكره سترابون فان ماسينيسا هو الذي جعل من البدو و الرعاة مواطني مدن و مزارعين ، وعلمهم ان يكونوا جنودا بدلا من ان يمارسوا القرصنة ، لقد حدث لهؤلاء البشر

---

[49] Tite-Live,XXX ,11,1-5.

[50] Pais, E., 1940, p. 405

[51] Tite-Live,XXX,11, 1-17.

[52] Tite-Live,XXXI,11,8-13.

[53]قزال ، 2007،ج.3،ص.253 .

[54]Julien ,Ch.A., p.

شيئا مميزا ، اذ كانوا يسكنون ارضا خصبة و لكنها مليئة بالحيوانات الضارية ، فخربوها و زرعوا الارض في امان[55].

وهو ماذهب اليه ابيانوس في قوله ان العناية الالهية هي التي جعلت من ماسينيسا يحي رقعة كبيرة من المعمور، فالنوميديون لم يعرفو الزراعة قبل ماسينيسا[56].

مما سبق نستنتج ان ماسينيسا اعطى للزراعة دفعا جديدا في عهده وهو يعتبر مطور الزراعة في بلاد المغرب القديم وهذا لا يعني ان الزراعة تعود الى عهده، اذ تؤكد كل المعطيات على قدم الزراعة في بلاد المغرب، والمؤكد ان نوميديا عرفت في عهده ازدهارا اقتصاديا اذ اصبحت مصدرة للحبوب.

كما سيطر ماسينيسا على المدن الفينيقية الساحلية التي شكلت منفذا لمملكته التي نشطت فيها التجارة بعد توفر الاستقرار العامل الرئيسي لازدهار النشاط التجاري

ماسينيسا الذي حارب قرطاجة ووجودها في بلاد المغرب لم يمنع انتشار عناصر حضارتها في مملكته بل شجع تغلغلها وقام بترسيم اللغة الفينيقية في مملكته[57].

ماسينيسا الذي ازداد قوة على حد تعبير قزال، أصبح مشهورا في جميع بلدان البحر الابيض المتوسط، وكان له علاقات مع ايبيريا، بلاد المشرق وحتى بلاد الاغريق[58].

عدل ماسينيسا طريقة انتقال العرش المعمولة بها في نوميديا والتي قد تولدت عنها ازمات داخلية حادة فحسب جوليان فان ماسينيسا عوض القاعدة الاغنية بقانون يضمن الخلافة لاكبر الابناء[59]، ولعل ذلك عائد الى التجربة التي مر بها ماسينيسا وهو يحاول استرجاع حقه في العرش[60].

اما عن علاقة المملكة النوميدية الموحدة بالجمهورية الرومانية:

---

[55] سترابون وصف ليبيا و مصر ، ترجمة محمد المبروك الديب،بنغازي ،2003 ،1، 17.

[56] Appien,*Afr*,XVI,106.

[57] قزال ، 2007،ج.3،ص.254.

[58]قزال ، 2007،ج.3،ص.254-255.

[59] Julien,Ch.A,1972,p.111.

[60] حارش،م.ه،2015، ماسينيسا و السيادة النوميدية من منظور المصادر القديمة ، "*ماسينيسا في قلب تاسيس اول دولة نوميدية*" ص.75.

حافظ ماسينسا بعد نهاية الحرب البونيقية الثانية على علاقته بالرومان، الذين كانوا سببا في استعادته لملكه الضائع حسب ما أوردته الكتابات الكلاسيكية والمحدثة[61]، حيث قام بجميع الواجبات التي تنص عليها علاقات الصداقة والتحالف بينه وبين الرومان، وزود الرومان بالمساعدات الاقتصادية والإمدادات العسكرية.

إن الحرب البونيقية الثالثة أخلطت حسابات ماسينيسا، الذي إعتقد أن روما لن تدخل في حرب رسمية ضد قرطاجة وأن المسألة القرطاجية مسألة إفريقية بحتة، ولهذا فانه استبعد التدخل الروماني في الأمر كما أن ماسينيسا لم يفكر في خوض الرومان لحرب دون أن تطلب إمكانياته ودعمه[62]، لاسيما أن روما كانت مطلعة على خصاله العسكرية، كما كانت على دراية بسياسته الإفريقية[63].

هذا ما يدفعنا إلى القول بأن الحرب البونيقية الثالثة كانت موجهة في الأساس للقضاء على مشروع ماسينيسا وليس لإنهاء قرطاجة، التي لم يشكل وجودها خطرا على الرومان، وإنما تخوف الرومان من قوة ماسينيسا المتزايدة.

4.أصل الممالك الليبية القديمة

لا يمكن تحديد الفترة التي تشكلت فيها الممالك الليبية القديمة والتي نعني بها كل من مملكة الماسيل ومملكة الماسيسيل والمملكة المورية فقد اشار عدد من المؤرخين القدامى الى ملوك حكموا في فترات سابقة للحرب البونية الثانية هذه الاشارات التي جاءت متاخرة لا تفصل في ظروف تشكل هذه الكيانات السياسية ولا في سلطة هولاء الملوك[64] والمؤكد هو وجود نظام سياسي يعود الى فترة طويلة[65] وتعود هذه الكيانات في جذورها إلى أصول قبلية وقد ظلت تحمل أسماء القبائل التي انبثقت عنها[66].

---

[61] Tite- Live, XXX , 44, 12, Salluste , V,2.

[62] Boutchich, B. EK., 2004, p.1585- 1586.

[63] كامبس،2009، *في اصول بلاد البربر ماسينيسا او بدايات التاريخ*، تعريب وتحقبق العربي عقون، ص، 193

[64] Belkadi, A., 2002, p . 93.

[65] Ghaki, M.,2017, " Questions autour "d'un siècle numide (205-105 av.j.c) "*Massinissa, la Numidie et l'Histoire, Libyca, Actes du colloque international, Constantine,les 14,15et 16 mai2016*, p.206.

[66] Ghaki, M.,2017, p. 206.

فلم تحمل هذه الممالك تسمية الشعوب، وانما كانت تحمل اسماء القبائل او القبيلة الحاكمة فالمور – النوميد هي اسماء لقبائل وليست اسماء شعوب حسب ما ذكره لاسيير وهكذا فعندما انهزم يوغرطة انضوى الجزء الغربي او تم الحاقه بالممتلكات المورية حيث أصبح سكان الجزء الغربي من نوميديا يعرفون بالموريين، فقد صاحب ضم الاقليم تغيير تسمية السكان من نوميد الى مور لانضوائهم تحت الحكم الموري[67].

5.نوميديا والمملكة المورية

يذهب بعض المؤرخون إلى القول ان تقدم المملكة الموريطانية كان بطيئا بالمقارنة مع نوميديا التي احتكت بالعالمين القرطاجي والروماني في وقت مبكر، ربما هذا راجع الى نقص في المعلومات ذلك ان روما لم تعرف بوجود المملكة الا في وقت متاخر يعود الى القرن الاول قبل الميلادي[68].

تمتد المملكة الموريطانية على الشمال الغربي من افريقيا تعود بجذورها الى اواسط القرن الرابع قبل الميلادي ،يفصلها عن مملكة نوميديا نهر الملوية[69] وقد حدث وان توسعت المملكة المورية على حساب جارتها نوميديا وذلك في اواخر القرن الثاني قبل الميلادي و اواسط القرن الاول قبل الميلادي اذ بلغت حدودها الوادي الكبير بالشمال الغربي لقسنطينة[70]، كما انتشر استعمال لفظ موري الذي امتد الى الشرق على اثر تلك التوسعات الاقليمية التي حققتها المملكة المورية وبذلك اصبح اسم موري يدل على جميع سكان شمال إفريقيا من المحيط الاطلسي إلى سرنيكا[71]

تكشف لنا أحداث أواخر القرن الثالث قبل الميلاد عن مملكة موريطانية قوية، اتخذ ملكها باقا موقفا من الأزمة النوميدية هذا الملك الموريطاني الذي كان على حد تعبير كامبس مهتما بالقضايا النوميدية

---

[67] Lassére, J.M., 2015, *Africa, Quasi Roma (256 av.j.c_711ap.J.c.*),Paris, p.60.

[68] بيومي مهران ،1990، ص 292

[69] حارش ،م.ه، ص. 101-102.

[70] حارش ،م.ه، ص. 101-102

[71] Désanges, J., 1980, p.79 -80

وابدى تاييده لماسينيسا لاسترجاع عرشه على الماسيل وبقي هذا الملك حليفا لماسينيسا وأرسل له وحدات شاركت في انتصاره على القرطاجيين [72]

يرجح كامبس ان يكون الملك باقا وريثا لقوة حاكمة تشكلت في عصور قديمة هذه القوة التي تطورت عنها لاحقا المملكة الموريطانية [73]

كانت موريطانيا في عهد باقا قاعدة لماسينيسا يستمد منها القوة والدعم لاستعادة ملكه، بعد باقا تنقطع معارفنا عن هذه المملكة الى غاية عهد الملك بوخوس الذي شارك في حرب يوغرطة بوخوس الذي كان ملكا على كل الموريطانيين حسب سالوستيوس الذي نقل لنا تحالف يوغرطة مع بوخوس هذا الاخير الذي لم تكن له دراية باحوال الامبراطورية الرومانية والاحداث السياسية التي واكبت فترة حكمه[74]

بوخوس الذي تنكر للرابط الدموي من اجل مكاسب اقليمية ومن اجل الحصول على لقب صديق و حليف الشعب الروماني، فبعد الهزيمة الثقيلة التي مني بها بوخوس أمام سيرتا، بدأ يفقد الأمل في النصر وخشي عواقب مصيبة غيره، ولهذا قام بوخوس بإرسال مبعوثين له لدى ماريوس يدعوه لإرسال مبعوثين لفتح النقاش، استجاب ماريوس لرجاء بوخوس وقام بإرسال مانيليوس اولوس وسيلا[75].

أدت المفاوضات التي بادر بها بوخوس إلى نهاية حرب يوغرطة، ذلك أن بوخوس اعتمادا على رواية سالوستيوس قد ضحى بصهره وحليفه يوغرطة، في سبيل الحصول على صداقة وتحالف الشعب الروماني مع حصوله أيضا على جزء من نوميديا الذي ظل يطالب به[76].

وعن علاقة بوخوس بالملك النوميدي يوغرطة يخبرنا بلوتارخوس ان: "يوغرطة علق أماله على دعم ملك الموريين بوخوس الذي يكون صهر يوغرطة، وان هذا الأخير التجأ إلى بوخوس الذي استقبله لا لحسن علاقته به ولا لوجود صداقة ومودة بينهم او إنما لتجنب الفضيحة"[77].

---

[72] Camps,G.,1960, p.198

[73] Camps,G.,1991, « Baga » ,*Encyclopédie berbère*, Aix en Provence , p.1305-1306.

[74] Salluste ,CX.

[75] Florus, III,2, Appien,*Afr.*, 4,1, Salluste,CII,1.

[76] Salluste, CXI, 1-2.

[77] Plutarque, *Marius*, XIV.

نفهم مما ذكره بلوتارخوس أن بوخوس لم يملك الخيار، وكان مجبرا على استقبال يوغرطة ولم يجرا على طرده لتجنب الفضيحة، يضيف بلوتارخوس ويقول:" إن دعم بوخوس ليوغرطة كان محدودا، لان الملك الموري أصبح يخشى ما قد يصبح عليه يوغرطة من قوة وعظمة"[78].

وحول الدور السلبي لبوخوس يقول بلوتارخوس: "كان بوخوس يتظاهر بالوساطة ليوغرطة عند ماريوس ويصرح بأنه لن يسلم مطلقا يوغرطة، لكنه كان يحضر للمؤامرة والخيانة لهذا طلب حضور سيلا"[79]

تشير النصوص القديمة إلى تردد بوخوس بين تسليم يوغرطة أو حجز سيلا، لكنه حسم موقفه بتسليم يوغرطة لسيلا، وذلك في خريف عام105 ق.م[80].

تكررت مظاهر خيانة المملكة الموريطانية لجارتها نوميديا بعدما تحالف الملك الموريطاني بوخوس الثاني مع قيصر ضد الملك النوميدي يوبا الاول الأول، واستعان قيصر بملكي موريطانيا بوخوس وبوغود، لتحقيق مخططه الرامي إلى إضعاف يوبا الأول وصرفه عن الاهتمام بالحرب بإحداث مشاكل على مستوى حدود مملكته[81].

امتدت مملكة بوكوس من المحيط الى نهر الامبساقا وبوفاته في 33سنة ق.م اصبح عرش موريطانيا شاغرا واصبحت واقعة تحت نفوذ اوكتافيوس الذي اصبح يعرف باسم الامبراطور اغسطس باسم التقاليد المعمول بها وباسم العلاقات السائدة بين روما و بوخوس الاكبر و ابنائه فيما بعد[82]، وربما كان هذا الاستيلاء وتنصيب يوبا الثاني كخيار استراتيجي لدعم و ضمان استمرارية الوجود الروماني في بلاد المغرب القديم، واصبحت مملكة موريطانيا واقعة تحت الحماية الرومانية ، اخضعتها لادارة عسكرية لمدة ثماني سنوات قبل ان تنصب يوبا الثاني ملكا عليها فقد منحت ليوبا الثاني حسب سترابون مملكتي بوغود و بوخوس بالاضافة الى مملكة ابيه [83]يوبا الثاني الذي باشر حكمه بدءا من سنة 25ق.م، اخسطس الذي فضل انشاء مملكة تابعة على الاحتلال المباشر الذي كان سيجبر روما على ارسال

---

[78] Plutarque,*Marius*, XIV.

[79] Plutarque,*Marius*, IV.

[80] Salluste, CXIII, 1, Plutarque, *Marius*, XIV, Florus, III, 2.

[81] Pavy, A., 1977, p.182. قزال ، VII ، ص.259

س.،

[82] Coltelloni.T.,1997,p. 21.

[83] Strabon,XVII, 3,9.

قوات عسكرية الى المنطقة لاحتوائها ورومنتها هذه العملية التي من شئنها ان تكلف مبالغا معتبرة دون ان تضمن النتيجة [84]فروما لم تتول الحكم المباشر في موريطانيا ربما خوفا من المشاكل العسكرية الكبيرة من جانب القبائل الجبلية [85]

وحسب كولتلوني فان اوكتافيوس عمدا الاحتفاظ بالاراضي التي كان قد ضمها سنة 33ق.م

دون ان يفصل في مصيرها وذلك بسبب ضعف رومنة المنطقة، ولوجود يوبا الثاني الذي سيتيح تغلغل النفوذ الروماني بموريطانيا[86]، هذا الامير الذي يشكل مكسبا ثمينا بفعل تربيته فقد ترعرع على الثقافة الغربية، كما أشرف اوكتافيوس بنفسه على تكوينه العسكري [87]

وفي نفس الاستراتيجية قام اغسطس بدمج الولايتين الافريقيتين القديمة والجديدة في ولاية واحدة تعرف باسم ولاية افريقية البروقنصلية، واسس فيها حوالي 12 مستعمرة.

يوبا الثاني الذي استمر في الحكم اكثر من اربعين سنة في موريطانيا التي اطلق عليها اسم موريطانيا القيصرية نسبة الى قيصر، يوبا الثاني الذي قام في موريطانيا بنفس الدور الذي قام به ماسينيسا في نوميديا ، كان يوبا الثاني في مستوى الثقة التي وضعت فيه ، بحيث ساهم في تقوية نفوذ الرومان في المنطقة بسياسته القائمة على فتح كل المجالات الحيوية للرومان وتقديم الإمدادات العسكرية اللازمة، لروما الامر الذي يفسر التدخّلات المورية الرسمية المستمرّة إلى جانب الرومان للقضاء على الثورات القائمة، بكون المملكة المورية تابعة للامبراطورية الرومانية، أمّا التشريفات والهدايا التي خصّها الرومان للملوك الموريين بعد انقضاء حملاتهم في المنطقة فكانت لغرض تشجيع الملوك الموريين على الاستمرار في خدمة المصالح الرومانية وكذا ربطهم بالرومان[88].

---

[84] قزال ،س.، 2007،ج.8،ص.186-187.

[85] بيومي مهران،1990، ص 293

[86] شنيتي م.ب 1985،ص.135

[87] بيومي مهران،1990،ص .293

[88] شنيتي م.ب 1985،ص135.

ضمن حركات العصيان والتمردات التي شهدها القرن الاول الميلادي نجد بثورة تاكفاريناس (17-24) التي امتدت على كل المناطق الجنوبية لشمال افريقيا من طرابلس حتى موريطانيا، وهي أخطر تمرّد على سياسة الملك الموريطاني والرومان في إفريقيا.

خلف يوبا الثاني على العرش ابنه بطليموس سنة 23م، الذي استمر ملكه على موريطانيا الى غاية سنة 40م، لا ينسب الى هذا الملك انجازات كالتي كانت في عهد والده باستثناء انجازه العسكري بقضاءه على ثورة تاكفاريناس التي دامت ثماني سنوات[89]، بانتصاره على تاكفاريناس حصل بطليموس على لقب حليف وصديق الشعب الروماني[90].

قام كاليغولا في عام 40م، باحتلال موريطانيا، بعد اعدامه الملك بطليموس، اما عن السبب الذي كان وراء ذلك ربما يكمن في لباس بطليموس الارجواني الذي ارتداه في حفل رسمي في 40م، ام في رغبة روما و الامبراطور الروماني في القضاء على هذه المملكة شبه المستقلة وضم موريطانيا مباشرة لتصبح مقاطعة رومانية؟[91].

وبهذا يكون كاليغولا قد أنهى فترة حكم الملوك النوميديين لموريطانيا الرومانية، ان مقتل الملك بطليموس اثار غضب الموريين الذين ثاروا بقيادة ايدمون، ماجعل الامبراطور نيرون يقسم موريطانيا في عام 42م الى ولايتي موريطانيا الطنجية، وموريطانيا القيصرية التي ضمت بدورها الى مجال الامبراطورية الرومانية بعد كل من نوميديا وقرطاجة[92].

يتضح لنا ان: الممالك الوطنية والتي نعني بها مملكتي نوميديا و موريطانيا، قد برزت في فترة تاريخية صعبة شهدت الصراع الحاد بين قرطاجة و روما ، كما عاصرت فترة الصراعات الاهلية الرومانية ، هذه المستجدات التي عرفها العالم القديم عصفت بالاستقرار في المنطقة المغاربية، وقضت على فرص الوحدة في المنطقة الذي من شانه ان يقوي المنطقة وذلك نتيجة السياسة التي اتبعها المتنازعون الذين عمدوا الى التقرب من هذه الممالك وتسخيرها لخدمة مصالحهم على حساب شعوب المنطقة، وهذا بالرغم من السياسة التي اتبعها الملوك النوميديون والتي لم تصمد للآسف امام الخبرة و القوة السياسة الرومانية

[89] قزال ، س.، 2007،ج.8،ص.246.

[90] قزال ، س.، 2007،ج.8،ص.246.

[91] حارش،م .هـ،1992،ص.103.

[92] بيومي مهران،1990، ص. 296.

التي بفضلها تزعمت روما العالم القديم ، ومن بينها المنطقة المغاربية التي فقدت استقلالها تدريجيا لطبيعة المخطط الروماني الذي امتص المنطقة تدريجيا الى غاية الضم المباشر و التخلي عن عن نظام الحماية و الملوك التابعين .

6. نوميديا وقرطاجة

ان جل الأخبار المتعلقة بأحداث الحرب البونية الثانية دونت بأقلام اغريقية لاتينية، هذه الكتابات في معظمها جاءت بعد مرور الحرب بزمن، في حين اكتفى بوليبيوس الذي عاصر أحداث الحرب البونية الثالثة بإعطاء وجهة نظره عن الأحداث. وكان للنوميديون دورا فعالا في مجريات أحداث الحروب البونية، هذه الأخيرة التي مست النوميديين بشكل كبير بحكم جوارهم واحتكاكهم بالحضارة القرطاجية. وهكذا كانت ارض الممالك النوميدية مسرحا لمعظم المعارك التي جرت بين المتصارعيين فقد شارك الماسيليين في بداية الصراع القرطاجي الروماني 264-241ق.م، كما قام قايا فيما بعد بارسال ابنه ماسينيسا على رأس النوميديين لمساندة القرطاجيين في اسبانيا (.212-206ق.م)، لكن تحوّل موقف ماسينيسا اتجاه قرطاجة ساهم بقوة في إحراز النصر الروماني. وبالفعل كان دور الفرق النوميدية بالغ الأهمية طيلة استمرار الحرب البونية الثانية، هذه الفرق التي أثارت دهشة و انبهار القادة الرومان أنفسهم، كما أشاد المؤلفين القدامى بالمحاربين النوميديين و بذكائهم و حنكتهم، و بالاحصنة النوميدية و بقدرتها على التحمل و مقاومة العطش[93]، فقد كانت المشاركة النوميدية في صف القرطاجيين كفيلة بتحقيق انتصار القرطاجيين في معارك كبيرة و حاسمة كمعركة كانه 216، كما ساهمت المشاركة النوميدية أيضا بجانب الرومان بتحويل كفة الانتصارات لصالح الرومان في زاما201 ق.م[94].

كما سمحت معاهدة زاما في احدى بنودها لماسينيسا باستعادة اراضيه وكل ممتلكات اجداده اما سيفاكس ملك الماسيسيليين الذي ربط مصيره و مصيير مملكته بالقرطاجيين انهزم مع القرطاجيين ووقع رهينة في يد ماسينيسا الذي سلمه للرومان ، بالرغم من توقف دور سيفاكس الى جانب القرطاجيين الا ان دور المملكة الماسيسيلية استمر فقد ساند فرمينا القرطاجيين وانهزم امام الرومان في اواخر سنة

[93] Appien,VIII,11,43 , Tite- Live, XXV , 34, 13-14.

[94] قزال ، س.، 2007، ج.III،ص.225

202ق.م[95]، في معركة دارت بين زاما و تونس ، ما يثير التساؤل هو وضعية المملكة الماسيسيلية التي استمرت في الوجود بعد معركة زاما و بعد التوسعات التي قام بها ماسينيسا خاصة و ان فرمينا الذي احتفظ على ما يفهم من الأحداث ببعض من القوة حيث قام في 202ق.م بارسال وفود الى روما ليبحث في امكانية التصالح مع الرومان و تعيين حدود جديدة بينه و بين ماسينيسا وذلك لضمان استمرارية المملكة الماسيسيلية[96].

لايزال الغموض يكتنف الأحداث التي تلت معركة زاما[97]، كتلك المتعلقة باستمرارية المملكة الماسيسيلية بعد سيفاكس، ولعل اتصالات فيرمينا بالرومان عن طريق السفراء الذين بعثهم الى روما ما يدل على وجود كيان ماسيسيلي قائم ومستقل و ذو حدود معينة يستطيع استقبال الوفود الرومانية، و قد اثارت مسالة استمرارية السلطة الماسيسيلية الكثير من الجدل وها هو اركبارزن حفيد الملك سيفاكس، اخر ملوك العائلة الماسيسيلية يعارض ماسينيسا قبيل الحرب البونية الثالثة 149-146ق.م[98].

7. نوميديا والرومان

استعمل الرومان مصطلحات خاصة لتحديد علاقاتهم مع نوميديا خاصة في عهد ماسينيسا وهي مصطلحات دبلوماسية التي اعتاد الرومان على توظيفها لتحديد علاقاتهم بالشعوب الاخرى، وهنا نتساءل عن نوعية العلاقة التي ربطت روما بنوميديا في عهد الملك ماسينيسا هذا الاخير الذي ربط علاقات مختلفة مع الرومان تمثلت في علاقات رسمية مع مجلس الشيوخ والشعب وعلاقات شخصية مع القادة الرومان[99].

---

[95] Tlili , M.,2008, *Etendue Et Limites De La Numidie Archaïque esquisse géographique historique des royaumes autochtones*, thèse de doctorat, université de Franche-Comté
P.264- 265.

[96] Tlili, M.,2008, p.264.

[97] Tlili,M.,2008, p.264

[98] Tlili,M.,2008, p.265

[99]Lefebvre, S., 2017, P.130

وسنتتبع هذه العلاقات بدءا من العلاقات الرسمية، فقد وظفت المصادر مصطلحات والقاب مختلفة لوصف علاقة ماسينيسا بالرومان وهي *Amicitia* و*Amicitiam receptus*، ولقب صديق وحليف الشعب الروماني:(*Socius atque amicus populi Romani*). وهو لقب يمنحه مجلس الشيوخ الروماني، وقد تم منحه لماسينيسا النوميدي، كان اللقب يمثل نوعية العلاقات القائمة بين طرفين، ولم يكن الرومان السباقين الى استعمال هذه الصيغة وانما كانت متداولة في العالم الهلينستي واستخدمها الاغريق واخذها الرومان فيما بعد[100].

وترى الباحثة (S.Lefebvre) ان هذه السياسة او هذا النوع من العلاقات الدبلوماسية يؤدي بحلفاء واصدقاء روما على الاغلب الى اتباع نفس الممارسات الرومانية الثقافية الاجتماعية والسياسية وهكذا فان سياسة التحالف هذه تساهم تدريجيا في ادماج هؤلاء داخل العالم الروماني او رومنتهم " الرومنة" كمرحلة اولى قبل ان يتم ابتلاعهم من الرومان او بتعبير اخر انشاء مقاطعات تدخل ضمن ممتلكات الامبراطورية الرومانية. تخبرنا نفس الباحثة وتقول ان الرومان ربطوا علاقات غير متكافئة مع الشعوب الأخرى فالعلاقات الدبلوماسية الرومانية غالبا ما تكون مجرد علاقة تبعية وولاء للرومان[101]. وكذالك لقب (Socius)، هو لقب رسمي يمنحه الرومان يوقع الطرفان على معاهدة اتفاق (Foedus) ويتمثل الطرفان في مجلس الشيوخ من الطرف الروماني والشعب او المدينة او الملك من الجهة الاخرى. وتنص المعاهدة على حقوق وواجبات الطرفين: كالاعتراف بماسينيسا كملك وبحقه في استعادة اراضيه المسلوبة هذا من الطرف النوميدي اما الطرف الروماني فينص اساسا على قيام الملك بتزويد الرومان بالجنود و الفرق المساعدة ففي حالة الحرب لا يستطيع ان يكون الملك النوميدي حياديا و عليه تقديم الامدادات العسكرية للرومان و بالفعل قام الملك ماسينيسا بتزويد الرومان بالجنود في كل حملاتهم و حروبها كالحرب البونية الثالثة وقبل ذلك في حروبها مع الاغريق ضد مقدونيا والملك فيليب الخامس و بيرسيه و في حربها ضد انتيوخوس الثالث ملك السلوقيين في سوريا ، كما زودها الملك ايضا في حروبها الايبيرية ، وكانت روما تجدد طلباتها من الملك عن طريق ممثلين و سفراء لها بجانب الملك النوميدي وقد حرص الرومان على الحصول على هذه الامدادات البشرية وتشير نفس الباحثة الى توظيف الرومان لصيغة الطلب من الملك النوميدي عوض استخدام صيغة الامر في حصولها على هذه الامدادات.

---

[100] Lefebvre, S., 2017, P.130131

[101] Lefebvre, S., 2017 , P.131

بعد ان تطرقنا الى العلاقات الرسمية سنطرق إلى العلاقات الشخصية التي ربطها ماسينيسا مع الأفراد أو الشخصيات الرومانية، وقد استخدم مصطلح اميكوس (Amicus) عند التطرق الى الصداقة ذات الطابع الشخصي والتي كانت تتم في إطار إداري وهي لاتختلف كثيرا عن العلاقات التي تربطها روما مع أحد الشعوب الاجنبية او مع ممثلهم. ويعتبر اميكوس (Amicus) بمعنى صديق المصطلح الذي أطلق على الذين عرفوا بإخلاصهم لروما وهذه الصداقة تربط بين افراد ينتمون الى نفس الطبقة الاجتماعية[102].

فماسينيسا ريكس نوميديا هذا اللقب الذي اعترفت به له روما على حسب قول البعض او منحته اياه حسب ماذهب اليه البعض الاخر يخول ماسينيسا ان يكون في نفس مقام مجلس الشيوخ او اعلى منه حسب ما تخبرنا به الباحثة لوفبفير وتخلص الى القول ان الرومان لم يطبقوا هذا التوازن في الرتب للتعامل مع اصدقائها الملوك ، هولاء لم يكونو على نفس مستوى الرومان وانما كانت روما تتعامل على حسب معيار القوة كان ينظر الى الصديق من زاوية البعد الاخلاقي و الالتزام و النشاط و القدرة تقديم و رد الخدمات وذلك من دون البعد العسكري، تضيف نفس الباحثة وتشير الى ان الصديق ليس زبونا او تابعا لروما. كان ماسينيسا صديقا لروما واحتفظ ابنه ميكيبسا بهذه الصداقة، حمل ميكيبسا بدوره لقب صديق الرومان، باسم هذه الصداقة طلب اذربعل المساعدة من الرومان ضد يوغرطة الذي كان في نظره لا يستحق هذه الصداقة[103]. فماسينيسا وان لم يكن زبون (تابع) روما فانه كان من دون شك كذلك لعائلة قوية وهي العائلة السكيبيونية عائلة القناصل (Corneli Scipiones) عن طريق هذه العائلة تمكن الكثيرمن الملوك من الاتصال بمجلس الشيوخ الروماني و الدخول في حلف الرومان، ربطت عائلة ماسينيسا علاقة صداقة مع العائلة السكيبيونية ،تمكنت هذه العائلة القوية من ضمان استمرار علاقة ماسنيسا بالرومان ولو بشكل غير رسمي ، تأسست هذه الصداقة بين ماسينيسا و سكيبيون الافريقي واستمرت بين عائلتيهما فقد كانت عائلة سكيبيون تتوسط للملك عند مجلس الشيوخ الروماني،و حصل يوغرطة لمدة على تاييد و مساندة هذه العائلة في صراعه ضد ابناء ميكيبسا، هذه العلاقة التي امتدت الى غاية منتصف القرن الاول ق.م اي الى غاية عهد الملك النوميدي يوبا الاول. وكذلك نجد هذه العائلة تتكفل بتسوية خلافة الملك ماسينيسا. تشير الباحثة الى ضرورة التمييز بين هذه المصطلحات والالقاب: ريكس، حليف وصديق وزبون وعدم وضعها في كفة واحدة. فيما يقترح البعض استخدام مصطلح صديق وحليف عوض لقب ريكس، لان اللقب الاول في نظرهم أكثر دلالة وشانا، وان كانت هذه الالفاظ على اختلافها تعكس نوعا من انواع العلاقات كما سبق لنا الاشارة، في حين

[102]Lefebvre, S., 2017 , p.131-3.

[103] Lefebvre, S., 2017 , p.131-3.

نجد ان لقب ملك يطلق ايضا على أعداء الرومان من قبل المصادر الكلاسيكية وهنا نذكر الملك النوميدي سيفاكس ويوغرطة اللذين حمل لقب ريكس وقد تمتعا كلاهما بالقوة وامتلكا ثروة ولكنهما لم يكونوا ضمن من حملوا لقب حليف وصديق روما[104].

[104] Lefebvre, S., 2017, p.133-137.

الفصل الثالث

النظام السياسي السائد في نوميديا

يعتبر تاريخ المغرب القديم بصفة عامة ولنوميدي منه بصفة خاصة، من بين المواضيع التي لم تتضح معالم دراستها بعد بصفة دقيقة، ما استلزم على الباحثين في هذه الفترة بذل المزيد من الجهود للقيام ببحوث جادة، بغية توحيد وجهات النظر والرؤى من اجل توضيح بعض المسائل المتعلقة بتاريخنا القديم لاسيما تلك التي تخص الجانب السياسي والجانب العسكري.

إن اتخاذ النظام السياسي والعسكري في نوميديا كأنموذج للبحث التاريخي، يساعد على رفع اللبس وتوضيح هذه الجوانب من تاريخنا الضارب في القدم، ومن شانه ان يؤكد تبلور معالم نظام سياسي في المنطقة منذ فترة مبكرة، هذا النظام السياسي الذي ستتبلور عنه الممالك النوميدية ومن ثمة المملكة النوميدية الموحدة، التي عاصرت الأنظمة السياسية القرطاجية والرومانية وشاركت في صنع الأحداث في الحوض الغربي للمتوسط.

1.أصل النظام السياسي

عرفت منطقة شمال إفريقيا نوعا من التنظيم السياسي منذ فترة مبكرة من تاريخها، فلما أقبل الفينيقيون على إفريقيا وجدوها آهلة تقطنها شعوب عديدة لها حضارتها ، تقاليدها و نظمها السياسية[105] ، وتبقى المعلومات المتوفرة حول هذا التنظيم السياسي منقوصة[106]، لكن هذا لا يعني أن هذه الممالك أول ما ظهرت في القرن الثالث ق.م كما يذهب إلى ذلك البعض، إذ لا تترك النصوص الأدبية مجالا للشك في قدمها رغم اقتضابها[107]، فهذا يوستينيوس(Justinius) في روايته عن تأسيس مدينة قرطاجة يتحدث عن الملك هرباص (Hiarbas) في أواخر القرن التاسع ق.م ، فمن خلال أسطورة عليسا نتعرف على كيانين مختلفين، فمن جهة نلاحظ نوعا من السيادة الليبية التي تجسدت في ملك الماكسيتانيين هرباص فقد وجد الوافدون أنفسهم أمام واجبات إلزامية و مطالب صادرة عن سلطة قائمة ، وليس عن جماعات من الرحل و البدو التي يسهل دحرها والقضاء عليها باستعمال القليل من القوة[108]، و بالفعل التزم

---

[105] فنطر، م.، 1970، *يوغرطة من ملوك شمال إفريقيا و أبطالها* ، تونس ،ص.29.

[106]غاكي ، م.، 2007، *تونس عبر التاريخ* ،ج.1، تونس ص .100

حارش ، م هـ. ،1985، *التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء ماسينيسا العرش إلى وفاة يوبا الأول* 203 –

[107]46 ق.م ، مذكرة ماجستير ، جامعة الجزائر ، ص. أ

[108] Camps, G.,1979, « Les Numides et la civilisation punique »*AntAfr*., 14.,p.44

الوافدون بدفع تعويض سنوي عن الأراضي التي يشغلوها لهذه السلطة المحلية[109] وذلك منذ تأسيسها سنة 814ق.م إلى منتصف القرن الخامس ق.م، أي إلى غاية تحول قرطاجة إلى قوة عسكرية و اقتصادية فأصبحت تغزو على حساب الليبيين جهات اقتطعت فيها طبقتها الارستقراطية أراضي فلاحية وشرعت في تجنيد الأفارقة في صفوف جيوشها[110] .

ويرى البعض أن علاقة قرطاجة بالأفارقة شهدت تحولا انطلاقا من هزيمة هيميرا التي سجلت تراجعا ظرفيا لنفوذ قرطاجة في جزيرة صقلية، هذا التراجع كان وراء تكثيف قرطاجة لجهودها لإنشاء مجال حيوي جديد على حساب الليبيين المجاورين لقرطاجة والنوميديين[111].

هذه النزعة التوسعية وسياسة الإخضاع قابلها المحليون بالثورات ،العصيان والاتحاد مع العدو، هذا ما لاحظناه من خلال الأحداث التي أعقبت المشاركة المحلية في الحملات القرطاجية على صقلية، وكذلك عقب الحرب البونيقية الأولى ، حيث لم يتردد السكان المحليين بالاتحاد مع العدو، هذا ما لاحظناه عند الحملات العدائية الأجنبية التي استهدفت قرطاجة في عقر دارها، كالحملة التي قام بها الإغريقي أغاتوكليس سنة 310 ق.م هذا الأخير الذي تمكن من محالفة العديد من النوميديين الذين يقطنون ضواحي دوقة ، كما تحالف مع أيلماس ملك الليبيين الذي حالف الاغريق ثم انقلب ضدهم[112]،وقد لقي هذا الملك الليبي مصرعه على يد أغاتوكليس وقواته[113] .

عرفت المناطق المتاخمة لقرطاجة مع نهاية القرن الرابع ق.م نظام حكم قد يكون النواة الاولى للعرش النوميدي في شطره الشرقي، وان ايلماس المشار اليه انفا كان أقدم ملوك الماسيل او نوميديا الشرقية[114].

---

[109] Justin , *Histoire Universelle* , trad. J.Pierrot, paris , 1833, XVIII ,5.

[110] Julien, Ch. A., 1972, *Histoire de l'Afrique du nord des origines à la conquête arabe) (647 ap.j-c)* 2 éd ,Paris, p.66.

[111] بورونية ، ش .، الطاهر، م.، 1999 , *قرطاج البونية تاريخ حضارة، ص*.196.

[112] بورونية ، ش . ،الطاهر، م.، 1999، ص .201.

[113] قزال ، س.، *تاريخ شمال إفريقيا القديم*، ج. III ، تر.التازي ،س.،الرباط،2007، ص. 40

[114] Camps,G., 1960, « Aux origines de la berberie , Massinissa ou les debuts de l'histoire », *Libyca* ,VIII ,p.159.

كما أن تشييد ضريح المدغاسن الذي يعود تاريخه الى نهاية القرن الرابع ق.م وبداية القرن الثالث يدعم الراي الذي يذهب بأصول العائلة الماسيلية الى هذه الفترة الزمنية، ويرى غانم ان القبائل الماسيلية قد استقرت اول الامر حول المدغاسن، وشكلت النواة الاولى للدولة النوميدية في شكلها القبلي، وبعد توفر شروط قيام الدولة انتقلت تلك القبائل الماسيلية الى سيرتا، اين تطورت الى عرف بالممالك[115].

تكررت الأعمال المعادية لقرطاجة خلال أحداث منتصف القرن الثالث ق.م، حيث قام الأفارقة بنهب المجال الزراعي القرطاجي في ظروف حملة القنصل الروماني ريجولوس سنة 256 ق.م.[116]على قرطاجة أثناء الحرب البونيقية الاولى، ويخبرنا بوليبيوس برد فعل قرطاجة من خلال حملة حنون سنة 254 ق.م التي بلغت مدينة افريقية كبيرة والمتمثلة في مدينة تاقست[117].

لكن أخطر صدام عسكري وقع بين قرطاجة والأفارقة تمثل في حرب المرتزقة، أو الحرب الإفريقية كما سماها بوليبيوس[118]، ونجدها عند ديودور الصقلي باسم ثورة الليبيين[119]،

هذه الحرب الداخلية التي أعقبت الحرب الخارجية التي خاضتها قرطاجة ضد الرومان في صقلية، والتي انتهت بهزيمة البونيقيين الذين أبرموا الصلح مع روما[120]، إذ يخبرنا بوليبيوس

أن" قرطاجة دخلت مباشرة بعد ذلك في حرب داخلية ضد مرتزقيها وضد النوميديين والأفارقة، الذين انضموا إلى هؤلاء الثائرين المتواجدين على الأرض الإفريقية"[121].

دامت هذه الحرب ثلاث سنين وأربعة أشهر من (241 إلى 237 ق.م)[122] ، ونظرا لقسوتها وشدتها اسماها بوليبيوس بالحرب المبيدة والوحشية[123]، ويضيف نفس المؤلف أن هذه الحرب قد شكلت خطرا جديا على الوجود القرطاجي على الأرض الإفريقية، وعلى سلامة مواطنيها، كما هددت وجود مدينة قرطاجة نفسها.

---

[115]غانم، م .ص، 1998 ، *المملكة النوميدية و الحضارة البونية الجزائر* ، ص.69-70.

[116] Polybe*, Histoire*, trad.D.Roussel, paris, 1970, I ,2,7.

[117] Roussel, D., dans. Polybe, *Histoire*, 1970, p.12-20.

[118] Polybe,I,2,70.

[119] Polybe,I,2,65.

[120] Polybe, I, 2, 65.

[121] Polybe, I ,2,88.

[122] Polybe, I, 2, 65.

[123] Polybe, I, 65, 2.

شارك الافارقة في الحروب القرطاجية بصفة مجندين وليس كحلفاء[124]، إلى غاية الحرب البونيقية الثانية، أين تم الكشف عن علاقات مغايرة قائمة على التحالف مع الملوك المحليين، فبعدما شارك النوميديون في النزاعات القرطاجية السابقة كمجندين نظرا لطبيعة العلاقات القائمة على القهر والاستغلال وكذلك الضغط العسكري، شاركوا بصفة حلفاء أثناء الحرب البونيقية الثانية، وكان على قرطاجة مراعاتهم نظرا لتنامي قوة هؤلاء الملوك الأفارقة الذين قد يشكلون خطرا عليها في حال استخدامهم لهذه القوة ضدها[125].

برزت في منتصف القرن الثالث ق.م ممالك محلية عرفت بالممالك النوميدية، كقوة هامة في بلاد المغرب القديم، في ظل التطورات التي عاشتها المنطقة في تلك الفترة، والصراع البونيقي، لاسيما خلال فترة الحرب البونيقية الثانية، وذلك للدور الذي قام به الملوك النوميديين في تلك الفترة.

صورت لنا المصادر الكلاسيكية المكانة التي بلغها الملوك النوميديون في المتوسط حيث صور لنا تيتوس ليفيوس الملك سيفاكس خلال الحرب البونيقية الثانية وبالتحديد في سنة 213 ق.م كسيد له أتباعه في منطقة مضيق جبل طارق[126]، يخبرنا سالوستيوس ان سيفاكس كان على رأس امبراطورية قوية وواسعة[127]. وهي تلك المعلومات التي نملكها حول الموضوع.

2. النظام الملكي

يستبعد كل من قزال ولاسيير ان يكون النوميديون قد استمدوا النظام الملكي من قرطاجة فلم تعرف قرطاجة النظام الملكي، هذا ماجعل لاسيير يتساءل عن امكانية انتقال هذا النمط من الحكم من الشرق الى شمال افريقيا، وان النوميديين قد استمدوا هذا النظام من الشرق.

وبهذا يكون النوميديون قد اعتمدوا نظام الحكم الملكي تاثرا بالشرق الهيلينستي. اما عن التنظيم السياسي الذي عرفته الاقاليم الممتدة الى الغرب من قرطاجة فيطلق عليه لاسيير تسمية نظام دول الاسر او الدولة الاسرية او دولة الاسرة هذا النظام السياسي الذي تبنته المنطقة قبل الوجود الروماني. حيث

---

[124] بورونية ، ش . ، الطاهر، م.، 1999، ص. 198.

[125] قزال، س.، 2007،ج.III، ص.255

[126] Tite-Live, *Histoire Romaine*, trad. E. Lassérre, Paris, 1949, XXIV ,49, 5.

[127] Salluste, Guerre de Jugurtha, trad.G.Walter, Paris, 1968.

يرى نفس الباحث انه لا يمكننا فصل الاسرة عن الدولة كان العرش او الحكم ينتقل اليا من الملك الى الاكبر سنا في العائلة الملكية، وقد وصف لاسيير هذه الطريقة في انتقال الحكم بالمعقدة وهي كيفية اعتمدت في مناطق اخرى واتبعت في افريقيا في المرحلة التي سبقت الحكم الروماني وخلال عهد الوندال في المنطقة[128].

كانت الملكية ملك لاسرة معينة الامر الذي فتح المجال للتنافس وهنا نذكر مانقله لنا تيتوس ليفيوس حول الاحداث التي اعقبت وفاة الملك النوميدي قايا في سنة 206ق.م.

3.الملك النوميدي وسلطته

ارتبط نظام الحكم لدى النوميديين بشكل كبير بشخصية الملك وبالأسرة الحاكمة وقد ظهر الملك النوميدي في النصوص الليبية والنصوص البونية تارة بلقب GLDوتارة اخرى بلقب MMLKونادرا بلقب MNKDH. كان الملك النوميدي يعتمد بشكل كبير على ولاء وإخلاص ابنائه واقاربه ولولا هذا الولاء لما استطاع ماسينيسا النجاح في كل مخططاته التي كانت حسب لاسيير محفوفة بالمخاطر، وليس من السهل انجاحها اما عن سلطة الملك النوميدي فلم تكن بالمطلقة بالمقارنة مع سلطة الملوك الهيلينستيين. فقد واجهت سلطة الملك النوميدي عدة تحديات كمنافسة رؤساء القبائل ورغبة هؤلاء في توسيع صلاحياتهم وكذا منافسة اقارب الملك فقد كان الملك النوميدي في صراع مع امراء محليون هؤلاء الذين كانت لديهم مطامع تتنافى مع وجود مملكة وسلطة واحدة ويحدث ان تتدخل قرطاجة في مثل هذه الصراعات[129]

ويرى لاسيير ان لشخصية الملك دور كبير في مواجهة هذه الاضطرابات وان السلطة الملكية قد احرزت تقدما في عهد ماسينيسا ويؤكد ذلك بوليبيوس ويخبرنا ان عهد الملك ماسينيسا لم يشهد اي مؤامرة تمس بسلام وامن المملكة[130]

---

[128] Lassére, J. M., 2015, p.56.

[129] Lassére, J .M., 2015, p.56-58.

[130] Polybe,XXXVI,16 ;Lassére ,2015, p.56.

وأظف الملك النوميدي الجانب الديني وذلك لتدعيم وتقوية حكمه وتعزيز صلاحياته، فقد كان الملك بمثابة الوسيط بين الالهة والرعية[131].

عرف كامبس السيادة عند النوميد بالهيمنة على الاشخاص أكثر مما هي سيادة وملكية للاراضي، وتدعم الباحثة كولتلوني هذه الفكرة في قولها ان اعتراف القبائل بالملك هو اساس السلطة الملكية. ان اعتراف هذه القبائل بسلطة الملك يؤدي الى الاتفاق وارساء قواعد حسن الجوار، كما يتم تحديد المساعدات التي تلتزم هذه القبائل بتقديمها للملك. بموجب هذا الاعتراف تقدم هذه القبائل للملك المساعدات العسكرية عند الحاجة وكذلك تقوم بدفع الضرائب. هذا وكانت بعض القبائل الكبرى ذات صلة بالاسرة الحاكمة تقدم وحدات عسكرية اعتبرت بمثابة العمود الفقري للجيش، ويرى لاسيير انه لايمكن لنا تصور ممارسة السلطة الملكية دون حصول الملك على تاييد ودعم القبائل[132].

فقد كان مستقبل المملكة يقف عند علاقة الملك بزعماء القبائل هولاء الذين كانون حسب قزال من اصدقاء الملك وقد كان هذا الاخير يستقبلهم في مملكته.

4. ماسينيسا والعرش في نوميديا

ان ظروف اعتلاء ماسينيسا العرش وأمر استخلافه واستخلاف ميكيبسا تعكس هشاشة النظام النوميدي والسلطة الملكية[133]، الذي لم يتوفر على قواعد تضبط بشكل دقيق عملية انتقال العرش والسلطة[134].

اسالت مسالة خلافة العرش النوميدي بعد موت الملك النوميدي ماسينيسا سنة 148ق.م الكثير من الحبر، كذلك الدور المسند الى سكيبيو ايميليانوس(185-129) في هذا الامر.

[131] Lassére,J.M.,2015, p.56

[132] Lassére,J.M.,2015, p.57

[133] Ghaki, M.,2017, p.211.

[134] Gsell, 1927,VI ,p. 282.

أ. شخصية ماسينيسا

ولد ماسينيسا سنة238 ق.م من اب يدعى قايا، وأم نوميدية ذات منزلة بين قومها[135]، ويقول عنها قزال انها كانت من احدى المتنبئات الشعبيات[136].

ويعني اسم ماسينيسا حسب شاكر سيدهم، وماسينيسا لقب حمله الملك قبل ان يكون اسمه، وماسينيسا بمعنى سيدهم، هذا ويعتبر ماسينيسا أشهر الملوك النوميديين وقد حظي باهتمام المصادر الاغريقية والاتينية وكذا الباحثين المحدثين، توفي عام 148ق.م عن عمر يناهز التسعين عاما[137].

يمكن لنا التعرف على سمات ومواصفات الملك ماسينيسا الخلقية من خلال صوره المنقوشة على العملة التي قام بسكها او التي سكت في عهد ابنائه، والتي تظهر صورة الملك ماسينيسا وهو في الاربعين او الخمسين من عمره له ملامح معتدلة ويعلو مقلته حاجب كثيف اما شعره فكان طويلا وكانت له لحية مقرنة[138]. من بعض سمات شخصية ماسينيسا حسب ما ذكرته المصادر الكلاسيكية القوة القدرة على التحمل الشجاعة قوة التاثير في الغير النشاط الحيوية وبحنكته السياسية وايضا العناد.

وقد تربى ونشا ماسينيسا في البلاطات القرطاجية[139]اين تعلم وقضى طفولته حسب ما اورده ابيانوس[140]، ماسينيسا الذي انبهر بالثقافة القرطاجية وعمل على نشرها في مملكته وهو الذي جعل من اللغة البونية اللغة الرسمية في مملكت[141]فباللغة البونية نقش كل من سيفاكس وابنه فرمينا وماسينيسا اسمائهم وصفاتهم الملكية على عملاتهم[142].

---

[135] حارش، م. هـ.،2001، *دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة*، الجزائر، ص، 231.

[136] Gsell, S.,1918, HAAN, III, P.303.

[137] Lassére, J.M., 2015, p.68.

[138] [217]Gsell, *HAAN*, III, p. 301.

[139] Gsell,S.,VI,p.79

[140] Lassére,J.M.,2015,p.68

[141]Fantar, MH., 2017,"La politique culturelle de Massinissa », *Libyca*, 02, *La Numidie, Massinissa et L'Histoire, Actes du colloque international Constantine* , les 14,15 et 16mai 2016, p.245.

[142] Gsell, S.,VI, p. 9.

كان ماسينيسا ذو ثقافة بونية لكن هذا لم يمنعه من الانفتاح على الثقافة الهيلينستية فقد ربط علاقات تجارية مع جزر اغريقية كجزر رودس ودلوس ويرى فنتر ان ماسينيسا قد نجح في ربط علاقات مع العوالم الثلاث السائدة آنذاك في المتوسط وهي القرطاجيون، الاغريق والرومان[143].

لم يكن ماسينيسا يهتم بأمور عرشه فحسب وانما كان يرمي الى تحقيق مشروع أعظم يهدف الى تخليص المنطقة من اوليكارشية هرمة لا تقبل التجديد، والى توحيد البلاد وحشد قواتها وقدراتها للوقوف في وجه الاطماع الخارجية[144]، وفي هذا الشان يخبرنا قزال ان ماسينيسا نجح في بناء مملكة واسعة الارجاء وشرع في تغيير النوميد مستوحيا من سيفاكس في بعض الميادين كما اراد ان يبني سلطته على المنوال الهلينستي متأثرا بمقام وعظمة الملوك الهلينستيون[145].

كان ماسنيسا سيدا حقيقيا مطاعا من قومه مولعا بالحضارة، ويرى كامبس ان من عوامل نجاح واستمرار الماسيل في الوجود قوة شخصية الملك النوميدي ماسينيسا والى سياسته[146]

ب.ماسينيسا في المصادر الكلاسيكية

ان المعلومات التي اوردتها المصادر الادبية بشأن ماسينيسا وبلاده وكذا فترة حكمه متواضعة وهذا عائد الى طبيعة الاهتمام الذي خصته به هذه المصادر التي لم تهتم بالملك النوميدي الا في الفترة التي كان فيها على علاقة بالرومان[147].

---

[143] Fantar,MH., 2017, P.247.

[144] عقون ، ع.،2017، " ماسينيسا و بناء الدولة النوميدية "*ليبيكا* ،ع.2، *نوميديا ، ماسينيسا و التاريخ، وقائع الملتقى الدولي قسنطينة 14-15و16 ماي 2016* ،ص.60.

[145] [224]Gsell,VI, p. 281.

[146] كامبس، *البربر ذاكرة و هوية*، ترجمة ، عبد الرحيم حزل ،المغرب، ص131.

[147] Lefebvre, S., 2017, « Massinissa et Rome à l'aune des sources littéraires» *Libyca* ,N.02,*La Numidie , Massinissa et L'Histoire , Actes du colloque international Constantine , les 14,15et 16mai2016*, p.127.

ورد ذكر ماسينيسا في المصادر اللاتينية تحت لقب ريكس (Rex)، حيث أطلق عليه سالوستيوس لقب ريكس النومي(*Rex Numidarum*) [148]، كما حمل هذا اللقب كل من ميكيبسا، هيمبسال، اذربعل، غودا وقبلهما كل من قايا وسيفاكس[149].

وتخبرنا نفس الباحثة ان هذا اللقب أطلق على زعماء النوميد الذين عاصروا مجريات الحرب البونية الثانية امثال سيفاكس، قايا وماسينيسا وخلفائه، في حين تضيف الباحثة وترى ان زعماء القبائل الذين عاصروا مجريات الحرب البونية الاولى والذين تواصلت معهم قرطاجة وروما في سبيل كسب ودهم ودعمهم لم يحملوا لقب ملك، وتفسر نفس الباحثة ذلك بان الملوك الذين عاصروا الحرب البونية الثانية لم يكونوا مجرد زعماء قبائل فحسب وانما امتلكوا صلاحيات وأقاليم دون شك كانت معتبرة.

وقد كان الرومان يطلقون لقب" ريكس" على الاشخاص الذين كانوا يسيطرون على مناطق كبيرة وذات معالم (حدود) معينة، وتجتمع في قبضتهم كامل السلطة ان كانت سلطة سياسية او ادارية او عسكرية، اما عن طريقة وصول هؤلاء الى السلطة فلم يولي الرومان لها الاهمية ان كانت وراثية او باستعمال العنف والقوة[150].

شغل ماسينيسا مرتبة ملك بين قومه الذي كان مشكلا من مجموعة قبائل متفرقة، يقابل مصطلح ملك عند الرومان رجل يتمتع بالسلطة العليا في مملكة نجهل نمط تسييرها وإدارت.

حظي الملك بمكانة مميزة عند الرومان ووجدت روما في هؤلاء الملوك حلفاء يمكن الاعتماد عليهم عند الضرورة[151].

تشير نفس الباحثة الى استخدام النصوص اللاتينية لمصطلح او لقب "ملك" عند تطرقها لحلفائها الأفارقة دون استخدام القاب اخرى كلقب (Maston) بمعنى الحامي او لقب (HMMMLKT) بمعنى سيد المملكة النوميدية[152].

---

[148], Lassére, J.M., 2015, p.47

[149] Lefebvre, S., 2017, P.127.

[150] Lefebvre, S., 2017, p.127-128.

[151] Lefebvre, S., 2017 , p.128

[152] Lefebvre, S., 2017 , p.128.

•ماسينيسا في نصوص بوليبيوس

كان أحسن واسعد ملك عرفه عصره يقول بوليبيوس، حكم ما يقارب ستين عاما، تمتع خلالها بصحة جيدة عاش عمرا مديدا حتى بلغ سن التسعين، كان يفوق كل معاصريه بجلادته ومنعته، كان بإمكانه التزام الوقوف او الجلوس في مكانه طيلة نهاره، كلما تطلب منه ذلك، وبإمكانه ان يبقى على ظهر جواده طوال يوم بكامله، دون ان تظهر عليه ملامح التعب والارهاق[153].

وقد احتفظت المصادر الكلاسيكية بنفس اراء بوليبيوس حول ماسينيسا وأجمعت على قوته وشجاعته.

•ماسينيسا في نصوص ابيانوس

في شبابه كان وسيما ممشوق القامة احتفظ الى سن متقدمة بلياقة بدنية عجيبة يمكن ان يظل واقفا او راكبا اليوم كله يقفز على صهوة فرسه دون مساعدة أحد ووكل النوميد الاخرين كان لايعطي اهمية لاستعمال السرج وكان دائما حاسر الراس في البرد و في المطر وتمكن وهو في 88من عمره على قيادة جيشه في معركة ضارية و في الغداة وجده شيبيون الايميلي الافريقي واقفا امام خيمته يتناول كسرة خبز هي كل وجبته[154].

من خلال وصف ابيانوس لماسينيسا نقف عند البنية القوية والصحة الجيدة التي تمتع بها الملك ماسينيسا وهو في مرحلة متقدمة من عمره فماسنيسا لا يختلف عن اجداده الليبيين الذين اعتبرهم هيرودوت اصح الناس جميعا[155]. ويخبرنا قزال ان ماسينيسا كان شبابه حافلا بالأعمال، كان رجلا لا يعرف الخوف، ولا تأنيب الضمير، وكان جريئا الى حد التهور[156]. اما فنتر فيرى في ماسينسا مثابرة ومرونة في عمله وعلاقاته البشرية، ما يمده قوة تجعله يسيطر على العقبات[157].

•ماسينيسا في جغرافية سترابون

---

[153] Polybe , XXXVI,16.

[154] ابيان نقلا عن عقون، ع ،2017،ص.55.

[155] Hérodote,IV,187.

[156] قزال ،2007،ج.3،ص.251.

[157] فنتر ،1970، يوغرطة ، ص.40.

ورد ذكر ماسينيسا ماساناس (Masanassés)ثلاث مرات في الفصل الثالث من الكتاب السابع عشر في جغرافية سترابون، ويرى ديسونج ان إشارتين من الاشارات الثلاث كانت عابرة وهي ربما كانت وليدة الصدفة[158].

الإشارة الأولى نجدها في الفقرة التي خصصها سترابون للحديث عن بلاد الماسيسيل في جزئها المطل على الساحل وهنا يذكر سترابون[159] بان بلاد الماسيسيل كانت تحت حكم وسيطرة الملك سيفاكس قبل ان تتحول الى حكم وسيطرة ماسينيسا ومكيبسا وخلفائهما[160].

الاشارة الثانية الى الملك ماسينيسا وردت ايضا بصفة عابرة وربما بطريقة لا ارادية حين اطلعنا سترابون[161] في سياق حديثه عن بلاد الماسيل ان مدينة سيرتا كانت مقر اقامة الملك النوميدي ماسينيسا ومن بعده ابنه ميكيبسا وخلفائه.

الاشارة الثالثة حسب ديسونج كانت أكثر الاشارات قيمة تاريخية من حيث تحليل المعلومات والايضاحات التي قدمها سترابون حول ماسينيسا والواردة في جزء الثالث من الفقرة الخامسة عشر والتي جاء فيها ذكر للملك النوميدي ماسينيسا عقب تلميح سترابون الوجيز لتدمير قرطاجة في سنة 146ق.م وعرضه للتدابير التي اخذتها روما غداة ذلك مؤكدا على تأسيس الرومان لمقاطعة فوق الأراضي التي كانت خاضعة للقرطاجيين وبالمقابل قام الرومان بمنح بقية الاراضي لماسينيسا وجعلته سيدا عليها. وكأن ماسينيسا حسب قراءة ديسونج كان يجسد بداية عهد جديد في افريقيا معوضا بذلك العهد القديم الذي كانت تمثله قرطاج: "سقطت قرطاجة ودمرت وبالنسبة للبلاد قام الرومان بتشييد مقاطعة تضم الأراضي التي كانت ملكية القرطاجيين اما الاراضي المتبقية فقد منحت لماسينيسا

[158] Desanges, J ., 2017, « Le Massinissa de Strabon », *Libyca*,N.02, *La Numidie , Massinissa et L'Histoire , Actes du colloque international Constantine , les 14,15et 16mai2016,* p.87.

[159] Strabon , XVII,3,9

[160] Desanges, J ., 2017,p.87.

[161] Strabon, XVII,3, 13.

الذي جعلته سيدا عليها وخلفائه بداية من ميكيبسا، كان ماسينيسا في الواقع ذو مكانة واعتبار عند الرومان"[162].

نفهم من رواية سترابون للأحداث، نقلا عن ديسونج، ان ماسينيسا قد عايش سقوط مدينة قرطاجة كما تحصل من الرومان على الاراضي التي لم يقموا بإلحاقها بالمقاطعة الجديدة، في حين ان ماسينيسا قد توفي في اوائل سنة 148ق.م، كما كان ماسينيسا يملك اراضي اجداده الا وهي اراضي المملكة الماسيلية التي يبدو ان سترابون قد اعتبرها امتدادا للممتلكات القرطاجية. ولهذا فان سترابون في روايته لم يراع العامل الزمني والمكاني وقام بمزج واختزال احداث الحربين البونيتين الثانية والثالثة والتي توافق تاريخ الماسيل، فقد تجاوز ذكر الاحداث التي تمكن فيها ماسينيسا من استعادة املاكه وتوحيد دولته، فقد اكتفي سترابون في روايته الى الاشارة والتركيز على المملكة الماسيسيلية دون الحديث عن المملكة الماسيلية وتحديد مجالها الجغرافي[163].

ان سترابون لا يكتسب معرفة مباشرة عن افريقيا بين الاطلنطي وقورينة ولجوء سترابون الى من سبقوه ويرجح ديسونج ان سترابون قد اعتمد بوسيدونيوس وهو مؤلف يعود الى القرن الاول قبل الميلادي هذا ما جعل سترابون يستعمل سياقات مكانية معظمها بالية وسياقات زمنية متغيرة هذا ما ثبت في روايته عن ماسينيسا[164]

سترابون وان كانت معلوماته واضحة عن مملكة الماسيسيل فخلال مدحه لماسينيسا اشار الى الماسيسيل الذين يعرفون فحسبه بالنوماد (النوميد)، لكن فيما يتعلق بالماسيل نجد سترابون يلحقهم بالبلاد القرطاجية وكان نوميديا تتلخص عند سترابون في الاقاليم الماسيسيلية يذهب ديسونج الى القول الى ان سترابون قد أغفل اخذ الاشارات الخاصة بالماسيل من مصادره[165].

تمتع الملك النوميدي ماسينيسا بأخلاق حسنة فحسب ما يرويه لنا فاليير ماكسيميوس "ماسينيسا قام بتجهيز سفينة خماسية الدفع لإرجاع نابي الفيل اللذان قدمهما له كهدية أمير البحر النوميدي الذي

[162] Desanges,J ., 2017,p .87.

[163] Desanges,J ., 2017,p.88 ,89.

[164] Desanges,J ., 2017,p.91.

[165] Desanges,J ., 2017,p.89.

أخذهما من معبد جانو (Junon) بمالطا[166]، هذه الحادثة التي نقلها لنا ماكسيموس تعكس لنا احترام الملك النوميدي ماسينيسا لمعتقدات وأديان الشعوب الأخرى.

ت.خلافة ماسينيسا للعرش في نوميديا

وتزخر المصادر الكلاسيكية بتلك المواقف البطولية و الشجاعة للملك النوميدي ماسينيسا الذي خاض غمار الحرب البونيقية و هو في الخامسة و العشرين من عمره[167]،

وقد وصف قزال ماسينيسا بالملك القوي والمشهور[168] يضيف قزال ويقول ان قدوم الرومان الى افريقيا كان فرصة لماسينيسا الذي استعاد ملكه الضائع[169]اما تيتوس ليفيوس الذي يخبرنا " بان ماسينيسا من بين الملوك كان أكثر من ساعد الرومان"[170]ماسينيسا الذي لم ينس جميل الرومان على حسب تعبير سالوستيوس وبقي صديقا وفيا لروما[171] كان ماسينيسا على حد تعبير بوليبيوس أفضل الملوك النوميديين وأسعدهم، حكم مدة تزيد عن ستين سنة، وعاش عمرا مديدا إذ توفي في التسعين من عمره "[172].
ساد النظام الملكي الوراثي في نوميديا[173]، تميزت الملكية النوميدية بكونها إمرة حربية مخصوصة بالذكور، كما كانت ملكا لإحدى العائلات التي تنتمي بالذكور إلى جد مشترك، وكان الملك هو الأكبر سنا في العائلة ، وبوفاته ينتقل الحكم للأكبر سنا ، طبقت هذه القاعدة في الاستخلاف على السلطة بعد وفاة

---

166 Valére Maxime, *Faits et dits mémorables*, trad. R. Combes, paris, 1995, I, ext.2.

167 Tite-Live, XXIV, 49,4.

168 قزال س 2007 ، ج .III، ص.255

169 قزال، س.، 2007،ج.III،ص.255

170 Tite-live, XXIX, 29, 5.

171 Salluste, V.

172 Polybe, XXXVI, 4.

173قزال، س.، 2007 ج.V،ص.109.

غايا ، إذ لم يخلفه ابنه ماسينيسا ، وإنما خلفه شقيقه اوزلاكن[174] ، فالملك يعين وفق هذه القاعدة و لا يوجد بحسب ستيفان قزال أي نص يشير إلي مشاركة قانونية للرعايا في تعينه[175].

إذا كنا لا نعرف التقاليد المعمول بها قبل غايا ، فإننا على خلاف ذلك ، عرفنا ان ماسينيسا ، ترك العرش،يتقاسمه ابناؤه الثلاثة، ميكيبسا (Micipsa) ، غلوسا (Gulussa) مسطنبعل (Mastanabal) ، حيث نجد تقسيما حقيقيا للسلطة ، إذ استلم الأول السلطة التنفيذية و الثاني السلطة العسكرية أما الثالث فقد تولى السلطة القضائية [176] .

ان هذه الطريقة الجديدة في انتقال العرش، جعلت قزال يتساءل إن لم يكن في العائلة الملكية في نوميديا ،من هم اكبر سنا من ابناء ماسينيسا لهم الحق في العرش ، وهل كان هذا التقسيم بإرادة الملك المتوفى ،هذا الاخير وعلى حسب قزال كان قد اوصى القائد الروماني سيبيون ايميليانوس (الافريقي الثاني) بتسوية أمور العرش و الخلافة بعده [177] .

ويضيف قزال أن الملك النوميدي رجل حرب أكثر مما هو دبلوماسيا ، فلا يطاع إلا بقدر ما يحس الناس بقوة قبضته[178] ، بالرغم من الاهتمام الذي أولاه الملوك النوميديون للجانب العسكري لكن هذا لا يعني تجاهلهم للجانب السياسي كما حاول قزال ان يقنعنا بذلك فقد شكك في التنظيم السياسي النوميدي ، كان كل من سيفاكس و ماسينيسا على خبرة بالامور السياسية و كذا الرهانات السياسية الكبرى التي كان الحوض الغربي من المتوسط مسرحا لها هولاء الملوك النوميديين الذين امتلكوا سياسة متوسطية وحسب ديكريه وفنتر فان سيفاكس اتسم بالحنكة ، الدهاء و بعد النظر حيث وازن حجم المخاطر التي ستعقب الدخول الروماني إلى إفريقيا، فروما كانت تشكل خطرا على المنطقة برمتها[179] ، و لذا نجد سياسة الحياد الايجابي التي انتهجها سيفاكس حيال النزاع القرطاجي الروماني فسيفاكس لم

---

[174] Tite-Live, 1949, XXIX, 29, 6-9.

[175] قزال، س.، 2007 ،ج.V،ص.110.

حارش ، م هـ .، 1992، *التاريخ المغاربي القديم السياسي و الحضاري منذ فجر التاريخ الى الفتح الاسلامي*، الجزائر.ص.104-105.

[176]

[177]قزال، س.، 2007 .III، ص,301-302.

[178] قزال، س.، 2007 ، ج.V، ص.127.

[179] *Decret, F., Fantar, MH., 1982,* L'Afrique du nord dans l'Antiquité, Paris, p. 96-97.

يدخل الحرب مباشرة بل بدا بالتفاوض مع الرومان حول إقرار و إرجاع السلم ، و استطاع ان يجمع في لقاء سيقا التاريخي طرفي النزاع قرطاجة و روما حول طاولة الحوار في محاولة لإنهاء العداوة القائمة[180]، فبالرغم من تحالفه مع قرطاجة فان سيفاكس لم يدخل فعليا الحرب إلا أن أقدم الرومان على حرق معسكراته، سيفاكس الذي انهزم في معركة سيرتا وكان ذلك بتاريخ 23جوان203 ق.م،وتم أسره و نقله إلى روما التي توفي فيها[181].

كما توفر ماسينيسا على قدرات سياسية مكنته من الموازنة بين القوة القرطاجية و القوة الرومانية الصاعدة ليختار التحالف مع روما بعد ادراكه بتقلص النفوذ القرطاجي باسبانيا ، ماسينيسا الذي توقع انتصار روما في ليبيا ، تجلت معالم سياسة ماسينيسا الخارجية بعد الحرب البونيقية الثانية حيث كان ماسينيسا على علاقة بعدة جزر اغريقية ، وتظهر لنا معرفة ماسينيسا بالامور السياسية من خلال السياسة التي حرص على إتباعها مع روما لتحقيق مسعاه في دخول مدينة قرطاجة وجعلها عاصمة لملكه ، بسياسة قائمة على تعميق شكوك وسوء ظن الرومان بالقرطاجيين من خلال كشفه لتأمر هؤلاء على الرومان في كل مرة وذلك لتبرير اعتداءاته المستمرة على القرطاجيين ، وفي المقابل حافظ ماسينيسا على متانة صداقته بالرومان[182].

هذا ما يدفعنا إلى القول بان ماسينيسا اعتمد سياسة مزدوجة، والمتمثلة في إظهار التحالف الكلي مع الرومان وذلك من خلال سلسلة من الاعتداءات المتواصلة على الأراضي القرطاجية والتي كانت ظاهريا لإرضاء الرومان، غير أنه في حقيقة الأمر شن ماسينيسا هذه الاعتداءات لمصلحته الخاصة أكثر[183]، هذا ما ستبينه مجريات الأحداث القادمة.

---

[180] Tite- Live, XXVIII, 18, 2-3.

[181] Pais, E., 1940, *Histoire Romaine*, t.1, *Des origines a l'achèvement de la conquête 133 av.j.c.*, Paris, p.405.

[182] Boutchich, B. EK., 2004, « Les relations politiques de Rome avec le royaume de Numidie pendant la III guerre punique », *Afr.Rom* , V,15,t.3,p.1585.

[183] Boutchich, B. EK., 2004, p.1585.

لكننا نجد هذا الملك النوميدي وفي سبيل حفاظه وضمان استمرارية سلطته لم يكتف باستعمال القوة التي أخبرنا عنها قزال، وإنما وظف أيضا الجانب السياسي والديني هذا الأمر الذي يتضح في استعماله للتحالفات، اعتماده على الوسطاء وكذلك سياسة الإغراء والروابط الزوجية[184].

إنتهج الملك النوميدي سياسة التواصل المباشر والمستمر مع رعيته، كما عمل على كسب رضا ودعم ما يعرف بالوساط أو رؤساء القبائل[185]، الذين كانوا يتمتعون بقوة مادية ومعنوية[186]، وبدون رضاهم لا يستطيع الملك ممارسة سلطته فالرعية كانوا على ارتباط وثيق بزعمائهم المحليين فالقبيلة كانت لدى الشعب النوميدي الوحدة السياسية الأساسية[187].

أما عن توظيفه للجانب الديني فحسب غابريال كامبس يكون الملك النوميدي قد تمتع بقوة وحماية سحرية، وهو ما أسماه كامبس بالبركة، فالملك كان كاهنا بقدر ما كان قائدا عسكريا ورجل حرب[188].

هذا ما يدفعنا إلي الإعتقاد بأن الملك النوميدي قد وظف الجانب الديني بإضفائه صفة القدسية على ملكه، في سبيل الحفاظ على السلطة وهو ما سمح بظهور ما يسمى فيما بعد بعبادة الذات الملكية[189].

وعن مدى تمتع الملوك النوميديين بالسلطة المطلقة فيرى ستيفان قزال أن الملك النوميدي لم يتمتع بالسلطة المطلقة، وهذا عائد إلى طبيعة مملكته التي تفتقد الانسجام[190]، ويصور قزال المملكة النوميدية على أنها خليط من الرهوط الاجتماعية والسياسية.

المحافظة على نظامها الخاص وعلى استقلالها[191]، وهو ما ذهب إليه كل من فنتر وديكريه عندما أشارا إلى محاولة الملك ماسينيسا لفرض السلطة المطلقة، لكن سعة المملكة وصعوبة الاتصال وكذا النظام

---

[184] Decret , F., Fantar,MH.,1982,p.109-110.

[185] Decret , F., Fantar,MH.,1982,p.110.

[186] Camps , G., 1960 p. 246.

[187] Decret , F., Fantar,MH.,1982,p. 110 .

[188] Camps , G., 1960 ,p. 245.

[189] Camps , G., 1960 ,p. 280-285.

[190] قزال ، س.، 2007، ج. V ، ص. 116 .

[191] قزال ، س.، 2007، ج. V ، ص.116 .

القبلي و اختلاف نمط المعيشة بين الحضر و الرحل وقفت حائلا أمام قيام سلطة مركزية مطلقة[192]، في حين يرى البعض الأخر أن هذه التجمعات القبلية عارضت السلطة الملكية لأن زعماء القبائل النوميدية لا يريدون أن يكونوا مجرد رعايا فقط بل أرادوا المشاركة في السلطة ونظرا لفشل تمرد اتهم المتكررة أمام قوة القبيلة التي ينتمي إليها الملك الذي بيده القرار السياسي فإن هذه القبائل المعارضة قبلت بالسلطة الملكية [193].

مما سبق تبيّن أن المنطقة النوميدية توفرت على نظام سياسي تمثل في تلك الممالك التي حملت اسم المنطقة، تعرفنا أكثر على هذه الممالك من خلال أحداث القرن الثالث ق.م وبالتحديد من مجريات الحرب البونيقية الثانية، وسياسة التحالفات النوميدية إذ كانت للملوك النوميديين سياسة متوسطية ، حيث اتخذوا مواقف من التطورات الحاصلة في المتوسط وكانت هذه المواقف تتماشى مع طموح وتطلعات ملوك النوميديين، الذين عملوا على الاستفادة من الصراع القرطاجي الروماني بما يخدم مصالحهم الخاصة وعلى هذا الاساس قاموا بالتحالف مع القوى المتنازعة وشاركوا في الصراع إلى درجة أنهم أصبحوا طرفا رئيسيا فيه ، سخروا فيه كل إمكانياتهم الحربية،تعرفنا من خلال معارك الحرب البونيقية الثانية على الإمكانيات العسكرية للأمة النوميدية والمتمثلة في الجيوش و الأسلحة بالإضافة إلى الخطط الحربية.

إن الباحث في التاريخ السياسي لمنطقة المغرب القديم أو بعبارة أخرى ما يعرف بالشمال الإفريقي القديم، تعترضه عدة تساؤلات نظرا لسكوت المصادر الكلاسيكية عن ذكر معطيات عن تاريخ تشكل النظام السياسي في المنطقة، ما يترك فراغا مهولا في تاريخ المنطقة.

---

[192]Decret , F., Fantar,MH.,1982,p. 110.

[193] سليماني، ا.، 1991 ، *ما سينيسا و يوغرطة* ، الجزائر ، ص. 9

الفصل الرابع

مظاهر النظام السياسي في نوميديا

1. المدن النوميدية

كان تواجد المدن في افريقيا سابقا للوجود الروماني في المنطقة، حيث تشهد النصوص الكلاسيكية بوجود هذه المدن وكذا بالدور الهام الذي قامت به خلال الحروب التي ستشهدها المنطقة ابتداءا من حملة اغاتوكليس (310-309ق.م) الى غاية معركة تابسوس 46ق.م. وتبقى الصفة التي كانت لهذه المدن في ظل الهيمنة البونية غامضة، وتحمل اغلبية المدن المعروفة أسماء فينيقية كمدينة ازفون او روزازوس او اسماءا فينيقو ليبية دلس او روسوكورو، اما اخرى فقد تحمل أسماء ليبية كمدينة تالة[194].

وانه من الصعب التسليم بان جميع المدن الممتدة بين اعمدة هرقل الى غاية السرت الكبير بونية الاصل، فهناك إشارات الى مبادلات تجارية ومقايضة بين الفينيقيين والسكان، كما عثر داخل مقابر سكان المدن الساحلية على أثاث جنائزي خاص بالسكان الاصليين، كما عثر على نفس الأثاث الجنائزي في القبور الواقعة في المناطق الريفية[195].

أ.المدن الملكية

تقع معظم هذه المدن في المناطق الداخلية، فهي بعيدة عن الساحل باستثناء مدينة هيبو ريجيوس وسيقا، ومن المدن النوميدية نذكر: سيرتا، تالة، تيرميدة ريجيا، باجة ومدينة زاما، هذه المدن التي تتموقع في اغلبها في القسم الشرقي من المملكة النوميدية، وبالتحديد في منطقة مجردة السفلى، هذا القسم الشرقي المقابل للأراضي القرطاجية الذي سيصبح فيما بعد ملكا للرومان. هذا وقد ورد ذكر للمدن الداخلية النوميدية في اخبار القدامى منذ القرن الرابع ق.م، من بين هذه المدن مدينة قيرطا التي تبقى من اهم المدن النوميدية حيث كانت مقر اقامة الملوك النوميديين[196].

---

[194] Belkadi,A.,2002, *Recherche Sur Le Royaume De Numidie A La veille De L'absorption par Rome*,these de doctorat université Paris I Sorbonnne ,p119-122.

[195] Belkadi,A.,2002,p.122.

[196] Kitouni,D.K.,2003, « L'Algérie Numide»,Dans *L'Algerie aux temps des Royaumes Numides*, P.93.

• **سيرتا**

وهي الصيغة التي وردت بها هذه المدينة، KRTN، Kirta،Cirta سيرتا، قيرطا في العملات النقدية[197]. كرطا، قسنطينة اليوم اسمان عريقان للحاضرة المنيعة والتي وصفها استرابون منذ قرابة الفي عام. وان كان الاسم الثاني تذكاريا تزلف به المستوطنون الرومان لسيدهم الامبراطور قسطنطين وظل متداولا الى الوقت الحاضر، فان اسمها الاصييل والعريق كيرطا لم يمحه الزمن الطويل فهو يجسم أزهى مرحلة تاريخية مرت بها الجزائر في العصور القديمة[198]. وردت ذكر قسنطينة كعاصمة نوميدية في اخبار القدامى منذ القرن الثالث ق.م، قسنطينة التي كانت عاصمة الملوك النوميديين: سيفاكس، ماسينيسا، ميكيبسا، عزربعل، قودا، يوغرطة، هيمبسال ويوبا الاول، منذ 203ق.م الى غاية 46ق.م، اي ما ناهز 160عاما. وتعتبر مدينة قيرطا (الصخر العتيق) أقدم المدن النوميدية، وهي مدينة محلية فليس للقرطاجيين ولا للرومان فضلا في تأسيسها. كانت قسنطينة العاصمة السياسية، الادارية، الاقتصادية والثقافية للمملكة النوميدية، وكذلك المركز الديني ومكان تخزين القموح والمطمورات. وربطت قسنطينة علاقات تجارية وعلاقات ثقافية مع العالم المتوسطي القديم، والذي تمثل انذاك في قرطاجة، بلاد الاغريق، الايطاليين والايبيريين[199].

كانت منذ القرن الثالث ق.م كعاصمة وكانت محل اقامة الملك ، وعكست سيرتا مدى ازدهار المملكة ، تتجلى أهمية هذه المدينة في كونها محل تسابق بين الملوك النوميديين و القادة الرومان من اجل فرض السيطرة على هذه المدينة وهذا لما توفرت عليه المدينة من مميزات بدءا من موقعها الاستراتيجي الذي جعل منها حصنا في وجه العدو قيرطا التي تعد من اكثر الحواضر بقاءا و اطولها عمرا و اقدرها على الاستمرار هي التي تتوفر لها عوامل المنعة و النمو و الخلود فالمدينة كما سبق و ان اشرنا تعد حصنا

---

[197] Kitouni,D.K.,2003, « Cirta et Le Royaume Numide »,Dans *L'Algerie aux temps des Royaumes Numides*, P.47.

[198] شنيتي ،م .ب .، 2003، *اضواء على تاريخ الجزائر القديم (بحوث و دراسات)*،الجزائر ،ص.41

[199] Kitouni,D.K.,2003 ,p.93.

منيعا فهي تقع على ارتفاع معتدل وهي تتوسط منطقتين متباينتين من حيث التضاريس و المناخ و انماط معيشة السكان و هي السهول العليا و المرتفعات الشمالية من جهة اخرى[200].

-تأسيس المدينة

ان تاريخ تأسيس المدينة لا يزال مجهولا، وأقدم الأخبار عن مدينة قيرطا هي التي اوردها بوليبيوس عند إشارته المختصرة الى النداء الذي وجهه الملك ماسينيسا الى القائد الروماني سيبيون بوليبيوس الذي ذكر لنا موقع تواجد الملك النوميدي الذي كان في مدينة قيرطا ويضيف بوليبيوس ان شيبيون الايميلى قد حل بقيرطا بعد مرور ثلاثة ايام عن وفاة الملك ماسينيسا[201].

-سيرتا والنزاع النوميدي

كانت مدينة سيرتا محل نزاع بين المملكة الماسيلية والمملكة الماسيسيلية وهو ما برز في ذلك الاقتتال العنيف بين سيفاكس واسينيسا، ويبقى الغموض يسود وضعية هذه المدينة في تلك الفترة ذلك ان ما ورد في الكتابات الكلاسيكية لا يساعدنا على رسم صورة واضحة عن المدينة المتنازع عليها، فلا نعرف حسب ما يذكره (شنيتي م. ب.) فيما إذا كانت قرطا عاصمة للملك غايا وان سيفاكس قد احتلها بعد وفاة قايا ام انها كانت لسيفاكس ايام غايا؟[202] فتزال التساؤلات مطروحة حول إنتماءها الأصلي، إن كانت جزءا من أراضي الماسيسيل الأصلية أو هي ثمرة فتوحات سابقة[203]، وحسب ما جاء في نصوص تيتوس ليفيوس فان المدينة كانت ماسيسيلية[204].

أما موقعها فهي تقع داخل الأراضي الماسيلية، وفيما بعد اصبحت مدينة قرطا هدفا ومطمحا للامير ماسينيسا عندما عاد من اسبانيا مطالبا بخلافة والده غايا عام 206ق.م، الامر الذي يبعث على التساؤل حول الانتماء الاصلي لهذه المدينة، فبعد هزم ماسينيسا لسيفاكس و اسره في معركة 203 ق.م، دخل مدينة قيرطا و اتخذ منها عاصمة لمملكته الكبرى وحظيت بمكانة مرموقة لدى الملك الشاب ماسينيسا

[200]، شنيتي ،م .ب .، 2003،ص.41-42

[201] Belkadi, A., 2002,

[202] شنيتي ،م .ب .، 2003،ص.48

[203] Decret, F., Fantar.MH, 1982, p.82.

[204]Tite-live, XXX, 12, 3.

فأقام بها ولم يفضل عنها مدينة اخرى الى ان توفي عام 148ق، هذا ويفسر كامبس استعجال ماسينيسا بدخول قيرطا في رغبة هذا الملك في استعادة أراضيه[205] ، ماسينيسا الذي كان قد عبر ليلليوس عن رغبته للذهاب لدخول واقتحام سيرتا، وذلك مباشرة بعد هزم سيفاكس، ويخبرنا تيتوس ليفيوس عن الاوقات التي تلت هزم سيفاكس وعن السعادة التي غمرت ماسينيسا بقوله: ان فرحة ماسينيسا لا توصف وهو يجوب منتصرا اراضي اجداده، ليسترجعها بعد غياب طويل[206] .

ارجعت النصوص القديمة سبب إسراع ماسينيسا دخول قيرطا قبل الرومان، الى رغبة ماسينيسا الشديدة بلقاء صفونيسب، لكن ولأمور ظرفية واسباب سياسية جعلت من ماسينيسا يسرع لدخول سيرتا، ولربما كان سبب طلب ماسينيسا للقائد الروماني ليليوس بالسماح له وللمضي الى سيرتا منفردا، كان له علاقة بالمبدأ الروماني الذي يقول بتبعية الاراضي والمدن التي يفتحها الجيش الروماني للشعب الروماني[207]. وفي ظل عهدة الملك ماسينيسا توسعت مدينة سيرتا، واستطاعت ان تضم حتى عشرة الاف فارس وعشرين الفا من المشاة، اما عن الكثافة البشرية فقد توقع ان يكون عدد قاطني هذه المدينة قد بلغ مائة وخمسين الفا الى مائة وثمانين الفا[208].

هذه المدينة التي حضيت بكل اهتمام خلفاء الملك ماسينيسا، فالملك ميكيبسا، حسب ما أخبرنا به سترابون الذي تحدث عن جهود ميكيبسا لتحصين وتزيين مدينة سيرتا:" إن هذه المدينة تستطيع بفضل جهود ميكيبسا عن تجند عند الضرورة عشرة الاف من الفرسان، وضعف هذا العدد من المشاة"[209].

هذه المدينة نفسها التي نجدها في صلب أحداث حرب يوغرطة، هذا الأخير الذي علم بأهمية هذه المدينة، وعمل على الاستيلاء عليها عنوة حسب ما اورده سالوستيوس يوغرطة الذي شدد الحصار على المدينة واستعجل دخولها، وبالرغم من أمر روما الملكين بوقف القتال، إلا أن يوغرطة واصل الحصار وشدد الخناق على المدينة التي استعصت عليه، بعد حصار يوغرطة الطويل للمدينة الذي دام خمسة أشهر، يوغرطة الذي أجهد لاقتحام سيرتا عنوة، وبالرغم من تهديدات مجلس الشيوخ في حالة عدم رفع الحصار. وفي سنة

---

[205] Camps, 1960, P.176.

[206] Tite-Live, XXX,12, 6.

[207]Tlili,M.,2008, p. 247.

[208] Kitouni, D. K., 2003 ,p. 48.

[209] Strabon, XVII, 3, 13.

112ق.م سقطت سيرتا بيده، فقتل منافسه وقضى على الجالية الايطالية التي كانت مقتنعة حسب سالوستيوس أن الاسم الروماني كفيل بإنقاذها، هذه الجالية الايطالية التي كانت وراء تسليم اذربعل لنفسه وللمدينة ليوغرطة[210].

•سيقا

تقع على بعد90كلم من الملوية شرقا، و كان لها ميزات جغرافية نادرة الوجود، هذه المدينة الجاثمة على نجد صخري و المحاطة بمنحدرات وعرة، التي يتجاوز علوها متر ويجري من تحتها نهر الامبساقا، حيث كانت لا تدرك الا عن طريق برزخ الجنوب الغربي[211].

كانت سيقا المدينة الماسيسيلية الرئيسية، وقد أشير إليها دائما على أنها عاصمة سيفاكس، وفيها استقبل سنة 206ق.م شيبيون وعزربعل، وفي هذه المدينة التي من دون شك ضك فيها العملة، سيقا التي احتوت فيما بعد على ورشة بوكوس الثاني لصك العملة[212].

وكان لهذه المدينة منافذا بحرية، وميناء ضمنها الموانئ الشرقية كميناء بورتوس ديويني (المرسى الكبير) الواقع على مصب تافنا[213]، وبالرغم من هذه الواجهة البحرية فقد اعتبر كامبس مدينة سيقا مدينة قارية أكثر منها بحرية[214]. تبقى سيقا العاصمة الحقيقية للملك النوميدي سيفاكس، وقد تم ذكرها منذ القرن الرابع ق.م، وقد ذكرها كل من بوليبيوس، بلينوس، سترابون، بومبينوس ميلا واخرون، وحسب ما اورده تيتوس ليفيوس كانت هذه المدينة تابعة لسيفاكس في 206ق.م[215]. وتحولت الى أحد العواصم

---

[210] Salluste, XXV, XXVI.

[211] Julien,Ch.A.,1972,p.107-108.

[212] Camps, G.,1960, p. 206-207.

[213] Brixi, R., 2003,*Siga, Capitale de la Numidie,Dans L'Algérie* Aux Temps Des Royaumes Numides,p.63.

[214] Camps, G.,1960, p. 388.

[215]Brixi,R.,2003 , p.62.

النوميدية في اواخر القرن الثالث ق.م[216]، لكنها سقطت في يد الرومان وعرفت سيقا في هذه الحقبة بالنشاط الفلاحي والتجاري[217].

•زاما ريجيا

ارتبط اسم هذه المدينة بالموقعة الشهيرة زاما، التي وضعت حدا للحرب بين سيبيون القائد الروماني وحليفه ماسينيسا ملك الماسيليين من جهة، وحنيبعل القرطاجي من جهة اخرى. اما عن موقع هذه المدينة فيحدده بوليبيوس بخمسة أيام مشيا على الأقدام غرب مدينة قرطاجة[218] ويذكر تيتوس ليفيوس ان مدينة زاما كانت المدينة التي تمركز فيها حنيبعل بعد هدرومنت سوسة، حنيبعل الذي بقي يجهز للحرب من زاما لمدة سنة كاملة[219] .

ومن المولفين القدامى الذين ذكروا هذه المدينة نجد سالوستيوس،حيث اشار الى هذه المدينة التي سارع الرومان الى احتلالها لاستدراج يوغرطة الى مواجهة مباشرة[220] ، ويفهم من سالوستيوس ما كانت عليه هذه المدينة من أهمية قبل عهد الملك يوغرطة ، ومحاولة الرومان استعمالها طعما لاستقدام يوغرطة ، هذه المدينة التي وصفها سالوستيوس بالهام ويضيف سالوستيوس ويقول ":إن زاما تعد المركز الملكي الأساسي في المنطقة"،" هذه المدينة التي تقع وسط سهل ،كانت اقل حصانة بالطبيعة منها بالأعمال الفنية ، لكنها لا تنقصها الموارد ،كانت غنية بالأسلحة و الرجال [221] ، زاما التي ستصبح عاصمة ليوبا الاول ، و هي معروفة بسوارها لكن هذا لم يمنع يوبا من تقويتها و جعلها منيعة و مستعصية خلال الحرب الاهلية الرومانية، التي انتقلت الى الارض الافريقية ،مكان فصل النزاعات الرومانية ، يوبا الذي شارك في النزاع الروماني و اصبح طرفا فيه بعدما تحالف مع البومبيين ضد قيصر ، ولعل هذه الاسباب كلها هي التي كانت

---

[216] Brixi,R,2003, p.62

[217] Brixi,R., 2003,p.64

[218]Polybe,XV,5,3.

[219] Tite-Live,XXX,29,1.

[220]Salluste,LVI

[221]Salluste,LVII

وراء إقدام يوبا الأول على تقوية دفاع المدينة بإضافته إلى جانب السوار الاول سوار ثاني يحيط بالمدينة[222]. وتتميز المدينة بقربها من المقاطعة الرومانية في افريقيا.

•مدينة كلاما (قالمة)

وهي مدينة قالمة حاليا، و قد اثارت تسمية هذه المدينة الكثير من الجدل، بعد العثور على العديد من الاثار الجنائزية و النذرية التي احتوى الكثير منها على لفظ ملكا البوني او الفينيقي و تم اعتبار ان لفظ كلاما هو نفسه لفظ ملكا الذي قلبه الرومان فيما بعد، ملكا التي تعني الملكية على غرار هيبون ريجيوس (الملكية) بالاتينية، وهذا ما يودي الى القول ان هذه المدينة كانت تلقب بالملكية، و هو ما ادبالباحث شنيتي م .ب. الى القول بمشقة الفصل في هذه التسمية التي بقيت حسبه لغزا ينتظر حله[223].

اما عن دور ومكانة هذه المدينة خلال الفترة النوميدية، فيقول شنيتي ان كلاما كانت مركزا حضريا هاما، تقطنه عناصر فينيقية ونوميدية على حد سواء، وكذا ترسخ الثقافة الفينيقية المادية والمعنوية في هذه المدينة التي بقيت في الوجود خلال العهد الروماني[224].

سقطت كلاما كغيرها من المدن النوميدية عام 46ق.م، بعد هزيمة يوبا الاول امام قيصر، غير ان المدينة احتفظت بطريقة تسيير شؤونها في العهد البوني – النوميدي[225]

ب.المدن المحصنة

---

[222] Belkadi, A., 2002 P.181-183.

[223] شنيتي ،م .ب .، 2003،ص.58-60

[224] شنيتي ،م .ب .، 2003،ص.60-61

[225] شنيتي ،م .ب .، 2003،ص.61

•مدينة باجة

اختلفت الآراء حول تحديد هذه المدينة، حيث جاء ذكرها في كل من مونغرافية حرب يوغرطة لسالوستيوس والحرب الافريقية لقيصر التي جاء فيها ذكر لمدينة تحمل نفس التسمية[226]. كانت باجة حسب ما ذكره سالوستيوس مدينة نوميدية وكانت مسرحا لأحداث حرب يوغرطة وذلك منذ بدايتها في 111ق.م، ويقول عنها سالوستيوس: انها كانت السوق الأكثر ارتيادا في كل المملكة، حيث يقطن ويتاجر العديد من الايطاليين[227]. بعد سنة 105ق.م و هزيمة يوغرطة الحقت باجة و اراضيها بالمقاطعة الرومانية، و هناك من يجعل من باجة عاصمة للسهول الكبرى و مقر جالية معتبرة من الايطاليين[228].

•مدينة سيكا (الكاف)

تعود الأخبار المتعلقة بهذه المدينة الى النصف الاول من القرن الثالث ق.م، خلال حرب المرتزقة، فقد كانت سيكا هي المدينة التي جعلت منها قرطاجة مقرا لحشود المرتزقة في 241ق.م، وهي المدينة التي ضمها الملك النوميدي ماسينيسا[229]، وقد ذكر سالوستيوس هذه المدينة التي بعد ان تخلت على يوغرطة غقب هزيمته أمام ميتيلوس، جددت ثقتها في الملك النوميدي ، الذي دعا سكان مدينة سيكا إلى الالتفاف حوله لاسترجاع مملكته و استرجاع حريتهم و امنهم ، وكان السكان على ما يفهم من سالوستيوس على استعداد لمساندة يوغرطة لكن ميتيلوس تفطن في الوقت المناسب لينجو بنفسه و بالرومان حسب ذكره سالوستيوس [230] ، من غدر النوميديين [231]،تميزت سيكا بخصوبة أراضيها و كذا بقموحها وتعد بعد مدينة باجة من أهم الأسواق في المملكة النوميدية ، وكانت لهذه المدينة أهمية اقتصادية و عسكرية [232].

---

[226] Belkadi, A., 2002 P.191.

[227] Salluste,XLVII

[228] Belkadi, A., 2002, P.196.

[229] Belkadi, A., 2002, P.203.

[230]Salluste,LVI

[231] Salluste,LVI

[232] Belkadi, A., 2002, P.204-205.

اما عن تسمية هذه المدينة سيكا مقرونا بلقب فينيريا، ولعل ذلك يعود الى كون هذه المدينة تحوي على معبد الالهة عشتارت المعروفة عند الرومان بالالهة فينوس. وتحولت مدينة سيكا فينيريا في عهد الامبراطور الروماني اغسطس الى مأوى لقدماء جنود الرومان.

ت.المدن المنعزلة

•مدينة تالة

تقع هذه المدينة الى الجنوب من مدينة سيكا فينيريا، وعلى الغرب من مدينة حيدرة، وهي مدينة اشتهرت برخائها أيام حكم الملك النوميدي يوغرطة، هذا الأخير الذي خزن ثرواته فيها جاء ذكر تالة في خضم احداث سنة 108ق.م، فبعدما أقدم يوغرطة على اعدام صديقه بوميلكار، قرر الابتعاد ووصل الى مدينة تالة الكبيرة والغنية: "بعد هذه الحادثة، توغل يوغرطة في الصحراء مع الجنود الفاريين وقسما من الفرسان، ووصل تالة، مدينة كبيرة وغنية، حيث كانت معظم خزائنه والقصر الفاخر الذي يقيم فيه ابناؤه"[233]. ويضييف سالوستيوس ويقول ان ميتيلوس عندما علم بمكان يوغرطة، لم يتردد ابدا، رغم علمه جيدا ان بين تالة والنهر الأقرب تمتد اراضي قاحلة على امتداد خمسين ميلا[234]. وان كل ما اورده سالوستيوس حول هذه المدينة يبعث فينا الى الاعتقاد ان تاسيس هذه المدينة كان سابقا لعهد يوغرطة.

•قفصة

وهي من أعرق المدن النوميدية، تقع الى الشمال من حوض التريتون (الجريد) في اقصى جنوب شرق مملكة يوغرطة وفيها وضع خزائنه على ما يذكر سترابون[235]. وحول قفصة يقول سالوستيوس: "كانت توجد في وسط صحراء واسعة مدينة كبيرة وقوية تسمى قفصة، اسسها هرقل الليبي، سكانها معفون من الضرائب،

[233]Salluste, LXXV،

[234] Salluste,LXXV.

[235] Strabon, XVII, 81.

ويعاملون من طرف يوغرطة بمراعاة كبيرة، ولهذا ظلوا مخلصين له كثيرا"[236]. وحول أهمية قفصة الحربية فيطلعنا سالوستيوس ويقول: "كانت توجد في مأمن من هجومات العدو لا لصلابة اسوارها وقوة تحصيناتها وتعداد قواتها فقط، لكن ايضا وخاصة بسبب مناعة المناطق التي تشغلها، لان باستثناء الارباض المباشرة للمدينة، كل الباقي ما هو الا صحراء دون زرع ولا ماء، مليئة بالثعابين التي تزداد شراستها مثلما هو دائما عند الوحوش عندما لا تجد شيئا تأكله، دون اعتبار ان الثعبان أكثر خطورة بطبعه عند العطش"[237].

ان إخلاص أهل قفصة الشديد ليوغرطة، وكذا الظروف الطبيعية القاسية المحيطة بالمدينة والمتمثلة حسب ما ذهب اليه سالوستيوس: بانعدام المياه والثعابين الجائعة، لم تمنع القنصل الروماني ماريوس من التفكير والعمل على الاستيلاء على هذه المدينة – المستحيلة –وربما هذا عائد الى أهمية المدينة الحربية او ظروف الميدان الصعبة او رغبة ماريوس في الحصول على المجد الذي حصل عليه ميتيلوس من قبل بعد الاستيلاء على مدينة تالة[238].

بالرغم مما اشار اليه سالوستيوس عن المناطق القاحلة المحيطة بمدينة قفصة إلا أن الأعمال الاثرية كشفت في هذه المناطق نفسها عن العديد من المعاصر الخاصة بالزيت والتي تعود الى الفترة الرومانية[239].

2.تسيير المدن النوميدية

كانت المدن النوميدية تحت رقابة الملك النوميدي الذي اخضع هذه المدن أكثر من اخضاعه لبعض القبائل النوميدية، اما قزال فيرى انها كانت تتمتع بحكم ذاتي واسع[240].

---

[236] Salluste,LXXXIX.

[237] Salluste,LXXXIX.

[238] Salluste,LXXXIX.

[239] Belkadi, A., 2002, p.227.

[240] قزال ، س.، 2007، ج. 5،ص.120.

3.التنظيم البلدي

اثار التنظيم البلدي النوميدي العديد من التساؤلات هذا التنظيم الذي كان سابقا للوجود العسكري الروماني في المنطقة، وكان قائما على حد سواء في كل المدن النوميدية ساحلية كانت ام داخلية ذات الاصول المحلية، هذه الأخيرة التي سكت العملة باسمها مثل قيرطا، تاجوراء وغيرهما من المدن النوميدية[241].

اما بخصوص موسسات هذه المدن، فمعارفنا بها نادرة، فقد كانت لمدينة باجة اواخر القرن الثاني ق.م مجلس شيوخ و اشفاط، الذين كانوا موجودين ايضا في مدينة قيرطا وتبسة اشفاط منذ القرن الثالث ق.م، كما احتوت كل من دوقة ، مكثر ،قفصة، ووليلى و قالمة على هذا النظام[242]. وكان عدد الاشفاط في المدن النوميدية ثلاثا وليس اثنين، كما هو في قرطاجة والمدن الفينيقية، الى جانب هؤلاء الاشفاط نجد مجلس الشيوخ البلدي في باجة وقالمة[243]. وكان على راس البلدية رئيس يحمل اسم اقليد، وهو نفس اللقب الذي يحمله ملك النوميديين وكانت وظيفته سنوية، ياتي بعدها حاكمان يحملان لقب رئيسا المائة. كان الى جانب هؤلاء الحكام مجلس مشكل من اعيان المدينة، كما اشارت العديد من النقوش الى الكتاب والامناء والمحاسبين وامناء الخزينة والمقتصدين وناقلو البريد وجباة الضرائب[244]. فتوفرت المدن النوميدية على تنظيم مؤسساتي عريق هذا ما ذهب اليه قزال في قوله ان القرى النوميدية تمتلك منذ وقت مبكر نظام يماثل النظام البلدي البونيقي، ويضيف قزال ان هذه القري التي تحولت الى مدن احتفظت بمؤسساتها الأولى الأمر الذي لم يمنعها من الاقتباس والاختلاط بتنظيمات أجنبية[245].

ويعرف التنظيم المحلي بنظام الجمهوريات القروية وتتكون جمهورية القرية حسب ما ذكره حارش من ثجماعث او الجماعة التي تتألف من مجموعة من العائلات والتي تنتمي الى جد واحد، فالشيوخ هم الذين يديرون هذه الجمهورية الصغيرة. وتجري مناقشة القضايا ذات المصالح المشتركة حسب قزال في ثجماعت وهي التي تتخذ القرارات والشيوخ وحدهم هم الذين يأخذون الكلمة اثناء المناقشات، اما

---

[241] حارش،م.هـ.،2013، ص.57.

[242] حارش،م.هـ.،2013ص.57.

[243] حارش،م.هـ.،1992، ص.109-110.

[244] حارش،م.هـ.، 1992،ص.109-110.

[245] قزال ، س.، 2007، ج.5،ص. 118

عن القضايا التي تفصل فيها ثجماعت نذكر على اختلافها: اصلاح المسالك، مجاري المياه، توزيع مياه السقي توزيع الارض للزراعة وتفصل في الخلافات[246]. اما العقوبات التي تفرضها فالجماعة تجماعت تتدخل وتعاقب المجرمين بفرض الغرامات المالية على الشتائم والسرقة، الضرب وحالات الإضرار والجروح[247].

كانت هذه المجالس هي السلطة الوحيدة في القرية، ولا يستبعد قزال ان تكون المدن النوميدية تطورا عن مؤسسات القرى النوميدية هذه، بعيدا عن النماذج الاجنبية[248]. كما احتوت المدن النوميدية على الاشفاط، الذين كانوا ثلاثة وليس اثنين كما هو في قرطاجة والمدن البونيقية[249].

وبعد تأسيس المقاطعة الرومانية الجديدة في46 ق.م، تزايد عدد المدن الافريقية، اما المدن القديمة فقد عرفت بدورها الرخاء والازدهار في ظل السيطرة الرومانية حسب ما ذكره الباحث بلقاضي، غير ان محاولات التعمير الاولى للمدن بدأت منذ عهد ماسينيسا واستمرت في عهد خلفائه[250].

---

[246] قزال ، س.، 2007، 5،ص.62-
.5

[247] قزال ، س.، 2007، ج.5،ص.63.

[248]قزال ، س.، 2007،
ج.5،ص.63
.

[328]قزال ، س.، 2007، ج.5،ص.64

[250] Belkadi, A., 2002, P.135.

الفصل الخامس

أليات السلطة "الجيش"

توفرت الممالك النوميدية على قوة عسكرية التي كانت في خدمة الجهاز السياسي النوميدي فقد كان الجيش النوميدي مكمّلا ومدعما لسلطة الملوك النوميديين، وتبيّن لنا الأحداث الانسجام الكبير بين المؤسسة السياسية والمؤسسة العسكرية هذه الأخيرة التي ساهمت في تفعيل القرار السياسي النوميدي سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي.

ولنا في المصادر الكلاسيكية ما يدل على قوة المؤسسة العسكرية النوميدية فالمشاركة النوميدية في معارك الحرب البونيقية كانت كفيلة بتحقيق النصر وترجيح الكفة لصالح قرطاجة او لصالح روما[251]، ويخبرنا قزال بارتباط الانتصارات الرومانية بمشاركة ماسينيسا[252]، هذه المصادر التي اشادت بالدور الذي كان يلعبه الفرسان في القوات النوميدية، بالإضافة الى الخيول الجيدة والكثيرة العدد بناء على تلك المصادر، نجد ايضا شهرة النوميديين بالفروسية التي كانت الرياضة المفضلة عندهم وهو ما جعل نسبة الفرسان مرتفعة في هذه القوات[253].

اهتم الملوك النوميديون بالجانب العسكري حيث اهتم الملك سيفاكس بتطوير قوته وتنظيم أمور جيشه، وفي هذا الصدد طلب مساعدة الوفود الرومانية التي كانت ترجو محالفته في تكوين فرقة من المشاة لان هذا النوع من الجنود يمثل ركيزة الجيش القرطاجي وهو يريد ان يعادلهم في هذه القوة[254].

تتفق المصادر القديمة على قوة الفرسان النوميديين وشجاعتهم وكيف ارتبط تحقيق النصر بمشاركتهم الفعالة التي خلدتها الكتابات الكلاسيكية التي صورت لنا القدرات العالية
التي تمتع بها النوميديون[255]، فقد" كان الفرسان النوميديون أكثر ما يخشاه الرومان عند القرطاجيين".

---

[251] Ait Amara, 2013, *Numides et Maures au combat. États et armées en Afrique du Nord Jusqu'à l'époque de Juba Ier*, *Studi di Storia Antica e di Archeologia*, Ortacesus, Italie

[252]قزال،س.،2007،ج. 111،ص.251.

[253]أيت عمارة، و.، 2015، "الفروسية النوميدية في عصر الملوك"، *كتالوج، قرطا-سيرتا والممالك النوميدية، من القرن الخامس الى القرن الأول قبل الميلاد*، قستطينة، الجزائر.

[254] Tite -Live, XXIV,48,5-9.

[255] Ait Amara, O., 2009, *Les Soldats d'Hannibal*, , France.

تزخر الكتابات الكلاسيكية بالنصوص التي تصف الأساليب القتالية والمعدات الحربية للمشاة والفرسان النوميديين الذين خدموا في فرق مساعدة في الجيوش الرومانية والقرطاجية[256].

وتميز الفرسان والمشاة النوميديون بالخفة والسرعة في تنفيذ العمليات الحربية إلى درجة أن قال عنهم تيتوس ليفيوس" إنهم أسرع من الأحصنة نفسها"[257].

يعتبر الفرسان في الجيش النوميدي أكثر عددا من المشاة[258]، وهو ما يبرهن على المكانة التي يكتسيها الفرسان في الجيش النوميدي[259]، اعتمد الفرسان النوميديون في معظم الأحيان طرائق الحرب القرطاجية والرومانية، فقد شاركوا إلى جانب بعضهم وضد بعضهم الآخر في الحروب التي وظفوا فيها نفس أسلحة وإستراتيجية الأطراف المتنازعة[260].

تمتع الفرسان النوميديون، بجانب الموريين والجيتوليين بشهرة إلى درجة أنه تم ذكرهم من طرف المؤلفين عبر الحقب المختلفة من الحروب البونيقية إلى غاية الحروب الأهلية[261].

ونجد وصفا لهؤلاء الفرسان النوميديين عند سترابون في مؤلفه الجغرافيا، الذي ذكر لنا تقاليد الفروسية عند الأفارقة، "الذين يمتطون أحصنتهم بدون لجام، وبدون شكائم، وتعويضها بحبل يوضع على أنف

---

256 Brizzi , G., 2011, « L'apport des peuples de l'Algérie à l'armée de Carthage », *les* Phéniciens en Algérie les voies du commerce entre la méditerranée et *Algérie, p.147, Ait Amara, O., 2017, "Le rôle de Massinissa* l'Afrique noire*, dans la deuxième guerre punique",* La Numidie, Massinissa et l'Histoire*, Actes du colloque international (Constantine, 14, 15 et 16 mai 2016),* Libyca*, Nouvelle série n°02, CNRPAH, p.169-201.*

257 Tite- Live, XXV, 34, 13-14.

258 حارش ، م هـ .، 1992، ص. 113 .

259 غانم، م ص.، 2007 ، *المقاومة و التاريخ العسكري المغاربي القديم* ، الجزائر ، ص. 281 .

260 Ait Amara, O., 2007, *Recherche sur les Numides et les Maures face à la guerre depuis les guerres puniques jusqu'à l'époque de Juba 1er*, thèse de doctorat, Université de Lyon3, p.366, 2018, -« Le cheval et le cavalier numides : la statuette de Canosa », dans *Sandra COSTA ET Claire MAITRE (dir.), L'animal : une source d'inspiration dans les arts,* Paris, Édition électronique du CTHS, p. 12-26..

261 Hamdoune, Ch., 1999, p.69-70.

الحصان[262]، أما عن ألبسة المحاربين النوميديين والأفارقة بصفة عامة يقول سترايون" أنها ألبسة فضفاضة من جلود الحيوانات كالفهود، الأسود والدببة "[263].

تعود براعة الخيالة النوميدية إلى كون الفروسية جزءا لا يتجزأ من الحياة اليومية لدى النوميديين إذ كانت الفروسية ضرورية كما كانت تتماشى مع نمط حياتهم[264]، ولم يهتم النوميديون بالفروسية لأغراض حربية خالصة، بل تعداه إلى جوانب أخرى كالركوب للترفيه والرياضة[265] بعكس النوميديين نظر الرومان إلى الفروسية نظرة طبقية، واقتصرت ممارستها على الأثرياء دون غيرهم[266].

الى جانب الفرسان نجد فرق المشاة تميزت فرق المشاة النوميدية، بالحرفية في استخدام أسلحة الرمي الخفيفة، كالرماح والنبال والمقاليع، حيث أشار أبيانوس إلى وجود فرق من المشاة في جيش الملك ميكيبسا بقيادة يوغرطة لمساندة روما في حربها في إسبانيا أمام نومانس في 134 ق.م[267].

وتتجلى لنا الأساليب القتالية للمشاة النوميديين، من خلال ما يذكره مؤلف الحرب الإفريقية الذي يؤكد على سرعة وحيوية هؤلاء المشاة وتكاملهم مع الفرسان في المناورات العسكرية[268].

تتصف فرق المشاة النوميدية بقدر كبير من الفعالية، وهي تبث القلق والاضطراب في صفوف العدو، مستهدفة خيوله بضربات الرماح، وبذلك تمنع الفرسان من المشاركة في المعركة، بالإضافة إلى كونها تتعب

---

[262] Strabon, *Géographie*, trad.A.tardieu, paris, 1880,XVII,3,7,Silius Italicus, La Punique,trad.p. Miniconi,et g.Devallet, Paris,1979 , XVII, 65

[263] Strabon, XVII , 3, 7. Ait Amara, O., 2014, «La logistique de l'armée numide jusqu'à la mort de Juba Ier », *Rivista di Studi Militari*, 3, Boulogne, p. 29-46.

[264] Hamdoune, Chr., 1999, p.71.

[265]Ait Amara, O., 2014-2015, -«Le cheval en Numidie : bilan des connaissances», *Aquila Legionis*, 17-18, Madrid, p. 23-44..281.ص، 2007، غانم ، م ص.

[266] Hamdoune, Chr., 1999, p.71.

[267] Appien, *Histoire Romaine*, II,
livre, VI, *L'Ibérique*, trad. P. Goukowsky,
Hamdoune, Chr., 1999, Paris,2003, 14, 89 ;
p.66-67.

[268] César, *Guerre d'Afrique*, trad.A.Bouvet, Paris , 1949, XIII ;XIV ; LXIX

فرق مشاة العدو بسرعتها عند المطاردة وبذلك فهي تفلت من الصدمة والهجومات المعاكسة بسرعة فرارها[269].

لقد أثارت فرق مشاة النوميديين الدهشة في صفوف مشاة الرومان الثقيلة الذين انهروا أمام الأساليب المتبعة من طرف المشاة النوميديين في المعارك والتي ترتكز على السرعة في التنفيذ والمهارة[270].

إذا كانت فرق المشاة النوميدية الخفيفة محل إعجاب ومدح القدامى، فالوضع يختلف بالنسبة لفرق المشاة الثقيلة حيث تفوق الرومان بدون منازع في هذا المجال، ولم يحتاجوا إلى المساعدة الإفريقية[271]، حيث كان هذا النوع من التنظيم العسكري للمشاة مجهولا عند النوميديين، بدليل طلب الملك سيفاكس مساعدة الوفود الرومانية التي جاءت تطلب محالفته، في تكوين جنود مشاة على المنوال الروماني[272].

ونفهم من رواية تيتوس ليفيوس أن هذا الملك النوميدي سعى إلى تحديث جيشه وتنظيمه، وكذا معادلة البونيقيين في قوتهم الحربية[273].

اما حول تعداد هذه القوات ، فيمكننا القول بناء على ماهو متوفر عندنا من معلومات ، ان تعداد هذه القوات كان معتبرا جدا ، فبموجب العلاقات التي تربطه بقرطاجة ، تدخل سيفاكس عسكريا سنة 204ق.م على رأس قواته التي قدرت بعشرة ألاف من الفرسان وخمسين ألف من المشاة [274]، إلى جانب قرطاجة بعد قيام القوات الرومانية بقيادة شيبيون بمحاصرة مدينة اوتيكا ، وقد كان لالتحاق هذا الملك النوميدي بالقوات القرطاجية وقعا شديدا على القائد الروماني، وتذكر المصادر أن دخول سيفاكس جعل شيبيون يعدل عن حصاره لمدينة اوتيكا ، هذا الحصار الذي دام أربعين يوما [275].

---

[269] César, LXXI.

[270] César, LXIX.

[271] Hamdoune, Chr., 1999 , p.69, Ait Amara ,O., 2007,p.367.

[272] Tite -Live, XXIV , 48, 5.

[273] Tite- Live, XXIV, 48, 5-6.

[274] Polybe,XIV , 2,1.

[275] قزال ، س . ،2007 ، ج. III ، ص. 192

إلى جانب قول تيتوس ليفيوس الذي ذكر بأن: "إلتحاق ماسينيسا بالرومان هو أسعد حدث بالنسبة لهم في بداية هذه الحملة الأفريقية، هذا النوميدي الذي قدم على رأس 200 فارس حسب قول البعض لكن الأكثرية تقول بالتحاقه على رأس الفين من الفرسان"[276].

ويقدر بوليبيوس القوات التي التحق ماسينيسا على راسها للمشاركة في معركة زاما ويقول:

" التحق ماسينيسا بشيبيون الذي استقبل ماسينيسا بحفاوة وهو على رأس قواته التي قدرت بستة ألاف من المشاة وأربعة آلف فارس"[277].

شارك ماسينيسا بقوة في تحقيق النصر الروماني إذ يورد ستيفان قزال احتمال هزيمة شيبيون أمام حنيبعل لولا مشاركة ماسينيسا[278]، هذا ما يدفعنا إلى القول بان ماسينيسا حول الهزيمة إلى نصر[279]، كما قام ماسينيسا بمواجهة القرطاجيين سنة 150ق.م على راس خمسين الفا من الجنود وعدد من الفيلة[280]، كما خاض يوغرطة معركة شارك فيها ستون الفا من الفرسان[281]

أما فيما يخص الأسلحة النوميدية فهي أسلحة مشتركة بين جميع الشعوب الإفريقية، وهي مركبة من أسلحة هجومية أبرزها سلاح الرمح وأسلحة دفاعية أبرزها الدرع، كما أن هذه الأسلحة مواتية للصيد وتستجيب لضرورة الحرب، فقد تميزت بالخفة حتى لا تعيق الحركة اللازمة للعمليات القتالية (أنظر الصورة رقم1)[282].

---

[276] Tite-live, XXIX, 29, 4.

[277] Polybe, XV, I, 5.

[278] قزال ، س.، 2007، ج. III، ص.255.

[279] قزال ، س.، 2007، ج. III، ص 251-.255.

[280] قزال ، س.، 2007، ج. III، ص.254.

[281] حارش،م.هـ.،2013،ص.81.

[282] Hamdoune , Chr., 2007 , « Les armes du cavalier africain : de la réalité à la symbolique » dans *les armes dans l'antiquité de la technique à l'imaginaire* , p.19, Ait Amara, O., 2015, -"Les armes de protection des combattants numides à l'époque de Massinissa", *Massinissa au cœur de la consécration du premier État numide*, Actes du colloque international (El Khroub (Constantine) du 20 au 22 septembre 2014), p. 275-340.

صورة رقم 01: نصب ابيزار يمثل فارسا راكبا فوق حصان يمسك بيده درعا وثلاثة رماح.
صورة مأخوذة من متحف الآثار القديمة

من بين هذه الأسلحة نذكر الرماح المعروف بكثرة استخدامه عند النوميديين واعتبره قزال السلاح الوطني لهم ، ويمكن تفسير استعمال النوميديين لها بكثرة في معاركهم إلى استراتيجيتهم العسكرية فالنوميديون يتجنبون المواجهة المباشرة مع العدو و تسمح هذه الرماح بإبقاء العدو بعيدا[283]،الى جانب النبال و المقاليع التي يمكنها ان تصيب العدو من بعيد ، كما استعملوا القوس ووصف قزال استعمال النوميديين لسلاح القوس بالاستعمال المحدود[284] ، كما نجد استعمال الخنجر و السكاكين التي غالبا ما يأتي استعمالها في المرحلة الأخيرة من المعركة لذبح المنهزمين و كذا تعذيبهم[285].

يخبرنا تيتوس ليفيوس عن استعمال النوميديين لهذا السلاح الخفي في معركة كان في 216 ق.م[286]، كما ذكره سترابون ضمن المعدات الحربية لسكان شمال إفريقيا القدامى[287].

كما عرف النوميديون استخدام ادوات الحصار لاقتحام المواقع اذ تحدث سالوستيوس عن السرعة التي حاصر بها يوغرطة مدينة سيرتا مستخدما وقاء النقال الابراج وآلات من كل نوع محاولا اقتحامها[288]،

---

[283] Hamdoune,Ch ,1999,p.72-73.

[284] قزال ، س.،2007،ج. VI،ص.46-47.

[285] Brizzi, G., 1997, « Une coutume de guerre des Numides : réflexion d'après quelque épisodes des campagnes d'Hannibal », *BCTH,* XXIV, p.55.

[286] Tite-Live,1949 ,XXII,48,4.

[287] Strabon, 1880,XVII,3.

[288] Salluste, 21.

ويضيف سالوستيوس ويخبرنا بإحاطة سيرتا بخندق وتحصينات كما اقام يوغرطة الابراج التي زودها بالمحاربين[289].

كما استخدم الحصان، تميزت الأحصنة النوميدية بالقدرة على التحمل هذا ما أخبرنا به أبيانوس عندما تحدث عن صبرها على الجوع ومقاومتها للعطش[290] (صورة رقم2).

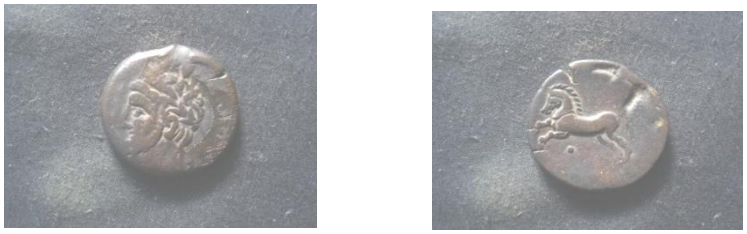

صورة رقم:02
عملة نوميدية، من معدن البرونز، تحمل في وجهها الأول رأس الملك ماسينيسا وعلى وجهها الثاني حصان في حالة عدو نحو اليسار.
صورة مأخوذة من متحف الآثار القديمة –الجزائر-

نقل لنا تيتوس ليفيوس شهادة الملك سيفاكس على مكانة الحصان المميّزة لدى النوميديين في قوله بان " أجداده حاربوا منذ القدم على متن أحصنتهم"، ويشير سيليوس ايتاليكوس الى امتلاك الملك سيفاكس لعدد هائل من الأحصنة[291].

يأتي الفيل في المرتبة الثانية بعد الحصان من حيث الاستعمال في الحروب (صورة رقم 3)، استعمل النوميديون الفيلة في حروبهم فقد استعملها يوغرطة في معركة موثول[292]،كما استعملها يوبا الأول، حيث قام قيصر بحجز 64 فيلا من فيلة يوبا الأول بعد معركة تابسوس في 46 ق.م ، وكانت هذه الفيلة مسلحة و مجهزة بالأبراج [293].

---

289 Salluste, XXIII.

290 Appien, *Histoire Romaine,* t.IV, livre VIII *L'Africain*, trad. P.Goukowsky, Paris,2002,11, 4.

291 Tite-Live, XXIV,48,5, Silius Italicus XVI , 170 .

292 Salluste,LIII.

293 César,1949, LXXXVI.

صورة رقم 3
عملة نوميدية، تظهر في وجهها الأمامي صورة للملك يوغرطة وهو ينظر نحو اليسار، وتظهر في وجهها الخلفي صورة الفيل متجها نحو اليمين، Mazard, J., 1955, Corpus Nummorum Numidae Mauretanieque, Paris, p.240, N.73.

أما الأسلحة الدفاعية فقد تمثلت في الدروع، ويخبرنا تيتوس ليفيوس أنه "عند الحركة يكون درع الفارس النوميدي محكوما في يده اليسرى وخلال المشي يحمله على ظهره، إلا أن هذا الدرع يتزحزح وينزلق على ظهره، فيعلق بجان[294].

أما الخطط العسكرية النوميدية فيذكر بوليبيوس أنّ عمليتي الكر و الفر إستراتيجية تميزت بها الأمة النوميدية و يضيف بأن :" النوميديين أثناء الكر و الفر ينقسمون إلى مجموعات صغيرة ،يدبرون من المعارك بإرادتهم و يقبلون للهجوم بكل جرأة "[295].

إلى جانب الكر والفر عرف النوميديون الاستعانة بالطبيعة أو حرب الكمائن المسماة في الخطط الحربية بحرب العصابات، وهي من أهم الاستراتجيات الحربية عند النوميديين[296] واعتمدها الملك يوغرطة نظرا لمعرفته الجيدة للميدان ومعرفته الدقيقة لقوات العدو[297]، ووظفها في حربه ضد ميتيلوس وتمكن من إلحاق خسائر معتبرة بالرومان[298].

كما استعمل النوميديون الحيلة و الخديعة، و هي من الخطط التي غالبا ما اعتمد عليها لاستدراج العدو[299] ، وذلك لنجاعتها و تعد الحيلة من الاستراتيجيات الحربية التي لا تكلف خسائر بشرية

---

[294] Tite-Live,1949, XXII , 48, 23.

[295] Polybe, III , 2, 72.

[296]De la Malle , D.,1852, *Histoire des guerres des Romains , des Byzantins et des Vandales*, Paris , p.55.

[297] Salluste, LIV.

[298] Salluste, LIV.

[299]Lucain, *La Pharsale*, trad .A.Bourgery, paris, 1926 ,IV ,735.

ومادية[300]، وقد لجأ ماسينيسا إلى الحيلة لاستدراج القائد القرطاجي حانون الذي كان مكلفا بحماية الممتلكات القرطاجية عقب النزول الروماني سنة 204 ق.م[301]، أما الحيلة التي اعتمدها ماسينيسا فتتمثل بالتظاهر تارة بأنه يريد إفزاع و إخافة العدو ، و تارة أخرى يتظاهر بالخوف ، و كان يقوم بالطواف و يحوم عند أبواب مدينة سلايكا و كأنه يريد التنازل ، هذا ما أعطى للقرطاجيين الجرأة و القيام بمطاردة ماسينيسا وسريته[302] ، و بهذا يكون القرطاجيون قد سقطوا في الكمين الذي أعده الملك النوميدي ماسينيسا رفقة شيبيون ، كما استعملت السرّية النوميدية التي قاتلت في صفوف الرومان الليقوريين سنة 193 ق.م الحيلة ، و أنقذت الجيش الروماني من كارثة حتمية[303]. ولجأ يوغرطة بدورة إلى الحيلة في حربه ضد الرومان[304]، كما استعمل سابورا وهو ضابط في جيش يوبا الأول الحيلة عندما أمر جيشه بالانسحاب شيئا فشيئا من ميدان المعركة ملهما بذلك العدو بخوفه وتخليه عن المعركة[305].

كما كان النوميديون يحاصرون أعداءهم في المعارك وخلال المناوشات وحتى عند الكمائن، وفي عملية الحصار والتطويق هذه كانوا يرمون العدو بالرماح، وتعتمد عمليتا الحصار والمضايقة على الخفة والسرعة[306].

تتجلى لنا عملية المضايقة في العمليات التي قام بها ماسيسينيسا، عندما كان يحارب في الصف القرطاجي في اسبانيا ضد الرومان، وكان ماسينيسا يقوم بمضايقة المعسكر الروماني بعدوه بالقرب منه، وكذلك خطف الرومان والقيام بهجمات مفاجئة مما يخلق الفوضى داخل المعسكر الروماني، و قد أثرت عمليات المضايقة على معنويات الجنود الرومان، الذين أصبحوا في حالة قلق و خوف بصفة مستمرة[307].

---

[300] Ait Amara, O., 2007, p.367.

[301] Hamdoune , Chr., 1999, p.85.

[302] Tite- Live , XXIX , 34, 8-10.

[303] Hamdoune, Chr., 1999, p.86.

[304] Salluste , CI.

[305] Lucain, IV, 740-745.

[306] Hamdoune, Chr., 1999, p.90.

[307] Tite -Live, XXV, 34, 3-5.

ولمضايقة وإزعاج العدو لم يتردد فرسان الملك يوبا الأول بالاقتراب من معسكر قيصر والدخول في مناوشات مع العدو، كما قام الجيش النوميدي بعرقلة قيصر و جيشه أثناء بحثه عن مكان مناسب ليعسكر فيه رفقة جيشه، حيث قامت القوات النوميدية بمضايقة مؤخرة جيش قيصر[308].

لاحظنا مما سبق خصوصيات الجيش النوميدي الذي كان يحارب ضد العدو بأسلحتها الخاصة ويستعمل كذالك أسلحة عدوه التي كان يستحوذ عليها أثناء المعارك. و كان هذا الجيش مسلحا بأسلحة دفاعية وهجومية كما كان يقوم بحماية مدن مملكته وحصنها بواسطة أدوات الحصار. ويتكون هذا الجيش من وحدات عسكرية عدة، اهمها الحرس الملكي وهو بمثابة الجيش الدائم وإلى جانبه فرق الفرسان والمشاة وتكمن أهمية هذه الوحدات خاصة في عددها الكبير وفي فرقها الخفيفة. وكانت مدربة تدريبا محكما حيث كانت تمارس السباق والفروسية ورمي الرماح وكانت تستعمل إستراتيجية حربية لتحقيق النصر، كالمعركة والحصار وحرب العصابات. وكان ملوك يفضلون تدريب جيشهم على فن الانصراف أكثر منه على فن الهجوم، كما كانوا يعودونه على الصبر والجوع. وهكذا كان الجيش مستعدا لكل الظروف الصعبة التي تعرض إليها أثناء الحرب. وتكمن أهمية هذا الجيش ايضا في استعماله للفيلة التي تنشر الرعب في صفوف العدو. وكثيرا ما تتحدث النصوص القديمة عن مختلف الانتصارات التي حققتها هذه الوحدات على الجيش الروماني وعن أهمية الدور الذي لعبته في الحروب التي عرفها حوض البحر المتوسط خلال الفترة القديمة ويعود هذا الدور الأساسي إلى التنظيم المحكم لها ومهارتها في استعمال الأسلحة.

[308] César, LXIX ; LXX.

الفصل السادس

الوجود الروماني والمقاومة المحلية

كان الصراع والاحتكاك الروماني بالسكان الاصليين بدافع مشكل الارض او تلك المجالات التي شغلتها القبائل حيث لم يكتف الرومان بعد نزولهم بالشمال الافريقي القديم بإخضاع المنطقة لنظمهم الادارية وانما استولوا على الاراضي الخصبة واستفحلت عملية مصادرة اراضي السكان الاصليين لاسيما مع عهد اوكتافيوس[309].

لم يكن من السهل على الرومان تحقيق احتلال بلاد المغرب القديم ، نظرا لمقاومة السكان المستمرة و العنيدة ، وكل ما نعرفه عن هذه المقاومة و الثورات المحلية مأخوذ من المصادر الادبية و النقوش الرومانية، حيث عرفت بلاد المغرب عدّة ثورات ضدّ التواجد الروماني في ارضها ،كانت اشهرها و اخطرها ثورة الملك النوميدي يوغرطة(111-105ق.م) الذي رفض التدخل الروماني في المنطقة، وبعد يوغرطة نجد مقاومة يوبا الاول الذي كان على دراية بسياسة روما التوسعية وحارب من اجل حماية ارضه ضد قيصر ومشاريعه التوسعية ، استمر المغاربة بعد سنة 46ق.م في تحيّن الفرص للثورة على السلطة الرومانية و استغلال الازمات الرومانية وهو ماحدث عقب مقتل قيصر في 44ق.م وذلك الصراع الموجود بين حكام المقاطعات الرومانية في افريقيا (الولاية القديمة و الولاية الجديدة) ، وقد قاد هذه المحاولة ارابيون التي تسجل من ضمن المحاولات النوميدية الهادفة الى التخلص من السلطة الرومانية. تجددت المقاومة الرافضة للوجود الروماني في بلاد المغرب ومن بين هذه التمرّدات والاضطرابات تلك التي شهدتها سنوات 22-21 ق.م على حدود مقاطعة افريقية وكان النصر فيها حليفا للرومان[310].

كما عرفت سنة 20 ق.م تمرد بعض من قبائل الجيتول (Gétules) التي كانت تحت حكم الملك يوبا الثاني، هذا التمرّد الذي ضمّ أيضا قبائل القرامنت (Garamantes) في الجنوب[311]. ورغم الانتشار الذي عرفه هذا التمرّد، نجح البروقنصل بلبوس (L. Balbus) في القضاء عليها بعد أن هزمهم في معركة على ضفاف الحضنة أمام جرمة

[309]الاعشي،م. ،1980،العلاقات العسكرية و السياسية في موريتانيا الطنجية بين المغاربة و الرومان من سنة 140م-285م، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا ،جامعة محمد الخامس، الرباط ،ص.114

[310] Coltelloni-Trannoy, M, 1997, le royaume de Mauretanie sous Juba II, et Ptolemee, Etudes d'Antiquités Africaines, p.48.

[311]Berthier, A, 1981, *la Numidie, Rome et le Maghreb*, paris, p.97.

وهناك من يرى أنّ هذه الحملة أعادت السلم المؤقت للمنطقة لمدة عشرين عاما[312]، غير أنّ ديون كاسيوس (Dion Cassius) يرى أنّ المنطقة لم تشهد السلم الفعلي إلاّ بعد سنة 6 م، أي بعد نجاح حملة لونتولوس كوكوس (lentulus Cossus) في القضاء على هذه الثورة[313]، التي كانت موريطانيا منطلقا لها، وكانت هذه الثورة تحالفا لقبائل الموسولام (Musulames) وقبائل الجيتول الشرقية والغربية، وتظهر لنا مشاركة يوبا الثاني من خلال ما جاء في العملات الموافقة لسنوات 31 و32 من حكمه[314].

كما نجد تخليدا للنصر في عملات يوبا الثاني الموافقة لسنوات 40، 41 و43 من حكمه وهذا إن دلّ على شيء فإنّه يدلّ على استمرارية الاضطرابات وأعمال العنف المناهضة لحكم الملوك الموريين وسياستهم القائمة على التحالف مع الرومان وحماية مصالحهم في المنطقة.

لكن تبقى ثورة "تاكفاريناس" (Tacfarinas) أخطر تمرّد على سياسة الملك الموريطاني والرومان في إفريقيا[315]، واهم المقاومات الامازيغية ضد الاحتلال الروماني خلال القرن الاول الميلادي تلك التي خاضها الزعيم النوميدي تكفاريناس ضد الرومان والتي استمرت زهاء سبع سنوات كاملة (من 17الى 24م)، في عهد الامبراطور تيبيريوس، تكفاريناس الذي حمل السلاح لارغام الامبراطور الروماني على الاعتراف بحق شعبه في الأرض.

1. ثورة تاكفريناس (17م-24م)

انفرد المؤرخ الروماني تاكيتوس في حولياته في نقل مجريات الحرب التي خاضها الرومان في شمال افريقيا ضد القبائل النوميدية والمورية، بقيادة تاكفاريناس.

يعد تكفاريناس أحد القادة العسكريين البارزين في بلاد المغرب القديم، خدم حسب ما ذكره تاكيتوس في الجيوش الرومانية، اين تمكن من اكتساب مهارات واساليب الرومان في القتال، ليقود فيما بعد الحرب

---

[312] Coltelloni-Trannoy, M, 1997, p.48-49.

[313]Dion cassius, Histoire Romaine, I, trad.E.Gros, paris, 1845, LV, 28.

[314] Coltelloni-Trannoy, M, 1997, p.49-50.

[315]شنيتي ،م.ب 1985، ص135.

ضد الرومان في بلاد المغرب القديم، بعد ان قام بتنظيم وتدريب ابناء قبيلته، وعلّمهم اساليب القتال استعدادا وإعلان الثورة على الاحتلال الروماني في 17م. انطلقت هذه الثورة من الأوراس لتتحول الى انتفاضة شعبية عمت تقريبا جميع بلاد المغرب من موريطانيا غربا إلى طرابلس شرقا.

كان "تاكفاريناس ينتمي إلى قبيلة الموزولامي (Musulames) التي كانت متمركزة في المنطقة الممتدّة من الكتلة الأوراسية جنوبا إلى سيرتا والمادور شمالا وإلى جهات قفصة شرقا اما غربا فهي تمتد إلى الحضنة[316]، اقترن اسم قبائل الموزيلامية بمقاومة الاحتلال الروماني حيث كانت منذ القدم سندا ودعما للملوك النوميديين كسيفاكس ويوغرطة وكذا الجيتول الذين ثاروا على الوجود الروماني في المنطقة، وقد وصف "تاكيتوس هذه القبيلة بالقبيلة القويّة والتي أصبح "تاكفاريناس" قائدا لها[317].

ساند قبيلة الموسيلامين العديد من القبائل والشعوب الافريقية منهم الموريين الشرقيين المتمركزين في موريطانيا القيصرية والكنثيين في الساحل الغربي من ليبيا، والجرمنتيين الواقعيين الى الجنوب[318].

•أسباب ثورة تاكفاريناس

تعدّ أسباب هذه الثورة محلّ خلاف ونقاش بين المؤرخين فتاكيتوس لم يتوقف عند اسباب هذه الثورة، كما انه لم يذكر لنا الاسباب التي دفعت تاكفاريناس إلى الفرار من الجيش الروماني، وإعلان الثورة، ولا الاسباب التي جعلت القبائل الافريقية توالي تاكفاريناس، تاكيتوس الذي توقف عند محطات هذه الثورة منذ انطلاقها وان نجده يشير الى الطلب الذي وجهه تاكفاريناس الى تيبيريوس بعد مرور خمسة سنوات من الحرب بمنحه قطعة ارض يستقر عليها هو واتباعه، هذا ما يدفعنا الى الاعتقاد ان أحد اسباب هذه الحرب كان مشكل الارض.

ويعتقد التازي ان ذلك التهميش الذي لقيه الجنود الافارقة الذين خدموا في الصفوف الرومانية كان سببا كافيا لانتفاضهم وكان تاكفاريناس من خيّرة الفرسان الذين خدموا في الجيوش الرومانية والذين

---

316 Lancel, S., 2003, *l'Algérie antique de Massinissa à Saint-Augustin*, paris, p.74

317 Tacite, *Annales*, trad.H.Bornecque,Paris,1965, II, 52.

318 شارن ،2001،*النشاط التجاري في نوميديا و موريطانيا القيصرية اثناء الاحتلال الرو.ماني* ،اطروحة لنيل الدكتوراة في التاريخ القديم،ص. 56.

طالبوا بالحصول على نفس المعاملة والامتيازات التي منحتها روما لجنودها من غير الافارقة[319]. هذا ويمكن ارجاع اسباب هذه الثورة الى مجموعة من الاسباب السياسية والاقتصادية والعسكرية.

تتلخص اسباب هذه الثورة من الجانب السياسي في السياسة التي اتبعتها روما في بلاد المغرب القديم و القائمة على تكريس الهيمنة الرومانية و الاستيطان لاسيما في فترة اوكتافيوس و تيبيريوس ، ولهذا فإنّ البعض يرى أنّ هذه الثورة كانت ضدّ الاستيطان الروماني في بلاد المغرب وضدّ سياستهم التوسعية[320]، كما يمكن ان يكون لضم نوميديا من طرف قيصر الى الممتلكات الرومانية وما لحق ذلك من تغيرات نتج عنها تخوف الشعوب المحلية من التغيرات و التحولات التي ستمس طرق عيشهم ولذلك شعروا بضرورة مواجهة الخطر الروماني هذا مايفسر تلك التكتلات القبلية التي تجمعت تحت قيادة تاكفاريناس لمواجهة الرومان نذكر منها الموسولام المور السينتيون و القرامنت [321]، هذه الثورة التي تجسد جانبا من العلاقات بين الرومان و السكان الاصليين الذين تحالفوا من اجل تحقيق غايات كبرى .

هذه السياسة التوسعية التي تتضح في إقامة الرومان لخط قابس–حيدرة، مرورا على قفصة، مع إقامة مركز الفرقة الاغسطية الثالثة في "حيدرة" بهدف مراقبة قبائل الموزولامي، والحدّ من تحركاتها[322] ، ويرى صلاما(P.Salama)انه اول طريق استراتيجي اقامه الرومان في الشرق الجزائري الذي تم إنشاؤه على ايدي جنود الفيلق الثالث الاوغسطي، بهدف تطويق الخطر الذي كانت تشكله منطقة السهوب التونسية الجزائرية التي كان سكانها في حالة ثورة دائمة ، هذا عن الأسباب السياسية، أمّا الاقتصادية فهي تتمثل في شق الرومان للطريق الاستراتيجي الرابط بين كاسترا ابيرنا مرورا بحيدرة و قفصة سنة 14م، هذا الطريق الذي اثر سلبا على نشاط قبائل الموزولامي و الجيتول الاقتصادي و الذي تمثل اساسا في رعي الماشية التي تقتات منها، استلاء الرومان على أجود الأراضي في بلاد المغرب،اذ تعد اراضي قبائل الموسولام من اخصب و اجود الاراضي ، هذه الاراضي قامت روما بتوزيعها على الجالية الايطالية و قدماء الجنود و ما في ذلك من تشجيع لحركة الاستيطان ، وطرد أصحابها إلى المناطق الجبلية

---

[319] التازي ، س.1977،ص246

[320] Coltelloni-Trannoy, M, 1997, p.50.

[321] خادم الله بنت ابيش، 1999 الثورات الوطنية ضد الاحتلال الروماني في شمال افريقيا (القرن الاول ق.م القرن الاول م بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا، جامعة محمد الخامس، الرباط، ص.155

[322] Coltelloni-Trannoy, M, 1997, p.48

الصعبة وغير الصالحة للزراعة[323]، ويبقى العامل الاقتصادي سببا رئيسيا لقيام تاكفاريناس بهذه الحركة الثورية، وتتضح لنا قوّة هذا العامل الاقتصادي في دعوة "تاكفاريناس الامبراطور تبيريوس (Tibère) الى ضرورة إعادة الأرض إلى أصحابها، مقابل إيقاف لهيب الثورة، مهددا اياه في حرب لا نهاية لها في حالة لم تقم روما بإرجاع ماسلبته من اراضي [324].

•مراحل ثورة تاكفاريناس

أ. مرحلة الإندلاع (17 م – 20 م)

يورد تاكيتوس في حولياته بعض المعطيات الخاصة ببداية الحرب اذ يقول : ''بدات الحرب في افريقيا و كان العدو تحت قيادة تاكفاريناس نوميدي عمل في الجيوش في الرومانية كمساعد ثم فر منها ...،لقد جمع في اول الامر حوله عددا من عصابات المتشردين و قطاع الطرق المتعودين على السطو و الاغارة و اللصوصية و قادهم الى النهب و السلب ثم دربهم على القتال ،فجعل منهم مشاة و فرسان منظمين ، و ما لبث ان تحول من زعيم عصابة الى قائد عسكري للمزالمة الذين كانوا أشداء و يقطنون تخوم الصحراء في افريقيا الخالية من المدن ، و حمل المزالمة السلاح وجروا معهم الموريين بقيادة مازيبا ، اقتسم القائدان الجيش وكانت احسن العناصر من المشاة و الفرسان تحت قيادة تاكفاريناس الذي عمل على تدريبها على النظام و الطاعة و الانضباط رغبة منه في تشكيل نخبة من الجيش على المنوال الروماني ، اما بقية العناصر فقد كانت بقيادة مازيبا(Mazippa وهي مشكلة من عصابات مكلفة بزرع الرعب و إشعال النيران و الإغارة على مواقع الرومان''[325].

نستشف من هذا القول مختلف التحضيرات التي قام بها تاكفاريناس قبل المواجهة مع العدو

والتي تنقسم الى تحضيرات سياسية وعسكرية حيث نجح تاكفاريناس في الحصول على دعم وتاييد القبائل المجاورة كقبائل المور بقيادة مازيبا والجيتول الذين دخلوا غمار الحرب، كما قام بالتحضيرات والاستعدادات العسكرية، فقام بتنظيم جيشه الذي قسمه إلى فرق من المشاة والفرسان، ووزع القيادة بينه وبين مازيبا، واحتفظ "تاكفاريناس" بخيرة العناصر الذين سلحهم على المنوال الروماني ووضع القوّات

[323] شنيتي، م، ب، 1985، ص136-137.

[324] Tacite, III, 73.

[325] Tacite, II, 51

الخفيفة التي كانت تقوم باشعال الحرائق والقيام بالمذابح، وبث الذعر تحت قيادة مازيبا[326]. بالإضافة إلى تأكيد الموريين لتاكفاريناس، " إنضم إليه الكنتيين الذين لا يستهان بقوّتهم على حدّ تعبير "تاكيتوس".

وقد دخلت هذه القوّات المتحالفة في مواجهة أولى مع القوّات الرومانية في ولاية إفريقية، في سنة 17م، قرب وادي الميثول وقد كانت القوّات الرومانية بقيادة البروقنصل فوريوس كاميلوس (F. Camilus) ، وقد كانت قوّاته قليلة العدد بالمقارنة بحشود النوميديين والموريين، ولكن يبدو أنّ هذا القائد الروماني كان واثقا من قدراته وقدرات قوّاته حتى أنّه خشي أن تتوارى القوّات الثائرة على المواجهة خوفا وفزعا من قوّاته، ويخبرنا "تاكينوس" أنّ الأمل الذي كان يراود هذه القبائل في تحقيق النصر هو الذي كان سببا في هزيمتها. وقام "كاميلوس" بتنظيم قوّاته، بحيث جعل الفرق الرومانية في المركز ووضع السرايا الخفيفة وفصائل الفرسان على الأجنحة، أمّا "تاكفاريناس" فإنه واجه القوّات الرومانية، وكانت نتيجة المواجهة هزيمة النوميديين وتشتتهم أمّا بروقنصل ولاية إفريقيا فقد حصل على إشادة الامبراطور شخصيا، ومجلس الشيوخ الذين كرموه بإشارات النصر[327].

إنّ الانتصار الروماني على "تاكفاريناس" وحلفائه ف 17 م لم يمنعهم من الاستمرار واستئناف هجماتهم على القوّات الرومانية في ولاية افريقية، إذ كانت قوّات "تاكفاريناس" تقوم بهجمات خاطفة ومباغتة لا يمكن التصدّي لها، كما كانت تقوم أحيانا بتدمير القرى الواقفة في نطاق الحماية الرومانية وكانت تحصل من هذه العمليات على غنائم كثيرة[328].

وبذلك نقول أنّ "تاكفاريناس" اتبع هذه المرّة أسلوب شائع الاستعمال عند النوميديين وهي استراتيجية "حرب العصابات"، وذلك بعدما فشل في المواجهة النظامية أو المباشرة الأولى، وفي إطار هذه الهجمات القويّة المباغتة، قام "تاكفاريناس" وقوّاته بتطويق كتيبة رومانية والنيل من قائدها، إنّ مصير الكتيبة الرومانية أثار حفيظة (L. Apronius) خليفة كاميلوس على حكم مقاطعة افريقية، وقد إلتزم

326 Tacite, II, 52.

327 Tacite, II, 52.

328 Tacite, III, 20.

"أبرونيوس" الحيطة والحذر، ولكن الأسلوب الحربي الذي انتهجه "تاكفاريناس" (حرب العصابات) أرهق الرومان، وأبطل فعاليتهم وتلاعب بهم[329].

ب.مرحلة القوّة والاتساع (20 م–23 م)

كانت المواجهات بين الطرفين مستمرّة، غير أنّ الصراع بقي عالقا بين الطرفين ولم يحسم لا لصالح "تاكفاريناس" ولا لصالح الرومان، وقد كان "تاكفاريناس" يبادر بالهجوم على القوّات الرومانية، هذه الأخيرة التي اكتفت بالدّفاع، وقد ألحقت هجمات "تاكفاريناس" المتكررة أضرارا متفاوتة بالرومان، هؤلاء الذين قاموا بملاحقة القوّات المهاجمة حتى تخوم الصحراء التي كانت مستعصية على الرومان، وقد اشتدّت هجمات "تاكفاريناس" التي أنهكت الرومان وبلغ صداها ووقعها روما نفسها، الأمر الذي دفع الامبراطور الروماني نفسه "تيبيريوس" (Tibére) ومجلس الشيوخ الروماني إلى الإسراع في اتخاذ التدابير التي من شأنها اخماد هذه الثورة وتمثلت في تعيين بروقنصل خبير في أمور الحرب وذو قوّة لشن حملة ضدّ "تاكفاريناس" ، وبذلك تمّ تعيين بلايسوس (Blaesus).أسند الإمبراطور "تيبيريوس" أمر القضاء على "تاكفاريناس" لوالي إفريقيا الجديد "بلايسوس" وقد حاول هذا الحاكم اللّجوء إلى الحيلة والخديعة لمواجهة "تاكفاريناس" فحاول أن يغري الثوّار من أنصاره، ويقنعهم بإغماد سيوفهم دون أن ينالهم أذى، وأن يعجلوا على إلقاء القبض على زعيمهم "تاكفاريناس" بأيّة وسيلة كانت، ويخبرنا "تاكينوس" أن الكثير من أنصار "تاكفاريناس" قد تراجعوا عن تأييدهم له بمقتضى هذا العفو الذي منحهم إياه الحاكم الروماني، وهكذا بدأ بلايسوس في محاربة "تاكفاريناس" بأساليبه وطرقه. وضيق الخناق على "تاكفاريناس" ورجاله ولم يترك لهم مساحات خالية في الولاية يمارسون فيها هجماتهم المتكرّرة، فحيثما اتجهوا كانوا يبدون جزءا من القوّات الرومانية في مواجهتهم، وهكذا سقط العديد من النوميديين قتلى أو أسرى في أيدي القوات الرومانية[330].

وبعث بلاسيوس الجنود الرومان من ذوي الخبرة إلى الصحاري الافريقية يرتادونها ويجوبونها للايقاع بتاكفاريناس، والسعي وراءه من مكان إلى آخر، وظلّ الحال على هذا المنوال إلى أن تمكنت هذه القوات من أسر أخ لتاكفاريناس هذا الاستحقاق الذي اعتبره تيبيريوس كحدّ للحرب مع "تاكفاريناس"[331].

---

329 Tacite, III, 20 21.

330 Tacite, III, 21, 32, 74.

331 Tacite, III, 74

عاود "تاكفاريناس" تجميع قوّاته والاغارة على مناطق الرومان في الولاية، كما انضمت إليه عناصر وقوّات إضافية شجعته على المضي في طريق مكافحة الوجود الروماني، وبدءا من سنة 23 م، كانت الأحداث تتوالى وهي في صالح "تاكفاريناس" ، إذ توفي يوبا الثاني في هذه السنة وثار رعاياه ضدّ ابنه بطليموس، وانضموا إلى الثوار، كما كان انضمام ملك القرامنت إلى الثورة سلاحا ذا حدين، فبالإضافة إلى تقديمه فرقا مساعدة لتاكفاريناس ، كانت بلاد "القرامنت" تقدّم له مركزا خلفيا آمنا، يلجأ إليه عند الضرورة، وفي هذه السنة أيضا سحب الرومان الفرقة الاسبانية التاسعة، وهو الحدث الذي عرف "تاكفاريناس" كبف يستغلّه، وذلك بنشر الفرقة نتيجة ثورات شعوب أخرى، فدعا كلّ الذين يفضلون الحريّة على العبودية إلى الانضمام إليه، وأضاف بذلك إلى استراتيجيته الحربية مقدرة سياسية كبيرة[332].

ونتيجة لكل هذه الأحداث التي توالت خلال هذه السنة، اتسعت الثورة وامتدّ لهيبها من "أعمدة هرقل" غربا إلى "السرت" شرقا، فعينت روما بدورها دولابيلا (Dolabella) لمواجهة الثورة[333].

ت. مرحلة التراجع والقضاء على تاكفاريناس 24 م

قام دولابيلا بأعدام قادة وزعماء الموزولامي للتأثير على نفسية "تاكفاريناس"، هذا الأخير الذي نقل مسرح عملياته نحو الغرب وحاصر مدينة توبوسكتو (تكلات)[334] ، التي اضطر إلى فك الحصار عنها بعد نجدتها من طرف البروقنصل "دولابيلا"، وقد استطاع الرومان بمساعدة جيوش بطليموس وبعض القادة العملاء من المرتزقة الموريطانيين اللذين كانوا في خدمة الرومان أن يلحقوا جيش "تاكفاريناس" وأن يباغتوه بالقرب من بقايا قلعة قديمة عرفت تحت اسم "أوزيا" (Auzia) أو "أومال" (Aumale) [335] شرق منطقة سور الغزلان الحالية بالجزائر ويرى اكريران تاكفاريناس وبعد خسائره قام بوضع حد لحياته[336].

وعن ظروف نهاية "تاكفاريناس وإخماد الحرب يخبرنا تاكيتوس:

---

[332] Tacite, IV, 24.

[333]حارش، م.ب، 1994، ثورة تاكفاريناس (17-24 م)، م.د.ت، ع.، الجزائر، ص132.

[334] Tacite, IV, 24

[335]غانم، م.ص، 2011، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر، القديم وأراء في تاريخ الجزائر القديم ج، 4، الجزائر ص203.

[336]اكرير ع . ع ،2016،*تاريخ المغرب القديم من الملك يوبا الثاني الى مجيئ الاسلام*، ص.38

لقد بلغ النوميديون حصنا مخربا يسمى اوزيا فأحرقوه ونصبوا خيامهم واستقروا فيه ...، وفي مطلع الفجر فاجاهم الجيش الروماني بأصوات الأبواق و الصيحات و اقتحم عليهم المكان، و كانت خيولهم مربوطة ولم يكونوا جاهزين للقتال ...، كانهم كانوا قطعانا يساقون على يد الجيش الروماني الذي قتل و اسر و اشبع رغبته في الدم و الثار من عدو يتهرب من المعركة ....، موت تاكفاريناس هو و حده الكفيل بوضع حد لهذه الحرب ،لكنه حين راى ابنه مكبلا و حراسه موتى و الرومان قادمون من كل الاتجاهات رمى بنفسه وسط الحراب ، حيث قتل و نجى من الاسر المحتم ، وبذلك تضع الحرب اوزاره[337].

ث. نتائج ثورة تاكفاريناس

- توسيع مجال الاحتلال الروماني نحو المناطق الداخلية وتعزيز عملية الاستيطان بانشاء مستعمرات لقدماء الجنود.
- مصادرة الاراضي الزراعية والقيام باعمال الكنترة والمسح
- تطبيق شكلين من النظم الإدارية في نوميديا هما: حكم إداري مدني في الشمال وحكم إداري عسكري في الجنوب طيلة العهد الامبراطوري الأول[338].
- عمل الرومان على ادماج قبائل الرحل في إطار المدنية الرومانية لتجنب ثورتهم واحتوائهم[339].

2. ثورة ايدمون

بعد ثورة تاكفاريناس انتشرت الرومنة في كافة مقاطعات الامبراطورية ولا سيما في مقاطعة افريقيا القديمة وان اختلف الوضع في مملكة موريطانيا التي عرفت اضطرابات جديدة والتي تزعمها ايدمون.

قام كاليغولا باحتلال موريطانيا القيصرية سنة 40ميلادي، بعد اعدامه الملك بطيموس، وبهذا يكون كاليغولا قد أنهى فترة حكم الممالك الوطنية والملوك المحليين لموريطانيا، وقد اثار الاحتلال الروماني

---

[337]نقلا عن مسرحي ،ج ،2008 المقاومة النوميدية للاحتلال الروماني في الجنوب الشرق الجزائري ثورات الاوراس و التخوم الصحراوية نموذجا ، مذكرة ماجستر ، ص.123

[338]غانم، م ص، 2007، ص 379

[339]مسرحي،ج.،2008،ص.124

لهذه المملكة واعدام ملكها غضب الموريين الذين انتفضوا سنة 40م بقيادة ايدمون الذي ينتمي الى حاشية الملك حيث التف حوله المور للثار لمقتل ملكهم بطليموس[340].

ولا نعرف عن ايدمون الا ما ذكره بلينوس في قوله ان الرومان وفي عهد الامبراطور كلوديوس وجهوا حملة عسكرية الى موريطانيا لمحاربة ايدمون الذي اراد الثار لبطليموس الذي قتل على يد كايوس قيصر (كاليغولا)[341]، فعدا الاسم لا نعرف أي شيئ عن شخصية وحياة ايديمون، حيث اكتفى بلينوس الى الاشارة الى عزيمة ايدمون للانتقام لمقتل بطليموس.

يبقى اصل ايدمون محل نقاش الباحثين بين من يرى فيه شخصية مهمة بين من يرى فيه مواطنا موريطانيا حرا ومن يرى انه من موالي الملك بطليموس226 و لكن المؤكد ان الثورة التي قادها ايدمون قد حظيت بتاييد شعبي كبير من المور و النوميديين وسكان المدن و الارياف حتى من البدو الذين شاركوا بقوة فيها ، هذه الحركة الثورية التي شلّت الفرقة الاوغسطية الثالثة التي بقيت عاجزة امام هذا الحراك الشعبي و الاضطراب الكبير الذي عم البلاد كلها الامر الذي جعل من الامبراطور الروماني كلوديوس يقوم باستدعاء فرق عسكرية جديدة من المقاطعات الرومانية الاخرى ومن اسبانيا وكذا بجلب الامدادات و المؤن للجيش الروماني الذي جند لاخماد هذه الثورة اما عن تقديره فقد قدر عدد الجيش الروماني الذي شارك في العمليات العسكرية ضد ثورة ايدمون بحوالي 20 الف مقاتل لتهدئة الاوضاع في نوميديا و موريطانيا[342]

أ.اسباب ثورة ايدمون

ان اغتيال بطليموس يعد بمثابة السبب المباشر لقيام هذه الثورة ويتساؤل التازي ان كان اخلاص ايدمون لسيده بطليموس وراء ثورة ضد اباطرة وجيوش الرومان؟ فيما ذهب البعض الاخر الى القول الى ان ثورة ايدمون كانت لدوافع شخصية[343]. ويرجح اكرير ان يكون ايدمون قد حمل السلاح ضد الرومان لرغبة

---

[340] شارن ،2001،ص.51-52.

[341] Pline l'ancien, H.N, V,11.

[342] شنيتي ، م .ب .،2003، *اضواء على تاريخ الجزائر بحوث و دراسات* ، ص.100-101.

[343] التازي ،س.،1977،ص،263,

الموريين للانتقام لملكهم المغدور ولرغبة ايدمون في الحفاظ على مصالحه وسلطته بموريطانيا والتي اصبحت مهددة بفعل الحضور الروماني المباشر في المنطقة[344].

يعتقد اخرون ان اسباب الثورة تمثلت في رفض القبائل الخضوع الى السيطرة الرومانية المباشرة كبديل عن النظام المحلي الذي مثله حكم يوبا الثاني و ابنه بطليموس فقد راى الموريون في هذا الحكم شيئا من السيادة و الاستقلال، وتخوفوا من قيام ادارة رومانية تعرقل نشاط هذه القبائل التي كانت دائمة الارتحال و التنقل تفرض عليهم نظاما جديدا و تثقلهم بتادية الضريبة هذا الوضع الذي استغله ايدمون كما ساعده غياب وريث شرعي لبطليموس[345] ووجد ايدمون في هذه القبائل خير عون ودعم هذه المساندة التي مكنته من الاستمرار في مواجهة الرومان لمدة اربعة سنوات كاملة تعاقب خلالها القادة الرومان لاخماد نيران هذه الثورة التي شملت مدن شمال المغرب كتموسيدا وتمودا و لكسوس وكوتا في حين وقفت مدن اخرى بجانب الرومان و ضد الثوار [346].

ب.نتائج ثورة ايديمون

لكن ثورة ايدمون باءت بالفشل بالرغم من شموليتها لكامل موريطانيا وانتهت بمقتل ايدمون وتوزيع اوسمة النصر على القائد الروماني كراسوس فروجي خلال الاحتفالات التي اقامها الامبراطور كلاوديوس في سنة 41ق.م[347]، وقد نتج عنها تاسيس مقاطعتين رومانيتين بموريطانيا في سنة 42م ، بامر من الامبراطور الروماني هما: موريطانيا القيصرية، عاصمتها الادارية القيصرية (شرشال) و هي الجزائر الوسطي و الغربية حاليا وهي ممتدة من سيرتا شرقا الى واد الملوية غربا ، وموريطانيا الطنجية نسبة الى مدينة طنجة عاصمتها الادارية وهي تمتد من نهر الملوية الى المحيط ، وقد تم تعيين وال على كل ولاية ،وبهذا تكون روما قد ضمت اراضي موريطانيا الى حظيرة الامبراطورية الرومانية بعد كل من قرطاجة و نوميديا.

---

[344] اكرير ، ع. ع،2016،ص.65

[345] خادم الله بنت ابيش،1999 ،ص.229

[346] التازي،س،1977ص.263-264

[347] اكرير ، ع. ع،2016،ص.68

انتصار الرومان ومكافأة حلفائها المحليين وقد تحصلت مدينة وليلي على درجة وصفة بلدية رومانية ومنحت المواطنة الرومانية لسكانها.[348]

استمرار المقاومة في المناطق الجنوبية والسهبية الذين رفضو الخضوع للاحتلال الروماني الذي ابتلع الشمال من بين هذه الثورات تلك التي قادها شخص يدعى صبال في الجنوب الوهراني الذي جهزت روما حملة ضده في عام 43م. واستمرار المقاومة في منطقة السهوب الغربية (الجنوب الوهراني) التي شكلت مصدر قلق على المؤسسات الرومانية اجبر الرومان على وضع استراتيجيات عسكرية لإحكام الاحتلال ولحماية المناطق الخاضعة لها هذا ما يتضح من خلال انشاء شبكة دفاعية او مايعرف بالليمس[349]. ولم ينجح ايدمون وصابال حسب ماذهب اليه الاعشى وذلك في اعطاء طابع الشمولية لحركتهما والتي لا تتحقق الا بتاليف كل الموريتانيين هذا ما يظهر في المدة القصيرة التي استغرقتها انتفاضتهما والتي انتهت بموت أحدهما واعتقال الاخر[350].

وفي الأخير نخلص الى القول، ان القرن الاول ميلادي شهد عدة ثورات مناهضة للوجود الروماني على ارض بلاد المغرب كانت ثورة تاكفاريناس اهمّها، لكن ثورة المغاربة لم توقف عجلة الاحتلال الروماني الذي عمل على تفعيل مؤسسته العسكرية وانشاء الخطوط الدفاعية ومحاصرة المناطق الثائرة وتشجيع استيطان الجاليات الايطالية في المنطقة.

كانت موريطانيا من الولايات التي وجد فيها الرومان صعوبة لضمها لاراضي الإمبراطورية، فقد واجهت مقاومة وثورات من السكان الاصليين واضطرت روما الى ارسال العديد من القادة العسكريين للقضاء على هذه الاضطرابات التي شهدها القرن الاول الميلادي.

ويمكن القول في الختام ان تاريخ المغرب القديم كتب باقلام اجنبية تمثلت في البداية في تلك الكتابات الاغريقية واللاتينية ثم الكتابات الحديثة التي جاءت بأقلام كولونيالية. وان شعوب المنطقة عرفت تنظيما سياسيا اختلف عن التنظيم القرطاجي والذي تمثل في الملكية هذه الاخيرة التي كانت عريقة في المنطقة

---

[348] اكرير ، ع. ع،2016،ص.68

[349] شنيتي ، م .ب .،2003 ص.100-101,

[350] الاعشى،،1980، ،ص.5

فقد عرف وجود ملوك ليبيين من خلال الكتابات المصرية والنقوش الهيروغليفية.وان الملوك سعوا الى تنظيم ممالكهم وخلق ادارة معينة لا قاليهم، هذا ما نستنتجه من وجود المدن والحياة المدنية في هذه الممالك التي تزامنت مع وجود الحياة الريفية وانتشار القبائل التي زاولت الارتحال والتنقل خلال مواسم معينة من السنة.وان المغاربة حرصوا على ضمان استقلال ارضهم فقد رفضوا اشكال التدخلات الرومانية في المنطقة وثاروا على سياسة الملوك الموالية للرومان. لكن الممالك النوميديا كانت ضحية للسياسة الرومانية التي هدفت الى السيطرة على كامل تراب الشمال الافريقي من اجل تحقيق الاستغلال المباشر لخيرات وثروات المنطقة وذلك دون وجود اي نظام او وساطة محلية بين الشعوب المحلية والرومان.

المحور الثاني

التطورات الاقتصادية للممالك النوميدية من النشأة الى الاحتلال الروماني

الفصل الأول

مصادر دراسة الاقتصاد النوميدي

لدراسة اقتصاد نوميديا في فترة ماقبل الأحتلال الروماني لدينا مجموعة من المصادر الأدبية الاغريقية واللاتينية وكذا المخلفات الأثرية والتي نستعرض أهمها فيما يلي:

1. أنواع المعارف

أ. المصادر الأدبية

تتميز المعلومات التي نقلتها المصادر الكتابية القديمة في مجال الاقتصاد النوميدي بالقلة وتبعثرها في مجموعة من الكتب يصعب العثور عليها، وهي كذلك غير كافية للإلمام بالموضوع وتناوله بدقة، لكن لا نملك سوى هذا النوع من المصادر، امام الغياب الكل للمصادر المحلية النوميدية أو القرطاجية. ففي هذه الظروف يتطلب الحذر عند التعامل بمثل هذه المصادر لأنها تفتقر الى الموضوعية ولأنها أنجزت من طرف أعداء الأفارقة ولا ننتظر الانصاف منها. ولذا تعد الاكتشافات والدراسات الأثرية الحديثة من أهم ما يكون للبحث عن الحقيقة التاريخية بالنسبة للتاريخ الاقتصادي الخاص بمملكة نوميديا وقبل التعرض للدراسات الأخيرة، نستعرض فيما يلي أهم المصادر الأدبية.

سالوست

تطرق سالوست في كتابه "حرب يوغورطة " الى النوميديين وعنايتهم بالنشاط الزراعي وحرفة الصيد ويبدو اهتمامهم بهذا الميدان أكثر في فترة يوغورطة، حيث يشير سالوست الى مدينة باقة المعروفة في القديم بسوقها للحبوب، والتي تردد عليه الأجانب من كل نواحي. وأشار الكاتب أيضا إلى دور نهر ميثول في تلك الفترة، حيث كانت تستغل مياهه من طرف المزارعين في أعمالهم المتعلقة بالفلاحة. لكن هذه الإشارات التي جاءت في كتاب سالوست تبقى غير كافية للالمام بكل الموضوع الخاص باقتصاد المنطقة لأنها تفتقر الى الدقة والتفاصيل، وأهملت عناصر شتى مرتبطة بالميدان كالجغرافية والمناخ وكذا أنواع المحاصيل الزراعية المتوفرة أو المنتجة في المنطقة.

سترابون

أشار سترابون في كتابه "الجغرافيا" إلى تربية المواشي في نوميديا وكذا بعض الحيوانات البرية المنتشرة في منطقة، وتطرق بالمناسبة إلى فترة الملك "ميكيبسا"، الذي استطاعت سيرتا في عهده الى توفير أعداد كبيرة من الفرسان، وأشار هذا الجغرافي الاغريقي الى وجود نظام ضريبي في نوميديا يفرض على تربية المواشي، لكنه لم

يحدد بالضبط الفترة الزمنية التي كان فيها هذا النظام سائدا. وكما أشاد سترابون بالحصان النوميدي وخصوصياته المتمثلة في السرعة وتحمل الجوع وتعب المسافات الطويلة.

بوليبيوس Polybe

أما بوليبيوس فقد أشار في كتابه "التاريخ" الى أنواع الحيوانات المنتشرة في افريقيا وذكر على سبيل المثال، الخيول والأبقار والماعز والغنم وتعتبر الثروة الأساسية. لكن لم يحدثنا بوليبيوس عن الحدود الجغرافية والظروف الطبيعية للمنطقة السائدة تلك الفترة وكذا المناطق التي انتشرت فيها تربية المواشي.

هيرودوت

أشار هيرودوت في كتابه "التواريخ" الى اهتمام الأفارقة بنشاط الري والزراعة ويحدد مناطق ممارسة هذه الأنشطة في المنطقة. لكن معلومات هيرودوت جاءت غامضة ويصعب اثباتها ميدانيا.

تيت ليف

يشير تيت ليف في كتابه "التاريخ الروماني" الى العديد من الحيونات الافريقية المستعملة في االمسارح والملاهي الرومانية، وتظهر في مقدمتها الفيلة التي كانت تصدرها نوميديا الى روما. وعرفت هذه التجارة رواجا كبيرا خلال د الثاني قبل الميلاد، لكن تيت ليف لم يحدد بدقة تفاصيل تجارة الى العالم الروماني.

ومن جهة أخرى يفيدنا هذا المصدر في كون الاقتصاد في نوميديا هي الثروة الأساسية وتحدث عن المساعدات من الحبوب التي كان يقدمها ماسينسا للرومان.

أبيانوس Appien

اهتم أبيانوس في كتابه "التاريخ الروماني" بتاريخ النوميديين وأشار الى استعمالهم للحصان في الصيد والحرب ولكنه لو يذكر كل التفاصيل الخاصة بدور هذا الحيوان في الصيد وطرق استعماله.

ب. المصادر المادية والأثرية

كشفت الأبحاث الأثرية التي تمت في نوميديا وخارجها عن مجموعة هامة من الأثار تدلنا عن وجود نشاطات تتعلق بالجانب الاقتصادي في نوميديا خلال عصر الملوك وتتمثل بالخصوص فيما يلي:

- **المسكوكات**

تمدنا القطع النقدية بمعلومات هامة ودقيقة حول عدة جوانب من المظاهر الحضارية. بالإضافة الى كونها وسيلة للمبادلات التجارية فهي تعتبر دليلا على وجود صناعة وهي كذلك مصدرا لمعرفة المعادن المنتشرة

في تلك الفترة. وبالنسبة للحضارة النوميدية، فبالإضافة إلى الجانب الإيكونوغرافي، تحمل هذه القطع نقوشا ورموزا تترجم ما كانت عليه الحياة اليومية في المنطقة وخصوصياتها، وتعبر كذلك وبشكل خاص عن الوضعية الاقتصادية. وتدلنا العملات الخاصة بالمدن على علاقة الاقتصاد بالسياسة ونظام الحكم السائد.

تزخر المتاحف المغربية وبالخصوص الجزائرية منها بأعداد لا تحصى من القطع النقدية وأهمها تلك المحفوظة بالمتحف الوطني العمومي للآثار القديمة بالجزائر العاصمة وكذا متحف سيرتا بقسنطينة (صورة رقم 1).

صورة رقم 1: قطع نقدية محفوظة بالمتحف الوطني للآثار

•المعالم الأثرية

تعتبر المعالم الأثرية هي الأخرى مصدرا هاما يذكرنا بالحضارات السابقة، وهي عبارة عن مباني قديمة تمدنا بمعلومات حول العمارة والتشييد. ويرتبط هذا الميدان بالجانب الاقتصادي لأنه يستعمل مواد البناء التي يحولها من حالتها الطبيعية إلى مباني. ويعتبر هذا النوع من المصادر بالرغم من قلته دليلا قاطعا على وجود نشاطات معمارية وأهم أثرها في نوميديا ضريح "الخروب" الذي يعود إلى عهد الملك ماسينسا وضريح "دوقة" المعاصر لفترة مكوسن ابن ماسينيسا.

•الفخار

إذا تحدثنا عن الفخار نتطرق إلى أنماطه المختلفة من الأدوات والاواني. وكان لهذا الميدان بعدا اقتصاديا بحكم تحويل مادة الطين من هيئته الطبيعية الى أشكال عدة قابلة للاستعمال، كالمصابيح الزيتية

والأنفورات وغيرها من الأدوات. ولقد عثر على العديد منها في نوميديا تعود الى فترة الملوك وهي محفوظة بالمتاحف العمومية.

•الأنصاب والنقوش

كان للبقايا الأثرية الخاصة بالأنصاب والنقوش أهمية في معرفة أنواع مختلفة من الأنشطة الصناعية وتحديد مجالات استعمال الصخور والاهتمام بالجانب الفني عند تحويلها من حالتها الطبيعية. ويعتبر نوعا من النشاط الصناعي مثلما ذكرنا، ويتطلب استعمال ادوات خاصة للنقش والرسم على الصخور وبالتالي تمثل أحد الميادين الخاصة بالاقتصاد في هذه الفترة. هذا بالاضافة الى ما تحمله الانصاب والنقوش من معلومات حول تاريخ الشعوب. وعثرنا على العديد من هذا النوع من الاثار في نوميديا.

نستنتج من خلال ما ذكرنا أن المصادر الأثرية تلعب دورا أساسيا في معرفة تاريخ نوميديا الاقتصادي، في الوقت الذي تنعدم فيه تقريبا كل المصادر الكتابية الخاصة بالحضارة النوميدية.

ت. **المراجع**

انعكست قلة المصادر المتوفرة حول التاريخ الاقتصادى لنوميديا على نوع البيبليوغرافية التي نملكها حول نفس الموضوع، فأهمل المحدثون بدورهم الشؤون الاقتصادية الخاصة بالنوميين وجاءت بعض كتاباتهم عامة ونذكر منها ما يلي:

Alexandropoulos, J., 2000, *Les Monnaies de l'Afrique antique 400 av. J-C 40 AP J-C.*, Paris,

تحتوي هذه الدراسة على عدة مواضيع هامة ويعتبر كدليل للتأريخ النقود القديمة حيث يتناول عدة مسكوكات منها التابعة للملوك النوميديين والموريطانيين ومنها الصادرة عن المدن المستقلة. يهمنا هذا المرجع أساسا في معرفة السياسية الاقتصادية للممالك النوميدية ووكذا حجم صادراتها وواردتها وهي بمثابة مرآة للاقتصاد والتغيرات الاقتصادية في الفترة المدروسة. وهو كذلك الدليل المعتمد في الدراسات النقدية لمعرفة أنواع المعادن المستعمله في صناعة النقود، القيمة النقدية ومدى تجاوبها عند الشعوب التي تتعامل معها نوميديا في عصر الملوك وكذا الرموز والشعارات التي تحتويها هذه القطع.

Berthier, A., 1981, *La Numidie, Rome et le Maghreb*, éd. Paris.

يفيدنا المرجع في معرفة العلاقة الاقتصادية بين نوميديا وروما وأشار إلى أهم العلاقات التجارية والمنتجات التي كانت نوميديا تصدرها إلى روما.

Camps, G., 1960, *Aux origines de la berberie, Massinissa ou les débuts de l'histoire,* libyca, VIII.

بالإضافة الى ما جاء في كتاب ق. كامس حول الأصول النوميدية في المنطقة وعن خصائص فترة حكم ماسينسا، أشار الكاتب الى الميدان الاقتصادي وطرق استغلال الأراضي واستصلاحها ومختلف منتوجاتها وكذا المبادلات التجارية لنوميديا بالشعوب الأخرى.

Dahmani, S., 2003, *Les Royaumes Numides, (L'Algérie au temps des Royaumes Numides Ve siècle av. J-C – 1ersiècle ap. J-C.*, Paris.

تطرق الكاتب الى عدة جوانب لاسيما الجانب الاقتصادي للممالك اللنوميدية ومدى اهتمامها بالجانب الزراعي وركز في دراسته خاصة على المنطقة الممتدة في الحدود الجغرافية الجزائرية الحالية. وتناول بالدراسة كذلك مكانة الممالك النوميدية في حوض البحر المتوسط القديم والتحولات الاقتصادية التي عرفتها خلال الفترة الممتدة بين القرن الخامس قبل الميلاد والقرن الأول قبل الميلاد.

Decret, F. et Fantar, M., 1981, *L'Afrique du Nord dans l'Antiquité, des origines au Vème siècle*, Paris.

ويخص كتاب دوكري وفنطر دراسة تاريخ افريقيا الشمالية من القرن الخامس قبل الميلاد، وأشارا في الجزء المخصص لفترة ماقبل الرومانية إلى العديد من العناصر المتعلقة بالنشاطات الاقتصادية للممالك المحلية. واهتما أيضا بالدراسة الجغرافية والتضاريسية للمنطقة التي ساعدت على القيام بالنشاط الزراعي والصناعي في المنطقة.

Gaid, M., 1990, *Les Berbères dans l'histoire de la préhistoire à la Kahina*, 1, Alger.

أشار قايد في هذا المرجع الى الفترة المتعلقة بالوجود الفينيقي والنوميدي في شمال إفريقيا وإلى العديد من الأحداث التي أثرت على الميدان الاقتصادي والاجتماعي وكذا المشوار التاريخي للممالك النوميدية وكيفية وصولها إلى أوج حضارتها الاقتصادية.

Lacroix, L., MDCCCXLII, *Histoire de la Numidie et la Maurétanie, depuis les temps plus anciens jusqu'à l'arrivée des vandales en Afrique,* Paris.

يتحدث المرجع عن تاريخ نوميديا وموريطانيا وعن المبادلات التجارية بين الطرفين. ويهمنا المرجع في دراسة علاقة نوميديا بمملكة موريطانيا قبل فترة يوبا الثاني وكذا الوضعية الاقتصادية في المنطقة.

Gsell, S., 1927, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord,* V, Paris.

يهتم المرجع بقضايا تخص التاريخ القديم لشمال إفريقيا. واكتسب س. قزال بفضل الرحلات التي قام بها عبر المنطقة معرفة هامة ساعدته في دراسته للممالك النوميدية، فتطرق الى أنظمتها الاجتماعية والسياسية وخاصة الاقتصادية منها حيث خصص لها صفحات عديدة في الجزء الخامس من كتابه. وركز بالدرجة الأولى على الزراعة والتجارة واسس تنظيمها ودرس أيضا علاقة الحرب بالاقتصاد في المنطقة.

Le Glay, M., 1966, *Saturne Africain – Monument, Numidie-Maurétanie*, II, Paris.

أشار م. لوقلي في كتابه إلى أحداث هامة تخص تاريخ نوميديا واعتمد في دراسته على المخلفات الأثرية التي عثر عليها في المنطقة. وتوصل الكاتب الى استنتاجات هامة حول مدى الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي الذي عرفته الممالك النوميدية في عهد الملوك.

غانم محمد الصغير، 1998، *المملكة النوميدية والحضارة البونية*، ط1، دار الأمة للنشر والتوزيع، الجزائر.

أشار محمد صغير غانم إلى العلاقة الموجودة بين المملكة النوميدية وقرطاجة وذلك من جوانب شتى وركز أساسا على العلاقات الاقتصادية وأنواع المبادلات التجارية السائدة بين الطرفين والتي تمارس سواء في الأسواق الداخلية أو الساحلية للمنطقة. يفيدنا هذا المرجع أيضا في دراسة مدى احتكاك الممالك النوميدية بالحضارات المجاورة.

لعروق محمد الهادي وفيلالي عيد العزيز،1984، *مدينة قسنطينة دراسة التطور التاريخي والبيئة الطبيعية*، قسنطينة.

تناول الكتاب بالدراسة التطور التاريخي لسيرتا، عاصمة المملكة النوميدية في عصر الملك ماسينسا وأشار المرجع إلى الظروف البيئية والطبيعية المساعدة للنشاط الزراعي في المنطقة. ويعد هذا الكتاب مرجعا هاما لمعرفة الإمكانيات الطبيعية والجغرافية لنوميديا ومدى استغلالها اقتصاديا.

بحاجة عبد الكريم، " من سيرتا إلى قسنطينة استمرارية المدينة العتيقة"، تعريب أحمد بوزيد، في *مجلة التاريخ*، العدد 25، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، ص. 19-23.

أشار الكاتب كغيره إلى الأطوار التاريخية التي مرت بها مملكة نوميديا واهتم بالجانب الاقتصادي المتعلق بها وتهمنا الدراسة خاصة في معرفة التغيرات الاقتصادية والسياسية الخاصة بنوميديا.

بعد معرفتنا لأهم المصادر والمراجع الخاصة بالتاريخ الاقتصادي لنوميديا، نستعرض فيما يلي تفاصيل أحد هذه المصادر الخاصة بالمسكوكات.

2. المسكوكات كمصدر لدراسة الاقتصاد النوميدي

يصعب دراسة التحف الأثرية التي تعتبر من الأثار المادية الخاصة بتاريخ نوميديا بسبب صعوبة تحديد أصلها وتاريخها لطول المدة الزمنية التي استغرقتها هذه الفترة. وبالتالي للاستفادة من هذه المسكوكات، حاول المختصون ترتيبها حسب المجال التاريخي الذي تعود اليه.

وصف المختصون المسكوكات كمفتاح لدراسة حضارة ما من مختلف جوانبها لا سيما الاقتصادي منها[351]. وتصنف القطع النقدية النوميدية من أهم الآثار لمعرفة القيمة الاقتصادية للممالك النوميدية في مختلف فتراتها. وهي تتميز بالتباين في حجمها ونوع المعادن المستعملة من فترة إلى أخرى وهذا ما نلاحظه بعد الإشارة إلى البعض منها المحفوظة في المتاحف الوطنية أو الجهوية.

[351] Troussel, M., 1948, « Le trésor monétaire de Tiddis », *R.S.A.C.*, LXVI, p.129-176.

أ. **المسكوكات النوميدية قبل توحيد المملكتين**

تخص القطع النقدية للمملكتين الماسيلية والمازيسيلية وأهمها تلك الصادرة عن الملوك:

-مسكوكات سيفاكس

لا نملك عن سيفاكس سوى نمطين مختلفين من القطع النقدية [352]وهما كالتالي:

•النمط الأول

يظهر على هذا النمط رأس الملك سيفاكس مكللا وملتحيا وهو متجها نحو اليمين وتبدو من خلال ملامح وجهه قوة شخصيته التي ترمز الى قوة مملكته (الصورة رقم2). أما على الوجه الخلفي للعملة فيظهر فارسا فوق حصانه متجها الى اليمين وهو يعدو وأسفله كرية ترمز إلى المملكة ومستطيلا يحمل بداخله كتابة بونية ترمز إلى عظمة المملكة[353]. وتحدثنا المصادر حول مميزات القوة عند الحصان النوميدي والذي استغل في مجالات عدة كالنقل والحرب وكذلك في استغلال الأرض. ويلاحظ على عملة سيفاكس المذكورة الدقة والتفنن في صناعتها وهي تشير إلى القوة الإنتاجية والحربية للمملكة.

الصورة رقم2: النمط الأول من عملات الملك سيفاكس

[352] Alexandropoulos, J., *Les Monnaies*, p. 210.

[353] Alexandropoulos, J., *Les Monnaies,* p.401.

•النمط الثاني

ارجع المختصون في البداية النمط الثاني من المسكوكات الى الملك سيفاكس عند شبابه وبعد دراسات عدة اكتشف أن صاحب العملة ليس بسيفاكس بل ابنه فيرمينا354، (الصورة رقم 3) وتحتوي هذه القطعة على رموز للقوة. تظهر صورة شاب على الوجه الأمامي للعملة بملامح رومانية وغير إفريقية وفسره البعض بتأثير ملوك الأفارقة بالرمزية الرومانية ويظهر على الوجه الخلفي للعملة حصانا عاديا بدون فارس355. وأرجع المختصين هذا التحول إلى اعتبارات سياسية مفروضة اثرى انهزام الملك سيفاكس في الحرب البونيقية الثانية وأخذ أسيرا الى روما، فقام ابنه فيرمينا بصك هذه القطعة النقدية لهدف استعطاف روما وإطلاق سراح أبيه356.

الصورة رقم 3 النمط الثاني من عملات الملك سيفاكس عليها صورة ابنه فيرمينا.

-مسكوكات ماسينسا

تميزت مسكوكات ماسينيسا باعددها عكس ما لحظنا بالنسبة للملك سيفاكس. أشرنا في البداية الى البعض من نقود ماسينيسا، معظمها ضربت في سيرتا في بداية حكمه. وهناك قطع نقدية أخرى قام الملك بضربها قبل توحيده للمملكتين، وأخذنا كمثال نموذجين:

354المرجع نفسه.

355المرجع السابق.

356المرجع السابق.

•النمط الأول

وتحتوي هذه العملات على رأس الملك ماسينسا مكلل بصولجان على الكتف وفي الظهر حصان يمشي بخطى وأسفله كتابة بونية تشير إلى كلمة " مملكة" (الصورة4)357.

الصورة رقم 4النمط الأول: عملة الملك ماسينسا قبل توحيد المملكة النوميدية

•النمط الثاني

تظهر على وجه النمط الثاني صورة مشابهة لنموذج النمط الأول، لكن على ظهر القطعة نلاحظ صورة لفيل وأسفله كتابة بالحروف البونية: ح م ل ك رت، تشير إلى المملكة النوميدية وكتابة أخرى: م ن س ن، للإشارة الى الملك ماسينسا358 (الصورة رقم 5). وهو نمط من القطع النقدية الذي قلده الملك "يوبا الأول" في أواخر عهد الممالك النوميدية.

الصورة رقم 5 النمط الثاني: عملة الملك ماسينسا قبل توحيد المملكتين

357 Alexandropoulos, J., *Les Monnaies,* p. 402.

358 Alexandropoulos, J., *Les Monnaies,* p. 402.

ب.العملات النوميدية بعد توحيد المملكتين

-عملات الملك ماسينسا

نصب الملك نفسه على رأس نوميديا الموحدة والشاسعة، وقام بتوحيد سياستها ونظامها الاقتصادي وكذا عملتها النقدية 359 ونجد فيما يلي بعض أنماط المسكوكات العملة المؤرخة لهذه الفترة :

•النمط الأول

يمثل النمط الأول في القطع النقدية المضروبة بعد توحيد المملكتين ويظهر على وجه القطعة النموذجية رأس الملك مكللا ومحاطا بأوراق الرند، وعلى الوجه الخلفي حصانا وهو يعدو إلى اليسار وفي اسفله كرية ترمز الى توحيد المملكتين (الصورة رقم 6)360.

الصورة رقم 6 : النمط الأول للعملات النقدية للملك ماسينسا بعد توحيد المملكتين

•النمط الثاني

يعد النمط الثاني أحدث زمنيا من النمط الأول لكنه ينتمي هو الأخر الى فترة توحيد المملكتين. تظهر على وجه العملة صورة الملك ماسنيسا مثلما تظهر على مسكوكاته الأخرى وعلى الوجه الخلفي حصانا يعدو إلى اليسار وفي أسفله كتابة بونية " م ن " تشير الى الملك ماسينسا (الصورة رقم 7). ينسب البعض هذه القطعة النقدية الى الملك ميكبسا بدلا من أبيه ماسينسا361، لكن هذا الرأي لم يحظ بموافقة

359المرجع نفسه.

360 Alexandropoulos, J., *Les Monnaies,* p. 410

361المرجع نفسه.

الجميع الذين يرجعونها الى الملك ماسينسا بناء على الصورة المرسومة على القطعة نفسها. بينما ما يميزها عن غيرها هو استعمال معدن الفضة في صناعتها وهو دليل على الرخاء والاستقرار الاقتصادي362.

الصورة رقم 7: النمط الثاني من عملات الملك ماسينسا بعد توحيده لنوميديا واستعماله لمعدن الفضة وهو دليل على الاستقرار الاقتصادي

-عملات المدن النوميدية

ضربت العديد من المدن قطعا نقدية خلال الفترة النوميدية واختلف المختصين في شأنها فهناك من يعتبرها تابعة للممالك النوميدية بينما يعتقد البعض أنها مستقلة363ا:

•مسكوكات سيرتا: تعتبر سيرتا العاصمة الاقتصادية للملك ماسينسا، حيث أن معظم القطع النقدية كانت تضرب في ورشتها وعثرنا على بعض القطع عليها رموز تخص المدينة نفسها. ويظهر على وجه القطعة رقم 8 رمزا للمدينة مصحوبا بكتابة بونية تشير اسم المدينة نفسها. ويعتقد الباحث مازار بأن وجود رأس سيرتا هو رمز للسيادة ونجد على الوجه الخلفي للعملة رمز لمعبد ذو بابين ويعتقد البعض أنهما أبواب مدينة سيرتا في الفترة النوميدية (الصورة رقم 8)364.

الصورة رقم 8 عملة مدينة سيرتا خلال الفترة النوميدية

362المرجع نفسه

363Alexandropoulos, J., *Les Monnaies,* p.408.

364 Mazard, J., 1955, *Corpus Numonarum Numidie maurétanique*, Paris, p.156

هناك عملات أخرى تخص مدن أخرى التابعة للممالك النوميدية ونذكر منها هيبون، إكوسيم، قونوقو وغيرها365، ولكن لا نملك التفاصيل اللازمة حول الموضوع، إذا كانت هذه المدن مستقلة اقتصاديا.

مرت المملكة النوميدية بعد توحيدها بمرحلة طويلة ميزها الاستقرار ووجود نظام اجتماعي وسياسي ساعد على تطوير الجانب الاقتصادي عامة والزراعة والصناعة خاصة. وبلغت القيمة الاقتصادية إلى حدود تعامل بالقطع النقدية خارج حدود نوميديا حيث أشار العديد من المختصين إلى العثور على القطع النقدية للملك ماسينسا في العديد من الأماكن والدول مما يدل على التطور الاقتصادي366.

وما ميز هذه الفترة هو تشييد المدن والبنايات الجديدة ومن أهمها الأضرحة المختلفة ومنها ضريح مدغاسن النوميدي (صورة رقم9) الذي يحتوي على عناصر معمارية متطورة367، وهو رمز الاستقرار السياسي والاقتصادي.

الصورة رقم 9 ضريح مدغاسن بباتنة الحالية، يعود إلى الفترة النوميدية

365المرجع نفسه

366 Ferroukhi, M., 2009, *Nos ancêtres les rois numides*, ed. Dalimien, p. 72.

367المرجع نفسه

3.التغيرات الاقتصادية في نوميديا حسب المصادر القديمة

أشار سترابون أن نوميديا تمتد من قرطاجة إلى أعمدة هيرقل (أنظر الخريطة، صورة رقم10) 368، بينما يضعها المؤرخ الروماني تيت ليف بين نهر ملوشة غربا ورأس تريتون شرقا369. هي منطقة متميزة وغنية وذات أراضي خصبة، لكنها مليئة بالحشرات والحيوانات الضارية، شأنها شأن غيرها من المناطق في افريقيا. أطلق على سكانها كلمة "نومادس" نسبة الى فئة من السكان تعيش حياة الترحال، بسبب انتشار الحيونات المفترسة، التي منعتهم من ممارسة أي نشاط زراعي370.
وقد وصفت مملكة الماسيل بالازدهار والاستثمار، ويقول سترابون في هذا الشأن، أن بعض الماسيليين يقطنون أراض تنتج غلات مرتين في السنة371. ونجد وصفا شاملا للامتداد الجغرافي للمنطقة ومميزاتها في كتابات المؤرخ الفرنسي ق.كامبس 372.

368 Strabon, *Géographie,* II, 5, 33, trad. A. Tarieu, Paris, 1867.

369 Tite-Live, XXVIII, 18, 7 ; Polybe, XI, 24.

370 Strabon, *Géographie,* II, 5, 33, trad. A. Tarieu, Paris, 1867.

371 Gsell, S., *HAAN,* IV, Paris, p. 186.

372 Camps, G., 1961, *Aux origines de la Berberie, Massinissa ou les débuts de L'histoire,* Alger, p. 179.

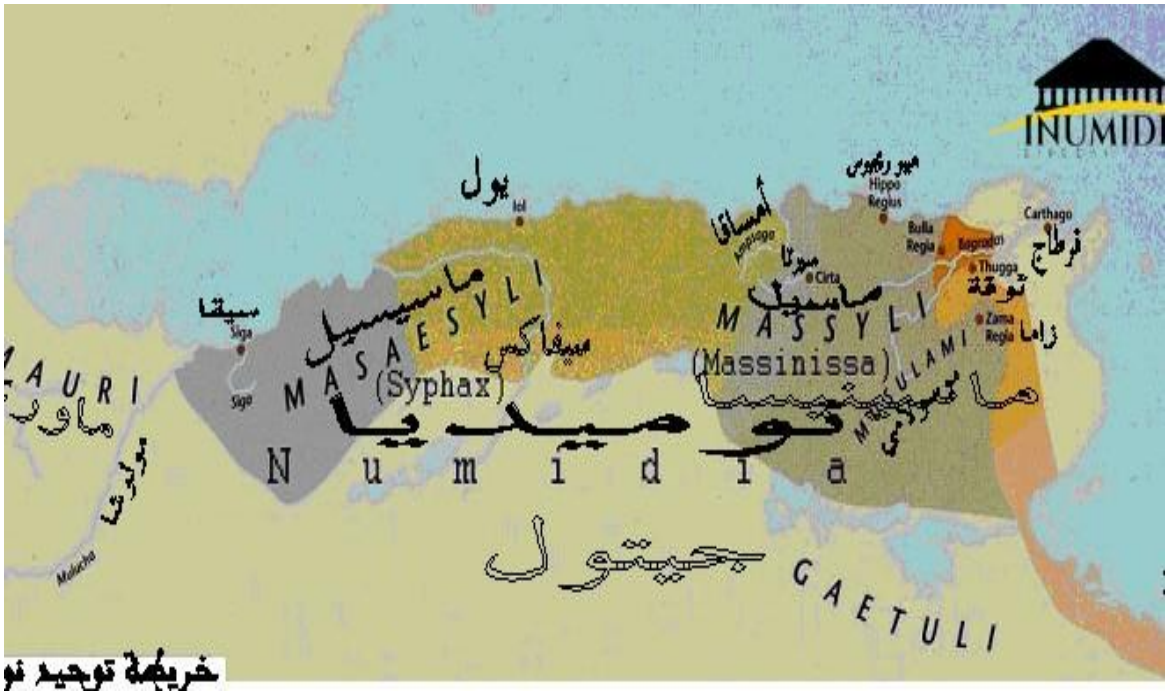

الصورة رقم10: خريطة نوميديا

ولقد لعبت مملكة نوميديا دورا إقتصاديا هاما خلال الفترة القديمة، وبالخصوص خلال فترة حكم الملك ماسينسا وذلك بفعل التأثيرات السياسية ونستطيع تلخيصها فيمايلي:

1. أجمع المؤرخون القدامى على الدور الكبير الذي لعبه ماسينيسا في مجال الزراعة، حتى ذهب بعضهم إلى اعتباره المدخل الأساسي للزراعة الى نوميديا، بعدما كان سكانها يقتاتون النبات البرية، لأنهم لايجيدون النشاط الزراعة[373]، ويذكر سترابون، أن ماسينيسا هو الذي حضَّر النوميديين وجعلهم اجتماعيين ومزارعين374.

يعتبر بوليبيوس أعمال ماسينيسا الزراعية عظيمة، حيث كانت نوميديا قبله عديمة الفائدة ، وعاجزة عن الإنتاج الفلاحي375.

لكن المعطيات الأثرية تثبت العكس وأن ظهور الزراعة في المنطقة تعود إلى فترة ما قبل ماسينيسا بزمن طويل، وأن انتشارها وتوسُّعها كان مرحليا الى مجيء هذا الملك الذي اهتم أكثر بالميدان الفلاحة،

373 Salluste, *La guerre de Jugurtha.*

374 Srabon, XVII, 3, 15.

375 Polybe, XXXVI, 16, 7.

وذلك بالتوسيع مساحاتها والحد من أراضي الرعي فيها ومن تنقلات الرعاة وكذا إقامته للقلال وضمان حياة الاستقرار للمزارعين376 وقد أورد المؤرخون الكلاسيكيون بعض الأرقام تعبر عن هذا الرخاء:

- أرسل ماسينيسا سنة 200 ق.م 200 ألف صاع من القمح ما يعادل 14ألف قنطار وكمية مماثلة من الشعير للجيوش الرومانية التي كانت تحارب مقدونيا.

-أرسل ماسينيسا سنة 198 ق.م، 200 ألف صاع من القمح للجيوش الرومانية المحاربة في اليونان.

-أرسل إلى روما سنة 191 ق.م، 300 ألف صاع من القمح، و250 ألف صاع من الشعير، وأرسل في نفس السنة 500 ألف صاع من القمح و300 ألف صاع من الشعير إلى اليونان.

-وفي سنة 170 ق.م، قدم ماسينيسا مساعدة من القمح لصالح الجيوش الرومانية المحاربة في مقدونيا وتقدر بمليون صاع (70 ألف قنطار).

ورغم أن هذه الأرقام لا تحسم موضوع الإنتاج، الا أنها تبيِّن التَّطور السريع في الصادرات، ولا شكّ أنه انعكاس للتطور الزراعي في عهد الملك ماسينيسا377.

ورغم التوسع الزراعي الذي عرفته نوميديا تحت حكم الملك ماسينيسا والذي سبَّب في تقليص نشاط الرّعي، الا أنه لم يقض نهائيا على الحياة الرعوية التي استمرت عند العديد من النوميديين كنشاط أساسي، وأكد معظم المؤرخين الكلاسيكيين أن قطعان الماشية هي ثروة الأساسية للنوميديين378، ويقول سترابون أن الملوك النوميد كانوا يقومون بإحصاء المهور سنويا لغرض الحرب.379

2. على العموم فإن الاقتصاد النوميدي يكون قد تحوَّل من اقتصاد طبيعي إلى اقتصاد نقدي على الأقل ابتدء من القرن الثالث قبل الميلاد وهو ما تؤكده القطع النقدية المحفوظة بمختلف المتاحف الجزائرية والمغاربية، وذلك بتحول المعاملات التجارية المبنية على المقايضة إلى معاملات نقدية خاصة في المدن، وتكون المقايضة قد استمرت طويلا في الأرياف. حيث تعود القطع النقدية

376حارش،م.أ.، *التطور السياسي والاقتصادي*، ص. 95، 96.

377نفسه، ص. 108، 109

378محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص. 17، 18

379محمد الهادي حارش، التطور السياسي والاقتصادي، ص. 149.

المكتشفة الى المدن النوميدية، وتأتي سيرتا في مقدمتها، باعتبارها عاصمة الملك ماسينسا، وكانت أغلبية هذه القطع مصنوعة من مادة البرونز (صور رقم 11). تؤكد هذه الدراسة على وجود في نوميديا نشاطات اقتصادية أخرى غير الزراعية، منها تحويل المعادن الى أدوات مختلفة صالحة الاستعمال في شتى المجالات اليومية.

عملة للملك ماسينسا، في وجهها الخلفي حروف " م ن" بالبونية رمز للملك ماسينسا

عملة الملك ماسينسا وفي ظهرها صورة حصان في وضعية الحركة

عملة الملك ماسينسا وفي ظهرها صورة كرية ترمز الى توحيد نوميديا

عملة الملك ماسينسا وفي ظهرها صورة حصان يعدو وكرية رمز توحيد نوميديا

الصور رقم 11: مختلف قطع نقدية للملك ماسينيسا

ورد في المصادر الكلاسيكية أسماء مدن مثل باجة وسيرتا والكاف، فهي المدن الزراعية الكبرى المعروفة بمبادلتها التجارية وبأسواقها الكبيرة للحبوب التي تجذب اليها العديد من التجار حتى الأجانب منهم

كالإيطاليين.380

وقد نشطت صادرات نوميديا الخارجية، فكانت أهمها حيوانات السرك كالخيول والفيلة381. بالإضافة الى خشب التويا الذي تصنع منه أثاث من نوع رفيع382. وتجدر الإشارة أيضا إلى المصنوعات الفخارية التي تصدرها نوميديا والتي عرفت هي الأخرى رواجا كبيرا خلال القرن الثالث قبل الميلاد. وتم العثور على العديد منها (المصابيح الزيتية ومختلف الأواني المستعملة في نقل السلع والزيوت وحفظ المحاصيل الزراعية) في مواقع ذات حضارة نوميدية كالحفرة المعروفة بالطابع الجنائزي، وأغلبها محفوظة في المتاحف الوطنية (صورة رقم 12).

الصورة رقم12: نماذج من الفخار النوميدي

Camps, G., 1979.

كما ذكرت المصادر مدن تجارية أخرى لعبت دورا هاما في الفترة النوميدية، سيرتا العاصمة، سوتول، تالة، قفصة وغيرها وتقوم كلها بدفع الضرئب للادارة المركزية383.

380Strabon, XVII, 3, 19.

381حارش، م.أ.، *التاريخ المغاربي القديم*، ص. 129.

382حارش،م.أ.، *التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا*، ص. 156.

383عقون، م.أ.، المرجع السابق، ص47.

الفصل الثاني

السياسة الاقتصادية النوميدية

كانت الشعوب القديمة تخطط دائما لإحداث توازن اقتصادي في أسواقها من أجل تحمل عبأ التغيرات الاقتصادية والازمات المحتملة، وكان ذلك من مهام السلطة السياسية التي تخطط مسبقا لفترة الأزمة بادخار جزء من إنتاج الدولة لأوقات صعبة. ونحاول التطرق فيما يلي إلى بعض الأسس التي كانت تعتمدها نوميديا لتفادي الأزمات والحفاظ على الوتيرة الاقتصادية وتجنب الأخطار الاقتصادية عن مكتسباتها.

2. علاقة الاقتصاد بالوسط السياسي

يعتبر الوسط السياسي منظما أساسيا للمعاملات الاقتصادية الداخلية منها أو الخارجية. ويعد السوق الهيئة القاعدية أين تفرض السلطة الحاكمة أتاوتها على منتوجات الأفراد والجماعات المحلية. تفرض في الأسواق الضرائب المستحقة التي تستفيد منها بصفة مباشرة الخزينة العمومية وتستغل هذه الأموال في المصلحة العامة للدولة، وكثيرا ما تنفق لأغراض عسكرية في حالات حرب أو تصرف في مجالات أخرى، كالتكفل بأزمات اجتماعية أو لغرض فرض سلطة الدولة داخليا أو خارجيا كتقديم مساعدات للحلفاء أو عقد اتفاقيات مع العالم الخارجي أوالمشاركة في المشاريع الاقتصادية التي تعود بالأرباح على المنطقة.

ففي الفترة النوميدية كان التنظيم السياسي للاقتصاد محكما، وكان يعود بفوائد جمة على التنمية الاقتصادية النوميدية، ويدلنا على ذلك مايلي:

تتلقى المملكة فوائد كثيرة من جمع الضرائب التي يدفعها الأفراد والجماعات، تقتطع من أموال الشعب من أجل دعم خزينة الدولة، وكانت الضريبة تنفق على أجهزة الدولة أو على رفاهية الطبقة الحاكمة، وهي تمثل ثقلا على الشعوب وأحد مظاهر تسلط السلطة على العامة384. وتفرض على سكان الأرياف والمدن385،

384يعرف الاقتصاديون الضريبة بأنها اقتطاع إجباري، دون تعويض مباشر، تفرضها الدولة على مواطنيها لتتمكن من تغطية نفقاتها ويتم الاقتطاع مباشرة على الإنتاج أو الرأس أو العشر، العقارات، الإتاوات.

385جغلول عبد القادر،1982، مقدمات *في تاريخ المغرب القديم والوسيط*، ط 1، بيروت، ص. 16-18، الميلي محمد المبارك، تاريخ الجزائر القديم والحديث، بيروت 1963 ص. 144.

ولكن بعض المدن كانت معفاة منها ظرفيا أو بصفة دائمة مقابل ما تقدمه من الخدمات للمملكة، كالمساعدات العسكرية أثناء الحروب386. وكانت مجموعات أخرى شبه مستقلة التي لا تدفع الضريبة.

وسبق أن أشرنا الى أنواع الروسوم التي يدفعها السكان للمملكة، تأتي في مقدمها الضريبة على الثروة الحيوانية وهي الأساسية في المنطقة، ونجد إشارات عديدة حول الموضوع عند سترابون. ويقوم الملوك مثلا كل سنة باحصاء صغار الخيول لأهمية هذا الحيوان في السلم والحرب387. ولا يمكن أن يقتصر الإحصاء على هذا الحيوان فقط بل يشمل كل الممتلكات لتقدير ما يسمى بالوعاء الضريبي388. ويتم تحديد حجم الرسوم وشكلها، وقد تكون هذه الرسوم عينية على الأغنياء أو على المزارعين، أو تكون نقدية على الجماعات الأخرى389. وتوكل الدولة مهمة تحصيل الضرائب إلى مكلفين محليين في المدن والقرى. ويكون هؤلاء تحت رقابة أمناء يعينهم الملك، وقد يحدد القصر الملكي كمية الضرائب المفروضة على كل جماعة، وعلى الأعيان المحليين أن يوزعوا تلك الأعباء على الأفراد، وهم المسؤولون على تقديمها لأمناء الملك. ويحدث أحيانا لسبب أو لأخر رفض جماعي لتقديم الضرائب، وفي هذه الظروف يمكن للملك أن يتدخل للفصل في القضية390. ولا نملك الكثير بخصوص ضرائب العبور وأمور أخرى متعلقة بالمزارع الكبرى.

بينما كانت المحاجر والمناجم من ملكية الدولة391 وعلى سبيل المثال، منجم الرخام النوميدي الشهير في شمتو، والذي يعود بأموال كثيرة للخزينة المالية التابعة للمملكة. ان مصادر الثروة الأفريقية التي كان

386 PLine l'Ancien, XVIII,35.

387شنيتي محمد البشير، 1982، *التغيرات الاجتماعية والاقتصادية في بلاد المغرب*، الجزائر، ص. 47.

388 Strabon, XVII , 3, 19.

389 شنيتي، محمد البشير، 1986، *التوسع الروماني نحو الجنوب وأثاره، الاقتصادية والاجتماعية*، الجزائر، *ص*. 21.

390 Pline L'Ancien, XVIII , 35.

391 Albertini, E., 1950, *L'Afrique Romaine*, Alger, p. 29.

يسيل لها لعاب الطبقة السيناتورية الرومانية المرتشية392، كانت متعددة، وساعدت الملوك النوميديين في تمويل حروبهم ضد قرطاج والرومان.

وكانت المعاملات التجارية في نوميديا تخضع لقوانين العرض والطلب، وهي أسس تفرضها السلطة السياسية والحاكمة في البلاد. فبعد دراسة كمية الإنتاج المتوفر في الأسواق يحدد ثمن كل سلعة على حدة وبها تحدد أيضا القيمة النقدية النوميدية مقارنة بالعملات المتداولة في نفس الفترة، حيث أشار المختصون الى العثور على عديد كبير من القطع النقدية الأجنبية في الأسواق النوميدية. وكانت أسباب عملية ضبط التوازن في السوق هي فرض السيطرة وتمويل الخزينة العمومية للمملكة393.

ساهم هذا التنظيم المحكم في رواج اقتصاد نوميديا في فترة الملوك. وفي هذا السياق ورد في خطاب القيصر أمام مجلس الشيوخ الروماني بعد انتصاره في إفريقيا وضمه المملكة النوميدية أنه ضم إلى الجمهورية الرومانية بلدا سيقدم لروما سنويا كميات كبيرة من القمح، وهو ما جعل قزال يقول بأن هذه الكميات من القمح تدخل ضمن الضرائب التي كان الملوك النوميد يحصلون عليها من المزارعين394.

2.المعايير المتحكمة في الوسط الاقتصادي

كان الاقتصاد النوميدي عامة مبني على المبادئ الأساسية للإنتاج، أين يحتل المجال الزراعي المرتبة الأولى (نجد بعض التفاصيل في الفصول القادمة)، ثم يأتي الجانب الصناعي في المرتبة الثانية لكنه لا يقل من الأهمية.

392 Gsell, S., *Hérodote*, p.199.

393 Monceaux, P., 1894, *Les Africaines (étude sur la littérature Latine d'Afrique), les païennes, leucine, ondin et cie*, Paris p. 21-22.

394شنيتي محمد البشير، 1999، *الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، بحث في منظومة التحكم العسكري الموريطاني ومقاومة المور*، ج 1، الجزائر، ص. 21.

ويكون الميزان التجاري هو الفاصل في درجة تطور أو انهيار المستوى الاقتصادي. وتتحكم في الأمر مجموعة من المعايير الهامة التي من شأنها الرفع من هذا المستوى، وتحسين الجو العام المرتبط بالإنتاج والمعاملات التجارية، ونحاول الإشارة إلى أهمها فيما يلي:

أ. الحالة الاجتماعية

تلعب الحالة الاجتماعية للمجتمعات دورا أساسيا في التنمية الاقتصادية، حيث كلما كان التمسك الاجتماعي متينا بين مختلف فئات المجتمع كلما أثر إيجابيا على التنمية الاقتصادية، وكلما كانت هناك اختلافات وصراعات داخلية والنتيجة تكون سلبية على الاقتصاد، فإذا تناولنا بالحديث الممالك النوميدية، فقد عرفت تذبذبا في اقتصادها خلال فترة ما قبل التوحيد والعكس خلال فترة التوحيد وهو ما يظهر في اختلاف السلاسل النقدية من فترة إلى أخرى، فعلى سبيل المثال، قلت العملات برونزية في عهد الملك سيفاكس395 (الصورة رقم ت)، بمقارنته بفترة توحيد الممالك (الصور رقم19 و20)396.

الصورة رقم 18. سلسلة نقدية للمملكة النوميدية قبل التوحيد (سيفاكس في الوجه)

395 Gsell, S., *L'Algerie dans l'Antiquité,* p. 108.

396محمد البشير شنيتي، *التغيرات الإقتصادية و الإجتماعية في بلاد المغرب*، ص. 173.

الصورة رقم 19. سلسلة نقدية للمملكة النوميدية الموحدة تحت حكم ماسينسا.

الصورة رقم 20. سلسلة نقدية للمملكة النوميدية قبيل التواجد الروماني (ملك يوبا الأول)

ب.فترات الحروب:

ينتج عن الصراعات والحروب دمارا غالبا ما يمس بالمشاءات الاقتصادية وحتى بمكتسباتها وإنجازاتها وكذا الحالة النفسية للفلاح التي لا تشجعه على الإنتاج. بالإضافة إلى المبادلات التجارية التي تكون هي الأخرى

متأثرة بالدمار من جراء الصراعات والحروب[397]. وهذا ما يستنتجه المؤرخون من فترة الحروب البونية، خاصة الثانية منها، التي شاركت فيها الممالك النوميدية وتأثرت بشكل مباشر بنتائجها، وهذا ما عرفته أيضا المملكة النوميدية في فترة التوحيد وكذلك عند سقوطها في فترة يوبا الأول، حيث تقلصت رقعتها الجغرافية إلى أبعد الحدود بمقارنتها بفترة الملك ماسينيسا، حيث ساد الاستقرار الاقتصادي. وتعود أسباب تدهور الاقتصاد أثناء فترة الحروب الى المبالغ الضخمة التي تصرف الشعوب في التجنيد والاستعداد وشراء الأسلحة وكذا الدعاية التي تشكل محورا أساسيا في الحروب، وفي الجدول التالي نحاول إعطاء بعض الأمثلة حول استعداد الممالك النوميدية للحروب أو لحالات ظرفية أخرى[398]:

عدد الفيلة	نوع الحرب	الفترة الزمنية	الوسائل الحربية الأخرى
140	الحرب البونية الأولى	241-264 ق.م	الدروع، المقابض، الحرب، السيوف، الخناجر، الخيول
170	حرب المرتزقة	237-241 ق.م	الدروع، الحمالات، المقابض، الحرب، السيوف، الخناجر، الخيول
20	حرب صدربعل في اسبانيا	221 -228 ق.م	الدروع، الحمالات، المقابض، الحرب، السيوف، الخناجر، الخيول
140	الحرب البونية الثانية	201- 218 ق.م	الدروع، الحمالات، المقابض، الحرب، السيوف، الخناجر، الخيول

397 Laroui, A., 1970, *Histoire du Maghreb (essai de synthèse Français)*, Maspero, Paris, 1970, p.38.

398شنيتي محمد البشير، *التغيرات الاقتصادية و الاجتماعية في بلاد المغرب...*ص 162

80	معركة زاما	202 ق.م	الدروع، الحمالات، المقابض، الحرب، السيوف، الخناجر، الخيول
120	حرب إفريقيا	47-46 ق.م	الدروع، الحمالات، المقابض، الحربة، السيوف، الخناجر، الخيول

جدول يمثل الإشارة إلى أنواع الأسلحة التي كانت تستعمل في الحروب خلال الفترة النوميدية، وتكاليفها على الخزينة العمومية للممالك.

3. الحروب والأزمات الاقتصادية في الفترة النوميدية

عرفت الفترة النوميدية أزمات كغيرها من الدول بالرغم مما وصلت اليه من التطور اقتصادي، فنذكر من أهمها أزمة الحروب البونيقية التي انشغل خلالها النوميديون بالمجال العسكري، كان تمويل الحرب كاهلا ثقيلا بالنسبة للملكتين، حيث أن تحالف سيفاكس مع قرطاجة، جعل المملكة المسيلية تعيش في أزمة اقتصادية. عرفت هذه الفترة غياب شبه كلي للأدوات الزراعية المستعملة في النشاط الاقتصادي وبانتاج الأسلحة والاهتمام بتربية بعض الحيونات المستعملة في الحرب كالخيول. وكذا بالنسبة لفترة ماسينيسا عندما تحالف مع روما ضد قرطاجة، حيث عرف الاقتصاد تأخرا كبيرا في الجانب الزراعي399.

وخلاصة القول إن الاقتصاد النوميدي مر بثلاث مراحل هامة، تتمثل الأولى في فترة ما قبل الوحدة والتي تميزت بوجود اقتصاديين مختلفين، واحد للمملكة الشرقية وأخر للغربية. أما المرحلة الثانية، فهي تمثل مرحلة الوحدة بين المملكتين وتتصف بالتطور ومنافسة الاقتصاد الأجنبي الروماني والقرطاجي، وهناك مرحلة أخرى والأخيرة فهي الفترة السابقة للتواجد الروماني في المنطقة وتميز اقتصادها ببداية فقدان النوميد لأراضيهم الزراعية لصالح القوات الأجنبية.

399 Charle, A-J., 1931, *Histoire de l'Afrique du nord, Tunisie, Algérie, Maroc*, Paris, 170-171.

الفصل الثالث

الاقتصاد النوميدي في فترة يوبا الأول

(نهاية مملكة نوميديا)

بعد تطرقنا في الفصول السابقة الى الوضعية العامة والتحليلية للاقتصاد النوميدي من خلال الإنتاج ووالمبادلات الاقتصادية ومقارنتها بأوضاع العالم السائدة أنذاك، نتعرف في هذا الفصل حول حالة استثنائية عايشت فترة من الفترات الممالك النوميدية وهي مرحلة حكم الملك يوبا الأول400.

1. شخصية يوبا الأول ومحاربته لأعداء مملكته

بعد وفاة الملك همبسال الثاني سنة 60 ق.م، ورث ابنه يوبا الأول حكم مملكة نوميديا، وبالرغم من قصر فترة حكمه (من 60 إلى 46 ق.م) بمقارنتها لفترة حكم الملوك السابقين، حيث قضاها يوبا في محاربة للجيوش الرومانية401. حيث كانت نوميديا إحدى ساحات قتال بين االأحزاب السياسية الرومانية لاسيما بين القيصريين والبومبيين[402]. ولأسباب عدة كان يوبا الأول يميل الى تيار البومبيين، ولم يكن في الواقع سوى اعترافا بالجميل بعد مساعدة بومبي لهمبسال لاستعادة حكم مملكته من الملك هيرباس، بالإضافة الى المعاملة السيئة التي عان منها يوبا الأول من طرف القيصر اثرى اقامته بروما وكذا رغبة القيصر في الحاق نوميديا بالممتلكات الرومانية. ولكن هذه الظروف لم تعرقل نشاطات الملك الاقتصادية لا سيما الزراعية منها، وذلك لضمان استقلالة نوميديا المملكة[403].

وهكذا، وجد يوبا الأول نفسه أمام محاربة الجيوش تحت قيادة القيصر وكريون اللذين رأيا فيه رجلا خطيرا، ذا شخصية قوية، والذي يجب القضاء عليه مهما كان الثمن. كما وجد نفسه، أيضا، أمام الملك البربري بوخوص وسيتيوس وقبائل الجيتول الذين تحالفوا ضده مع قيصر. وأمام تحديات كل هؤلاء

400 بعد وفاة الملك "همبسال الثاني "في عام 60 ق.م ، ورث ابنه "يوبا الأول" حكم مملكة نوميديا ، رغم أن فترة حكمه قصيرة (من 60 إلى 46 ق.م) إلا أنها اتسمت بالنشاط حيث قضاها في محاربة الجيوش الرومانية بكل النزعة الحربية و التعطش للاستقلال حتى وفاته.

401 Djennas, M., 2010, *La Saga des rois numides, entre Carthage et Rome*, Alger, p.191.

2

[402] Keddache, M., 1993, L'Algérie dans l'Antiquité, Alger, p.100.

[403] Julien, Ch.A., 1931, *Histoire DE L'Afrique du Nord, Tunisie-Algérie-Maroc*, Paris, p.132.

الأعداء، كان على يوبا الأول" إخراج كل ما لديه من قوة وشجاعة وهذا ما فعله بكل روح قتالية وعزم كبيرين إلى درجة أن الجيوش التابعة له توصلت إلى قتل كريون في "أوتيكا "وجلبت بأسه إلى يوبا الأول. هذا ما جعل تيار البومبيين يفتخر به ويجعله صديقا وفيا للشعب الروماني، أما التيار الآخر التابع للقيصر فيراه عدوا غاشما للرومان404.

قام القيصر بجمع جيوشه لمحاربة الملك يوبا الأول والانتقام من رفيقه كريون، حيث كبد ليوبا خسائر عديدة. والتي جعلته يشعر بفقدان هيبته، فلجأ إلى الانتحار دفاعا عن شرفه، وفضل ذلك عن إلقاء القبض عليه حيا.

دافع يوبا الأول بكل ما لديه من قوة للنهوض باقتصاد المملكة، بحيث كان يشجع الإنتاج بمختلف مجالاته، وأسس ورشات صناعية واهتم بتربية المواشي وكان يتبع سياسة اقتصادية خاصة ترتكز على مايلي:

2.التوجهات الاقتصادية للملك يوبا الأول

مرت مرحلة حكم الملك يوبا الأول بالعديد من التغيرات الاقتصادية والصعوبات حيث غالبا ما يصطدم بالأطماع الرومانية في شمال إفريقيا عامة وفي نوميديا بصفة خاصة، واتخذ للدفاع عن مصالح مملكته منهجا يرتكز عليه في تطوير الإنتاج الزراعي، فأقام سياسة ذات أهداف متباينة، من جهة اهتم بالانتعاش الاقتصادي وتطوير الزراعة والصناعة وإنشاء أسواق جديدة وطرق لنقل البضائع ومن جهة أخرى أخذ يحضر قوة عسكرية على أسس عصرية للدفاع عن المملكة وضمان الأمن والاستقرار لسكانها.

مثلما أشرنا أعلاه، ساند يوبا الأول خلال الحرب الأهلية الرومانية التيار البومبيي، فوفر له أحسن ما لديه من الإمكانيات البشرية والوسائل الحربية ولكن هذه الإجراءات كلفت المملكة تكاليف باهظة أثرت بصفة مباشرة على اقتصادها، حيث جند أكثر من أربعين ألف جندي من المشاة، وأكثر من

خمسة عشر ألف فارس405، وقد تحدث المؤرخون عن الأمر بالتفصيل. وعند محاولة القيصر الهجوم على حضرموت406 واجهته هجمات عديدة من طرف القوات البومبية المتكونة في معظمهم من النوميديين بالإضافة الى القوات النوميدية التي جاء بها يوبا الأول شخصيا.

نستنتج أن الملك النوميدي يوبا الأول وفر إمكانيات كبيرة للدفاع عن المملكة وتحصين إقليمها الجغرافي، ولتمويل الحرب فرض ضرائب جديدة على السكان.

3. اسس الاقتصاد النوميدي في فترة يوبا الأول

كان الاقتصاد في معظم الحضارات القديمة أهم أسس المجتمع والأرض مصدر كل الإنجازات اقتصادية، وكانت بمثابة المحرك الأساسي للإنتاج في جميع المجالات المتعلقة بالحالة الإنتاجية وهذا شأن مملكة يوبا الأول التي اتخذت من الزراعة الركيزة الأساسية لتنمية اقتصادها.

وأشاد القدماء كثيرا بثراء الأراضي التي تقع غرب الإقليم القرطاجي، فقد وصف"بوليب" خصوبة أرضها (بالمدهشة)407 ، أما"استرابون" فقد تحدث عن أمور عجيبة بمقاطعة نوميديا، فالأرض حسبه تنتج مرتين في السنة، مرة في الربيع ومرة أخرى في الصيف وعلو السنابل فيها حوالي خمسة أذرع 408 ومردود كل حبة قمح واحدة تضرب في عدد 55 ، كما اخبرنا نفس المؤرخ بأن في نوميديا الأرض لا تحتاج الى زراعتها في الربيع بل يكتفي تحريك تربتها واسطة حزمة من الأغصان الشوكية والبذور التي تكون قد سقطت خلال مرحلة الحصاد تنتج محصولا وافرا في الصيف.

---

405 Decret, F. et Fantar, M., op.cit., p .151.

406بروسيا هي حسب إعتقاد ش جوليان "هنشير" تقع قرب مدينة المونستير نتونس الحالية.

407 Polybe , XII ,III.

408يبدو أن هذه المعلومات التي زودنا بها سترابون مبالغ فيها وهو الأمر الذي لمسه بعض الباحثين من بينهم جوليان الذي عبر عن خشيته من أن تكون معلومات هذا الجغرافي في عمومها غير صحيحة، وفي أمر أخر افترض كامبس أن يكون المحراث البربري البدائي البسيط هو ما قصده سترابون في عبارته "حزمة من الأغصان الشوكية."

كما اهتم الملك يوبا الأول بالزراعة بمختلف أنواعها، حيث أنه حافظ على نفس الوتيرة التي كان أجداده يتعاملون بها وحسب المؤرخين القدماء كان منتوج القمح والشعير المصدر الأساسي الذي عرفت به الممالك النوميدية منذ النشأة409.

فبالرغم من اهتمام يوبا الأول بالوقائع العسكرية خلال حرب القيصر الا أنه لم يهمل قط اقتصاد مملكته، فظل هذا الأخير دائما في حالة ازدهار. فقد وردت في المصادر الكلاسيكية عدة إشارات بخصوص انتاج القمح في نوميديا. فجاء على لسان بعض المؤلفين أن الأفارقة يخزنون حبوبهم داخل مطامير في الحقول والأرياف بعيدا عن أنظار العدو، فعندما علم القيصر الروماني بذلك، قام بارسل فرسانه على بعد مسافة 51 أميال من معسكره للبحث عن القمح فعادوا بعد مدة محملين به410.
ومن جهة أخرى تشير المصادر الأدبية إلى إلحاح النوميد خلال الفترة الرومانية على استرجاع أراضيهم وتخبرنا المصادر بالثورة التي قام بها قبائل" الموسولام" بقيادة تاكفاريناس (51 – 54 م) (أنظر الفصل الأول) والتي كان هدفها استرجاع أراضيهم التي توسع الرومان على حسابها411.
إلى جانب ما أخبرتنا به النصوص، فقد دلت الصور المنقوشة على نقود الملك النوميدي يوبا الأول على الثراء الزراعي وأهمية الزراعة عنده، وقد تكررت رسومات لسنابل على المسكوكات النوميدية.
ولم تقتصر الزراعة المتعددة المحاصيل للمملكة في زمن يوبا الأول وإنما اهتم كذلك بتربية المواشي والخيول وهذا بالإضافة إلى الفيلة التي كانت تستعمل في نقل السلع إلى أماكن الخزن أو إلى الأسواق وهذا بالإضافة إلى استعمالها في الحروب والصراعات بالخصوص مع روما أثناء مساندته لتيار البومبي ضد القيصريين. وفيما يلي بعض صور العملات التي تبين الاهتمام العالي للملك يوبا الأول بكل هذه الوسائل التي أبنت اقتصادا مزدهرا خلال هذه الفترة رغم امتيازها بالحروب والصراعات ضد بداية محاولات التواجد الروماني في المنطقة.

---

409 Polybe , XXXVII ,III,

410الكاتب المجهول، حرب افريقية، ترجمة محمد الهادي حارش، الجزائر–الفقرات XXXIV ، XXXVI ، XLIII ، LXV، LXVIII ، LXXV,

411 Lasserre, J-M., 1982, «Un conflit routier : observations sur les causes de la guerre de Tacfarinas », *An.Af.,* 18, p. 12.

الصورة رقم 21. صور لعملات نقدية تبين اهتمام يوبا الأول بالجانب الزراعي (قرن رمز للخصوبة والفيل رمز القوة)

أ. **الصناعة**

اهتم يوبا الأول بالجانب الصناعي، وبالدرجة الأولى بصناعة وسائل تطوير الجانب الزراعي، وتدلنا المصادر الأثرية على نماذج من الأدوات الزراعية كالمناجل المحفوظة في المتاحف الوطنية، حيث عثر على منجل في منطقة زراعية بالقرب من وهران ويرجح أنه يعود إلى الفترة المتأخرة لنوميديا412 (الصورة رقم22).

الصورة رقم 22: منجل يعود إلى نهاية القرن الأول قبل الميلاد

كما أشار المؤرخون إلى صنع الفؤوس والمحراث وكل الأدوات الزراعية الأخرى المستعملة في تشغيل الأرض، ولكن بسبب الحروب التي خاضها يوبا الأول، أخذت الصناعة الحربية قسطا كبيرا من الإنتاج الصناعي العام، وهذا لغرض التحكم في التنمية الاقتصادية والحفاظ على الإنجازات السابقة وتفادي ضياع المكانة المكتسبة سابقا من طرف الأجداد.

412 Gsell, S., 1997, *Atlas Archéologique de l'Algérie*, 1, Alger, 5,6.

ذكر الكتاب الكلاسيكيون من الإغريق والرومان، أن النوميديون استعملوا العديد من الأسلحة في حروبهم كالدروع والخوذات والرماح، وتحدث" سالوست" عن الوسائل الحربية التي كانت تصنع محليا، مما أثبتته الأبحاث الأثرية والأدوات التي تم العثور عليها في المنطقة (الصورة رقم23).

الصورة رقم 23: رأس الملك يوبا الأول على قطعة نقدية من معدن الفضة

4.المعايير المتحكمة في اقتصاد مملكة يوبا الأول

لا تختلف المعايير المتحكمة في الاقتصاد في نوميديا منذ تأسيسها عن فترة يوبا الأول.

يعتبر المناخ من المقومات الأساسية التي تساعد على قيام أي حضارة في العالم القديم، فحديثنا عن الممالك النوميدية ومناخها نشير بكيفية مباشرة إلى مناخ شمال إفريقيا المتباين الأقاليم413. كان تأثير المناخ في نوميديا مباشرا على الزراعة وكذلك على الثروة الحيوانية التي تعتبر هامة يرتكز عليها الاقتصاد النوميدي. كما ساعد تنوع تضاريس شمال إفريقيا بكيفية كبيرة في المجال الزراعي حيث أجمع المؤرخين القدامى على الدور الكبير الذي لعبه الملوك خاصة ماسينسا في مجال الزراعة، حتى ذهب بعضهم إلى اعتبار ماسينسا مدخل الزراعة إلى بلاد المغرب القديم414 وذلك بتوفر الأراضي السهلية والجبلية والهضاب الصالحة للنشاط الاقتصادي.

---

413 Géorges, M., 2004, villes et compagnes d'Algerie, ed.du Tell, p. 28.

414 محمد الهادي حارش، التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا، الجزائر 1985، ص 136

وتشير البقايا الأثرية أن ظهور الزراعة في شمال إفريقيا يعود إلى أواخر فترات ما قبل التاريخ، كما يرى "كومبس" أن الزراعة في الجزائر تعود إلى فترة الحضارة القفصية وأوائل العصر الحجري الحديث415. فكان النشاط الزراعي منتشرا في تلك الفترة. ويذكر محمد البشير شنيتي أن الفلاحين الصغار كانوا يستغلون أراضيهم بأنفسهم416، بينما كانت الأراضي غير الصالحة للزراعة ملكا للجميع.

وتشير الأبحاث الميدانية الى بعض الأراضي التي كانت تستغل قديما، فعلى سبيل المثال منطقة تيبازا الأثرية التي يتواجد فيها الضريح الملكي وهي ذات أراضي صالحة للزراعة في معظمها وكذا بالنسبة لشرشال القريبة منها التي تتوفر هي الأخرى على مساحات زراعية شاسعة. ومنطقة سيرتا التي جعل منها "ماسينسا" عاصمة له فهي الأخرى تتوفر على مساحات شاسعة صالحة لزراعة جميع أنواع الحبوب التي تتأقلم مع مناخ البحر الأبيض المتوسط.

هذا بالإضافة إلى توفر الأنهار والوديان في المنطقة والتي عرفت منذ عصور ما قبل التاريخ كواد سيباو (أديما قديما) الذي ينطلق من سهول متيجة ويمر بمناطق عدة صالحة للزراعة والتي عثر فيها العديد من الآثار ما قبل رومانية. فعلى سبيل المثال تم العثور على أداة طحن الزيتون في منطقة متيجة التي تعود إلى فترة ما قبل الرومانية التي تبين صناعة تحويل الزيتون إلى الزيت بطرق محلية، وهذا ما تبينه أيضا الأشكال والرسومات لأغصان أشجار الزيتون المرسومة على القطع النقدية المحفوظة في المتاحف المحلية.

هذا بالإضافة الى المقومات البشرية حيث اكتسبت الممالك الإفريقية القديمة تجربة في المجال الزراعي حيث توصلت إلى توفير لنفسها الاكتفاء الذاتي وكذا تصدير المواد الزراعية إلى خارج الممالك وساعدها على ذلك المميزات البشرية التي يتمتع بها الإفريقي حيث أن حضارته كانت نتاج جهد وإبداع ويذكر هيرودت بأن الليبيين كانوا مزارعين ويسكنون البيوت417. وهذا لا يعني كون كل الأفارقة زراع بل كان منهم رحل أيضا.

---

415 Camps, G, 1960, Aux origines de la Bérberie : Massinissa ou les débuts de l'histoire, *Libyca,* VIII, Paris, p. 69.

416 محمد البشير شنيتي، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الروماني، ودورها في أحداث القرن الرابع الميلادي، *رسالة دكتوراه الحلقة الثالثة (جامعة الجزائر 1982) ص 64.*

417 عقون، م. ع.، 2009، "نظرة موجزة في الأصول والهوية"، *دراسات وأبحاث في التاريخ والتراث واللغات رقم 2650.*

وتدلنا المصادر على وجود أنواع عدة من ملكيات الأراضي منها ملكية تابعة للقصر ومنها تابعة للأمراء وكذا أراضي المعابد الى جانب ملكيات فردية الخاصة. أما عن حجمها وطرق استغلالها، فلا نملك أي نص أو أثر يدلنا عنها، ما عدا نص تيودور الصقلي الذي يحدثنا عن الملك ماسينسا الذي ترك لكل واحد من أولاده عشرة ألاف بلترا من الاراضي، مزودة بكل أدوات الفلاحة ويحدث فتروقيوس عن أحد ملوك النوميديين، الذي يملك أراضي في ضواحي زاما. ولا يستبعد غزال أن تكون هذه الأراضي تستغل من طرف رجال أحرار ويقومون بدفع قسط من الإنتاج لصاحب الأرض418. أما الفلاحين الصغار فكانوا يستغلون أراضيهم بأنفسهم.

5.التسيير الاقتصادي لمملكة يوبا أثناء الحروب

خلال الحروب، تهمل الشعوب الجانب الاقتصادي (الزراعة والصناعة) ويصب جميع اهتمامها في الميدان العسكري و تسعى جاهدة لتوفير الموارد والمال من أجل دفع أجور الجنود وجلب الأسلحة وهذا بالإضافة إلى البحث عن الطرق التي بإمكانها ربح الحرب419، وهذا هو الشأن بالنسبة ليوبا الأول الذي جمع كل ما لديه من الأموال لأجل استغلالها في المجال العسكري، وهذا ما يبين العدد الهائل من الفيلة والخيول المستعملة بالإضافة الى تجنيد طاقم بشري ضخم لنفس الغرض، وتشير الدراسات أن الملك يوبا الأول خصص مبالغ كبيرة من اموال الخزينة العمومية، أي ما يعادل 5000 سيسترس من أجل دفع أجور الجنود السنوية بالإضافة إلى متطلبات أخرى من شراء الأسلحة وغيرها. وأما الجانب الزراعي فأكدت الدراسات أن يوبا الأول كان دائما يحث شعبه على الاهتمام بالأرض وزيادة الإنتاج420، فكان التطور الذي حققه الجيش النوميدي خلال فترته دليلا على ذلك. وكان الملك ينوه دائما بمكانة مملكته الاقتصادية، مذكرا تلك الكميات الكبيرة من القمح التي كان يصدرها أسلافه الى روما. واستطاع يوبا الأول إنعاش الخزينة العمومية بفضل ما يدفعه المزارعون من الضرائب، ومساندتهم للملك يوبا الأول في حروبه421.

---

418 Gsell S., *H.A.A.N*, V, p. 210.

419حارش، م.هـ.، 1985، *التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا*، الجزائر، ص 136.

420 Strabon, XVII, 3, 15.

421 Strabon, II, 5, 33.

وبالرغم من الجهود التي تبذلها الشعوب الا أن فترة الحرب تعتبر دائما بحالة عدم الاستقرار وتؤثر بشكل مباشر على الاقتصاد. فبالرغم من ميزات شخصية يوبا الأول إلا أن اقتصاد مملكته تأثر كثيرا من جراء الحرب.

الرقم	الصورة	المحتوى	المعنى
01		رأس يوبا الأول مكلل ومتوج وملتحي ويحمل صولجانا.	يدل على الاهتمام بالجانب العسكري، أما بالنسبة للمعبد الذي يحتوي على كتابة بونية، فهو دليل على تمسك الملك بمعتقدات أسلافه
02		رأس يوبا الأول بهيئة عسكرية، ونرى في الوجه الخلفي للعملة صور للفيل يتجه نحو اليمين	كان الفيل أداة هامة للحرب في تلك الفترة ولذا صوره يوبا الأول على الوجه الخلفي من عملته ويظهر الفيل كرمز لتحقيق الانتصار[422]
		رأس الإلهة الافريقية على الوجه الأمامي للعملة والأسد	الالهة إفريقيا دليل على التمسك بالمملكة والأسد

[422] Alexandropolos, J,, 2004, *Monnaie de l'Afrique antique du 400av.jc -40 ap.-J.-C.. ,* Paris 2004 , p . 212

		على فوجهها الخلفي	رمز القوة العسكرية والاقتصادية للمملكة[423]
03		رموز للفيلة	الفيلة هي من الثروات الحيوانية التي تتوفر عليها المملكة وتستعمل في الحروب وألعاب السرك وتصدر بكثرة إلى روما.[424]
04	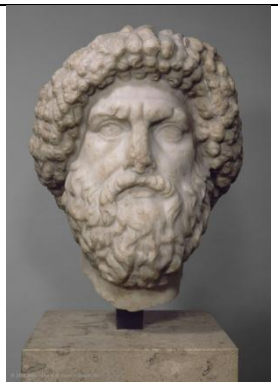	رأس يوبا الأول	رأس يوبا الأول Alexandropolos, J. 2004 ,p . 212.

الصورة رقم 24: قطع نقدية وصور للملك يوبا الأول

[423] Ibid, p. 214.

[424] Ibid, p. 214.

الفصل الرابع

علاقة نوميديا باقتصاد العالم القديم

بعدما تناولنا في دراستنا السابقة للأوضاع الداخلية للمملكة النوميدية425، نتعارف في هذا الفصل على مكانتها في العالم القديم، وكيفية تعاملها مع جيرانها ولتحقيق ذلك يتطلب معرفة أوضاع الدول المجاورة للمملكة النوميدية ونركز أساسا على المناطق التي تعاملت معها بصفة مستمرة ومباشرة426.

سبق وأن أشرنا أن نوميديا عرفت تطورات جعلتها تتغير بتغير المعطيات السياسية والعسكرية شأنها شأن الشعوب الأخرى التي كانت تتعامل معها في جميع المجالات427. ولقد احتكت نوميديا خلال فترة تواجدها أي خلال الفترة الممتدة بين القرنين الثالث والأول قبل الميلاد، بالعالم البوني، الإغريقي والروماني428، وهي أشهر الحضارات البارزة المكونة للعالم القديم، وباعتبار أن دراستنا ترتكز على الجانب الاقتصادي نحاول معرفة مكانة هذه الحضارات وعلاقتها بنوميديا من خلال المصادر التاريخية والمادية المترة.

أشارت العديد من الدراسات الحديثة أن واقع الاقتصاد في الفترة القديمة تترجمه بصدق خاصة المصادر الأثرية بمختلف أنماطها، فحديثنا عن الجانب الاقتصادي، والمعاملات التجارية تتبادر إلى أذهاننا من الناحية المادية القطع النقدية التي تعتبر في أول تعريفها كاتفاقية ثنائية ذات طابع تجاري بين طرفين، ففي هذه الفترة بذات، ضربت العديد من القطع النقدية ونستطيع من خلالها دراسة كرونولوجية التحولات الاقتصادية من فترة إلى أخرى وبالخصوص أن هذه المرحلة عرفت إصلاحات نقدية كانت أملتها

425 Peyras, J., 1996, «L'Afrique de nord antique cultures et paysages », *colloque de Nantes*, p. 12*3*

426 Peyras, J., 1996, «L'Afrique de nord antique cultures et paysages », *colloque de Nantes*, p.57-58, .123.

427نفس المرجع ص. 58.

428 Minaud, G., 2004, *Essai d'histoire économique sur la pensée comptable commerciale et privé dans la monde antique romain*, Bordeaux, p.60.

المستويات الإنتاجية وكذلك السياسة العامة للعالم القديم 429. ففي الفترة الممتدة من وجود نوميديا كمملكتين عرفت العديد من الشعوب المحاطة بها العديد من التغيرات النقدية وكان ضرب القطع النقدية مختلف من منطقة إلى أخرى وحتى من فترة إلى أخرى، وما كان سببا لهذا التباين إلا التحولات الاقتصادية وظهور في بعض الفترات أزمات، ونقص الإنتاج المحلي سواء لأسباب طبيعية أو عسكرية430، فإذا ما أخذنا الإمبراطورية الرومانية عرفت خلال هذه الفترة قطع نقدية 431 التي كانت مرآة تفتحها على العالم الخارجي وكذلك تبين المستوى الاقتصادي الذي حققته .

1.الاقتصاد الروماني ونوميديا

تحدثت المصادر القديمة عن العديد من حضارات العالم القديم وعن علاقتها الاقتصادية بنوميديا، وكانت هذه الأخيرة على ما يقول تيت ليف تصدر عدة أنواع من الحيوانات الى روما: "كانت الحيوانات النوميدية تستعمل في المسارح الرومانية والملاهي الرومانية منذ القرن الثاني قبل الميلاد مثل الأسود و الفيلة، والنمور والنعام"432 وإذا ما حاولنا تحليل هذه المقولة نقول أن الإمبراطورية الرومانية المعاصرة لنوميديا في القرن الثاني قبل الميلاد كانت تستورد الحيوانات لغرض استعمالها لأغراض ترفيهية، ويبين هذا أن الرومان كانوا دائما بحاجة الى الممالك النوميدية حتى في فترات الاستقرار433.

---

429 Andeau, G., 2004*, Mentalités et choix économique des Romains,* Bordeaux p. 43.

430المرجع السابق ص. 44

431 Christol, M. ,1990, *Rome et son empire, des origines au invasions barbares*,Paris, p. 63.

432 Titius Livius , XXXIX , 22 ; XLIV, 8.

433 Morel, J-P., 1995, « Productions et exportations africaines », *Actualités archéologiques en Afrique et Méditerranée,* C.T.H.S, p.46.

عرفنا من خلال دراستنا للنظام النقدي الروماني أن قبل القرن الثالث قبل الميلاد لم تستعمل روما قطع نقدية وإنما كان الرومان يتعاملون بالقطع النقدية الإغريقية، وأول ما قام الرومان بضرب العملات كان خلال القرن الثالث قبل الميلاد، أي خلال فترة الجمهورية الرومانية، وكانت حينئذ مصنوعة من مزيج بين الذهب والفظة والبرونز، فالعملات البرونزية كانت تستعمل يوميا لغرض قضاء الحاجيات ذات الاستعمال الواسع، وأما العملات الذهبية فكان الرومان يخصصونها لشراء ما هو غالي وبكميات كبيرة. والقطعة النقدية المصنوعة من البرونز سميت فيما بعد "الأس" أما العملات الفضية كانت تسمى " دناريوس" وتعادل من 10 إلى 15 أس أثناء فترة الجمهورية، أما العملة الذهبية فكانت تسمى " أوريوس" وتعادل 250 أس434. ونستطيع أن نقول إن قبل القرن الثالث، كان الرومان تابعين اقتصاديا للنظام الإغريقي435.

ومن ناحية توفر القطع النقدية، كان لضربها شأنا سياسيا قبل أن يكون اقتصاديا، كان الرومان في أول وهلة يصنعون القطع النقدية في العاصمة " روما" وبعد ذلك أصبحت تصنع النقود في كل مقاطعتها. فكان للقطع النقدية شأنا كبيرا ومن خلالها يروج للسياسة والقوة الاقتصادية للمناطق. وكانت الصبغة الإغريقية حاضرة في معظم القطع النقدية الرومانية، حتى في المستعمرات الرومانية فيما بعد436. فبعد الدراسة التي قام بها المختصون وبالعودة إلى الكتابات الأثرية أستنتج بعض الأثمان المتعلقة بالحياة اليومية لسكان التابعين سياسيا للرومان.437

434 Minaud, G. ,2004, *Essai d'histoire économique sur la pensée comptable commerciale et privé dans la monde antique romain* ,Bordeaux p. 57-58.

435 Anrreau, J., Jerome, F et Sylvie, P, 2004, *Mentalités et choix économique des Romains*, Bordeaux, p.4*5*

436المرجع السابق ص,63

437هذه الأثمان أخذت من العديد من الكتابات المعثور عنها في مدينة " بومبيي" .

المنتوج –الأجر	السعر (سيسترس)
جزء من الخبز	0.5
الخمر	0.5
لتر من زيت الزيتون	2-3
جزء من لحم الخنزير	32
سعة من الفرينة	10
الاستحمام	0.25
بذلة	15
حمار	500
عبيد	1000 – 2000
أجر العامل البسيط	32
متوسط أجر العامل	60- 80
ثمن قطعة أرض صغيرة	100000
ثمن المنزل	500000

جدول يمثل بعض الأثمان المطبقة احتمالا خلال القرن الثاني والأول قبل الميلاد

الصورة رقم25: نماذج من القطع النقدية الرومانية المعاصرة للفترة النوميدية (القرن الثالث إلى القرن الأول قبل الميلاد)، *www.cgb.fr*

انطلاقا من فترة الجمهورية إلى غاية نهاية القرن الأول قبل الميلاد، تتحدث المصادر عن إنتاج العديد من أنواع الخمور حيث أشار شيشرون أن الحاكم تيتيريوس (Titurius) فرض الضريبة أربعة دوني لجعة خمر تدفع للخزينة العمومية438، على سكان تولوز العابرة للحدود الرومانية ا439. وتحدثت المصادر القديمة هذه المنطقة أنها تتربع على أكثر من مئة هكتار واحتلت من طرف الرومان في نهاية القرن الثالث قبل الميلاد وخصصت المنطقة لبعض الحرف والصناعات كصناعة الأجور والحلي440.

وعثر على أثر لختلف صادرات المنطقة من الفخار والأجور ومواد أخرى.

438 الدونيي: هي وحدة نقدية من معدن الفضة ظهرت خلال القرن الثالث قبل الميلاد وكانت تعادل 10 سيسترس خلال هذه الفترة (Denier)

439تولوز : هي مدينة محاذية للتراب الروماني حيث تمر منها السلع المصدرة خارج الجمهورية الرومانية

440 Saint, M., 2008, *La voie de Rome, entre la méditerranée Atlantique,* Paris, p 28.

ومن جهة أخرى، أشارت الأبحاث أن روما كانت تصدر الى إفريقيا الخزف وأنواع عدة من مواد البناء، كالأحجار المستعملة في مختلف التجهيزات العمرانية وكذا الأحجار المستعملة في التزيين441.

ويدلنا علماء الآثار على وجود محاسبة تدخل ضمن الاقتصاد الروماني، وتعود إلى القرن الثالث والثاني قبل الميلاد تتحدث وكان هدفها تحديد كميات الاستيراد والتصدير. وتنص أحد النصوص اللاتينية على استخدام المواد في استصلاح الأراضي442. وونصوص أخرى تتحدث عن حاكم يدعى" سيسيل"443، الذي تحصل على رخصة ومبالغ مالية لغرض شراء القمح والشعير للمواطنين444. لكن هناك طرق عدة تتحكم في هذه العماليات حسب نوع الإتفاقية وكيفية الشراء، ففي بعض الحالات ترسل المادة أي القمح قبل دفع ثمنه، وفي هده الحالة يكون الثمن مختلف عن ثمن المنتوج المدفوع مباشرة. والأ مر كذلك بالنسبة لثمن القمح المطلوب على المدى القريب445.

تؤكد جل المصادر على جودة المحاصيل الزراعية المنتجة بمنطقة نوميديا التي تمثل مصدرا لا مثيل له لتمويل الأسواق الرومانية بالحبوب ويشير كاتون في خطابه أمام أعضاء مجلس الشيوخ الروماني خلال فترة الحروب البونية، يحثهم على بذل كل الجهود لهزم قرطاجة والاستحواذ على خيرات المنطقة. أكيد أن الرومان، ليسوا الأوائل الذين استفادوا من خيرات الأراضي الإفريقية، هذا ما تبينه المعاهدات بخصوص زراعة الأراضي التي أقيمت من طرف المؤلفين القدامى المعروفين مثل ماقون، المترجم. ولكن كانوا يعتنون بالأراضي بصفة مستمرة، وهذا بالإضافة إلى الأباطرة الذين يهتمون بالشعير في أول مهام لهم خلال تنصيبهم، ثم الخمور التي كانت توزع مجانا لربح ضمائر الشعوب.انطلاقا من القرن الثالث قبل الميلاد، بدأ الإشكال يظهر في إيصال المواد الغذائية وبدأ يزداد حدة انطلاقا من 230 عندما بدأ القمح المصري ينقل إلى إسطنبول "446.

---

441 Baratte, F., 2010, *L'Afrique romaine tripolitaine et Tunisie*, Paris, p. 40.

442 Caton, *Agr.*, I , S.

443 Peyras, J., 2015*, La loi agraire de 643 Av .J.-C, 111 A.-J.-C, en Afrique*, France, p. 69.

444 C .I.C, Verr .3 , 192. Roman, Y., Dalaison, J., 2004*, L'économie antique, une économie du marché ?,* Paris p.42

445نفس المرجع ص 154

446 Baratte, F., 2010, p. 4.

هذا، وقد أكدت الأبحاث أن بعد الشعير والخمور، يأتي في الصف الثالث، الزيت التي كان أيضا من ثروة إفريقيا، وكما استدل أن البونيين تعلموا استصلاح أشجار الزيتون، وغرسوا العديد من أنواع أشجار الزيتون. ففي نهاية الفترة النوميدية فرض "قيصر" على مدينة لبدة الكبرى دفع 3 ملايين لتر من الزيت447 .

يظهر من خلال الأبحاث والدراسات، أن كانت إفريقيا تستورد من روما العديد من المنتوجات المتعلقة خصوصا بالصناعات ذات المادة الغير متوفرة فيها وذكرت الجرات ذات النوع الإطاليكي "*Italique*" والنوع السجيلي القولواز "*Sigellées gauloises*"448. " لنعدد بصفة عامة، المواد الباطنية التي نصدرها إلى إفريقيا، فنبدأ بالمواد الصلبة ومنها الصخور المستعملة في البناء، الرخام ، الرمال بتعدد أنواعه، العديد من أنواع الأحجار الكريمة التزيينية ، والأتربة المستعملة في صنع المواد التجميلية وكانت تسمى *Cicerculus* 449.

" في الإسكندرية، فخار " Grathia" يفوق بكثير المواد التي يتم تصديرها إلى بلاد الإغريق او أسيا الصغرى "450 بالعكس عن إفريقيا التي لم يكن هذا النوع يصدر إليها وهذا يطرح سؤال إما لأن هذا النوع من الفخار إما أنه غير مستعمل أم أنه منتوج بكيفية يستهلك محليا في إفريقيا.

وبالرغم من كون هذه الدراسة مجرد معلومات وردت في المصادر والكتابات القديمة، فان والدراسات عن الحالة العامة للعالم الروماني خلال فترة التعايش مع نوميديا، نستنتج أن العلاقات التجارية بين العالم الروماني ونوميديا كانت جد مرتبطة وهذا بالنظر إلى الحالة والنظام المطبقة في روما، ونوميديا لغرض التكامل في جميع المجالات، فمن جهة نوميديا تحدثت المصادر عن استيراد العديد من المواد ذات نمط طبيعي مثل مواد البناء ومواد التزيين وهذا بالإضافة إلى بعض المواد الزراعية التي كانت نادرة أو غير منتجة في إفريقيا. ومن جهة روما كانت تستورد الحبوب والقمح والشعير في جميع مقاطعاتها إلى حدود أن هذا المنتوج كان محل نقاش في مجلس الشيوخ الروماني وذلك لتوفيره في مقاطعتها التي كانت تحت

447نفس المرجع ص. 67

448 Peyras, J. et Georges, T., 1996, *L'Afrique du nord antique Cultures et paysages*, p. 11.

449نفس المرجع ص13

450 Ballester, P. et Bonet, C., Palaez, 1980 , p .163-164 .

سلطتها لمنعها من خطر الثورات وهذا بالإضافة إلى الزيوت وهذا بغض النظر عن الحيوانات التي أيضا أشير الأبحاث أنها مهمة في النشاطات الترفيهية والزراعية في الاقتصاد الروماني.

يمكن القول أن المكانة الأساسية لنوميديا في العالم الروماني كان لها شأن كبير، لذلك رغم التحولات المختلفة التي عاشتها، كانت في كل مرة، لها مكانة في العالم القديم و ذلك ليس فقط في العالم الروماني وإنما، هي أيضا مجال للنظام اقتصادي متمركز بين حضارة شرقية وألا وهي الحضارة الفينيقية التي لها أيضا جذور تاريخية متعايشة مع إفريقيا المحلية خلال الفترات التي سبقت الفترة المعروفة بالنوميدية، ولتشكيل الصورة و صبغة نوميديا مقارنة بالعالم البوني الذي كان فينقيا قبل فترة الدراسة، نعرج على بعض المكانة الاقتصادية للعالم البوني خلال الفترة النوميدية.

2. الاقتصاد القرطاجي ونوميديا

منذ الألفية الأولى قبل الميلاد، كانت القوتان البحريتان الفينيقية والإغريقية قد اقتسمتا النفوذ التجاري في البحر المتوسط، فأسستا عشرات المستوطنات والاسكالات على امتداد السواحل المتوسطية[451].

نزل الفينيقيون في السواحل الإفريقية ويبدو أنهم نالوا ثقة الملوك المحليين فمنحوهم امتياز النزول في شواطئهم وإقامة محطات للراحة والتبادل التجاري، فقد كانت إفريقيا غنية بالثروات، ولم يشعر السكان بالحاجة إلى المغامرة البحرية أو البحث عن مناطق أخرى. فسرعان ما نمت المصالح الفينيقية لتسيطر جالياتهم على جميع المنافذ البحرية من خليج السيرت الكبير إلى المحيط الأطلنطي، وكانت مدينة أوتيكا أولى مستعمراتهم بالمنطقة قبل أن تنافسها مدينة مجاورة لها وهي قرطاجة لتصبح هذه الأخيرة زعيمة باقية المستعمرات الفينيقية في الحوض الغربي للمتوسط وتحولت تدريجيا إلى إمبراطورية تجارية وهذا منذ القرن الخامس قبل الميلاد[452].

---

451 محمد لعربي عقون، 2008، *الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي*، الجزائر، ص. 53

452 Decret, F. et Fantar, MH., 1981, *L'Afrique du nord dans l'antiquité, des origines au 5eme siècle*, Paris p. 56

بذلك أصبح الاقتصاد الإفريقي القديم تحت سيطرة قرطاجة البونية تصديرا واستيرادا، ويبدو أن الأهالي لم يعترضوا عن ذلك في البداية وذلك لحاجياتهم إلى التبادل التجاري، ولكن بعد تطور الأوضاع في كل من قرطاجة والممالك النوميدية وتصادم المصالح فسدت العلاقات بين الطرفين خاصة عندما أخذ القرطاجيون يحاولون الاستلاء على الأراضي الداخلية453.

كانت قرطاج مركز تجميع السلع وتوزيعها، وأهم مصدر مواردها هي إسبانيا، حيث تجلب منها الذهب والفضة، هذا بالإضافة الى موارد أخرى كالقصدير والعاج والفيلة التي تأتيها من إفريقيا الغربية وكذا الحبوب من سردينيا، وتأتي بالعسل والتين والرمان من الشمال لأفريقي القديم، والأخشاب ورخام والأحجار الكريمة من بلاد الغرامنت، والتمور من الصحراء454.

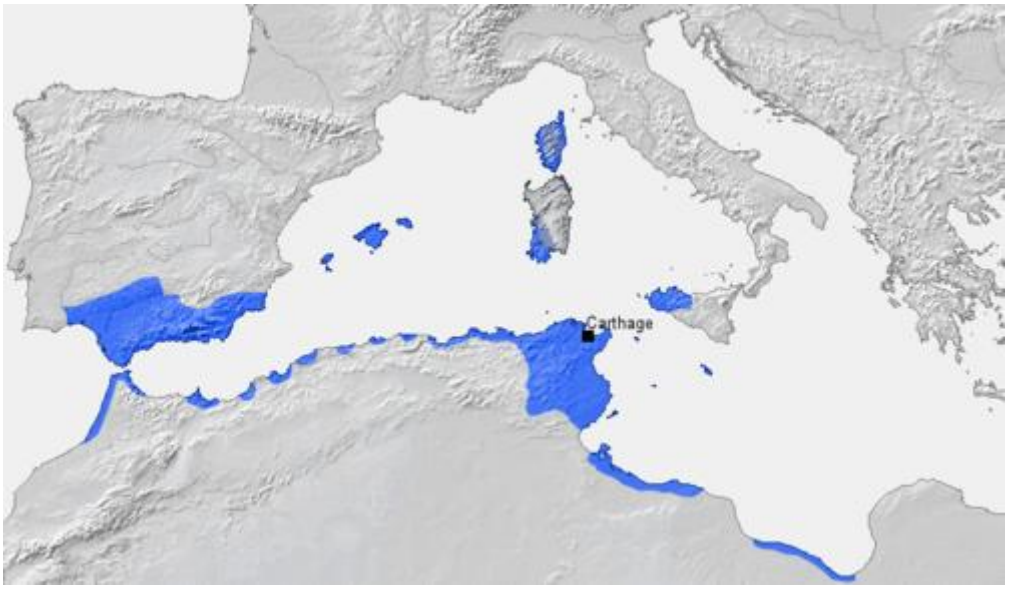

صورة رقم 26: خريطة جغرافية توضع المناطق التابعة لقرطاجة خلال بداية الحروب البونية

453 Walter, G., 1937, *La destruction de Carthage*, Paris, p.237.

454 Hecren, s.d., *Politique et commerce des peuples de l'antiquité,* IV, Paris, p. 174-175.

•الصناعة

عرفت الحضارة القرطاجية العديد من الصناعات، حيث أن في أوائل وجودها كان الجانب التجاري هو الطاغي على كل النشاطات، لكن مع مرور الوقت توسع نشاطها إلى الجانب الزراعي والصناعي 455، واتفق معظم المختصين الآثاريين على كون أغلبية الورشات والتحف التي عثر عليها في العديد من المواقع تعود إلى الفترة البونية المعاصرة للحضارة النوميدية456، وافضل دليل العاصمة القرطاجية نفسها التي كانت موقعا هاما للعديد من البقايا الاثرية457، بالإضافة إلى مدن أخرى أثرية كانت تابعة لقرطاجة خلال القرن الثالث والأول قبل الميلاد، كمدينة إكوسيم أين عثر على بقايا للفخار وعدد كبير من المسكوكات يعود إلى نفس الفترة458.

•ضرب العملات

عرف ضرب القطع النقدية تباينا كبيرا في الفترات المختلفة للتواجد البوني في شما إفريقيا، فبعد انتشارها خلال الحروب البونية وبالخصوص خلال الحرب البونية الثانية حيث عثر على كميات كبيرة من القطع النقدية مصنوعة في ورشات قرطاجية، ثم أخذت المدن الأخرى التابعة لها تضرب بدورها نقودا باسمها459، ونذكر فيما يلي بعض النماذج من هذه العملات:

---

455 Diodore de Sicile, VII, 34.

456المرجع السابق، ص. 2651.

457 Camps, 1979, « Les numides et la civilisation de Carthage », *Ant. Afr.* 14 p .6

458 Camps, G., 1979, p. 64.

459 Alexandropoulos, J., 2007, p. 420.

صورة رقم27. نماذج من القطع النقدية البونية والتي تعود إلى الحرب البونية الثانية

•المبادلات التجارية

المؤكد أن التجارة لعبت دورا أساسيا في الحياة الاقتصادية القرطاجة، وعلى هذا الأساس عملت قرطاجة دائما على احتكار الأسواق وإبعاد المنافسين سواء بالقوة أو بعقد بمعاهدات460، وهي السياسة التي أتبعها القرطاجيون في كل مراحل تاريخهم. وكان هدفهم دائما هو ضمان احتكار كل التجارة في البحر المتوسط461 وهو ما حققوه خلال القرن الرابع قبل الميلاد462. وتدلنا المصادر أن القرطاجيين منعوا على الرومان التعامل التجاري مع السواحل المتوسطية منذ القرن السادس قبل الميلاد463، وكذا انشاء

460Gsell, HAAN, IV, p. 122.

461محمد الهادي حارش، 1984، ص . 86

462نفس المرجع ص.87

463 Polybe, *Histoire*, Trad D. Roussel, Paris, 1970.

مدن في المناطق المحاطة بالبحر المتوسط وبذلك تمكنوا من السيطرة على كل المنطقة خلال فترة زمنية طويلة إلى بداية الحروب البونيقية464. وقبل القرن الخامس قبل الميلاد، أي قبل صكهم للعملة، كان القرطاجيون يتعاملون مع الشعب بالمقايضة أو باستعمال العملات الأجنبية، حيث كانوا يعتمدون خاصة على معايير شرقية465.

ومن الصعب جدا معرفة ما كان يستورده القرطاجيون وما كان يصدرونه، وهذا لنقص المصادر وحتى المقتنيات الأثرية لا تتعدى الأثاث الجنائزي، ورغم ذلك رجح المختصين أن بعض المواد التي عثر عليها في إقليم قرطاجة، كانت مستوردة من إسبانيا وهي عبارة عن مواد أولية ومعادن مختلفة مثل الذهب، الفضة، القصدير، الصوف والجلود، أما من إفريقيا فكانت تستورد العاج، الأخشاب الضرورية لصناعة السفن، الأحجار الكريمة، ومن نوميديا كانت تستورد الحبوب والشعير466.

أما الصادرات فتتمثل خاصة في الأقمشة وكذا العسل، التين، الرومان، الزيت، الملح وغيرها وأشار المؤرخون أن التجارة هي أحد الموارد الأساسية لتطور الاقتصاد القرطاجي467.

---

464 Strabon, *Géographie*, VI, Trad. F. Richard, Paris 1966, p.19.

465 Lapeyre, G ., Pellegrin, G., *Carthage punique (814-146 av.-J .C)* , Paris, 1942.

466محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 88

467نفس المرجع ص 89.

من خلال هذه الدراسة العامة التي تطرقنا إليها، نستنتج أن للتواجد القرطاجي في شمال افريقيا بالذات غرز العلاقة اقتصادية مع نوميديا على الرغم من التقارب الجغرافي والتشابه في التضاريس إلا أن المبادلات التجارية كانت بين الطرفين قوية بسبب نقص في قرطاجة للموارد الزراعية كالقمح والشعير وحاجة نوميديا لاستيراد المواد المصنعة من قرطاجة.

الفصل الخامس

مكانة الاقتصاد النوميدي في العالم القديم

ان التطرق إلى تاريخ المبادلات التجارية468 في رقعة جغرافية وحدود تاريخية محددة لا تكتمل إلا بدراسة المحيط العام والخارجي لنفس الفترة الزمنية، وذلك من أجل تحديد المكانة الاقتصادية للمنطقة من بين غيرها من المناطق. فالاقتصاد في نوميديا مرتبط ارتباطا وثيقا بالشعوب العالم القديم المحيطة بها469. ومعرفة واردات وصادرات نوميديا يساعد على معرفة قيمتها ومكانتها الاقتصادية في العالم القديم.

ومن أجل الوصول الى هذه المعلومات عن الفترة النوميدية، نتطرق إلى التحولات الزراعية التي عرفتها وندرس فيما يلي المجال الزراعي في المنطقة من خلال مجالها التاريخي:

1. وضعية استغلال الأرض في في نوميديا

من الصعب التحديد الدقيق لصادرات المملكة النوميدية وذلك للبعد الزمني ولمرورها بعدة تغيرات سياسية وتعاقب ملوكها والصراعات العسكرية التي عرفتها470. فإذا ما تحدثنا عن الممالك النوميدية قبل التوحيد لوجدنا ان تقسيمها الى مملكتين مستقلتين كان يعرقل إنتاجها الزراعي471، وليس بالسهل أيضا التطرق إلى فترة المملكة الموحدة بسبب التغيرات السياسية التي عرفتها أما بخصوص الفترة اللاحقة أي فترة ما بعد الملك ماسينسا فهي الأخرى صعبة الدراسة بسبب التغيرات التي عرفتها جغرافية المنطقة بالاضافة الى بداية التوسعات الرومانية على حساب أراضيها الشمالية، ونعدام

468 Andreau, J., 1995, « Vingt ans après l'économie antique de Moses », *Annales d'Histoire, Sciences Sociales*, 50 années, N° 5, p. 949.

469 Doukalis, P., 2002, « Un livre sur l'économie grecque antique », 28, *Dialogue d'Histoire Ancienne*, p.205.

470ديورنت، و.، بدون تاريخ، *قصة الحضارة*، ج1 ، المجلد رقم 3، قيصر و المسيح أو الحضارة الرومانية، ترجمة محمد بدران، جامعة الدول العربية، ص. 85- 86.

471 Pline l'Ancien, *Histoire naturelle*, LIV.V, 1, trad. J. Desanges, Paris, 1980.

الاستقرار من الجهة الشرقية مع جيرانها البونيين والصراع القرطاجي الروماني472. لكن بالرغم من ذلك نحاول التعرف على أحوالها بالعودة الى موروثها الأثري473.

ووصفت النصوص التاريخية القديمة أن الجهة الغربية من نوميديا المحاذية لموريطانيا كانت خصبة وتنتج الكثير وتحتوي على موارد طبيعية هامة474. أما المنطقة الشرقية فهي مزدهرة ومستغلة بصفة دائمة. فوصف "سترابون" خصوبة أرضها بقوله: "البعض منهم يقطنون أراضي تغل مرتين في السنة صيفا وربيعا، وأن طول ساق نبات القمح يصل إلى مترين وعشرون سنتمتر وسمكه كان يبلغ سمك الإصبع الصغير، وإنتاج السنبلة كان يصل إلى مائتين وأربعين للحبة الواحدة. ولا يبذرون في الربيع حيث كانوا يكتفون بكشط الأراضي بالمكنسة من الأغصان الشائكة والحبوب التي تقع على الأرض خلال الحصاد تكفي لإعطاء محصول كامل في الصيف"475. واعتبر البعض أن وصف سترابون مبالغ فيه. وتدلنا المصادر الاسلامية بأن نفس هذه الأراضي تنتج نفس الكميات في الفترة الإسلامية، ويتحدث البكري حول الأراضي المنتجة مرتين في السنة والتي تستخدم فيها وسائل الري الحوضي. ونجد هذا النوع من الزراعة في جنوب الأوراس ويلح سترابون على احترام الدورة الفلاحية المتمثلة في تنوع المحاصيل الزراعية لأن زرع محصولين متتالين ومن نوع واحد قد يسبب في هلاك الأرض476. أما عن الثروة الطبيعية، فقد عثر بالقرب من مدينة تيناس على بقايا أثر لمنجم نحاسي كان يستغل في الفترة نوميدية امستخدما قديما477.

---

472 Strabon, XVII, 3, 13.

473غانم، م.ص.، *التوسع الفنيقي في غرب المتوسط*، الجزائر، 1979 ص. 96.

474 Strabon, *Géographie*, IV, 1, trad. A.Tradieu, éd, Hachette, Paris, 1867-90.

475 Pline L'Ancien, V, 19.

476 Baradez, J., 1949, *Fossatum Africae (recherche aérienne sur l'organisation des confins sahariens à l'époque romaine*), Paris, p. 153.

477محمد صغير غانم، 1979 ص. 112.

سبق وأن أشرنا الى تطور الإنتاج الفلاحي في مملكة نوميديا، وعرفت محاصلها الزراعية بالجودة في روما ويشهد العالم القديم بانواع الحبوب النوميدية وجودتهالى القمح والشعير تنتج نوميديا منتوجات أخرى كالعنب والخمور التي تصدر الى الأسواق الشرقية والغربية478.

2. المقومات الأساسية للاقتصاد النوميدي

من خلال تطرقنا إلى الدراسة الاقتصادية للممالك النوميدية (صورة رقم16)، توصلنا إلى مجموعة من المعلومات التي تعتبر مهمة في حياة تلك الممالك، ولقد تم تحديد مكانتها الاقتصادية في الفترة القديمة، بالرغم من صعوبة أمرها بسبب نقص المصادر الأدبية والأثرية حيث تذكر المصادر حرق مكتبة قرطاج خلال تدميرها من طرف روما 146 ق.م479، بالإضافة الى تضارب المراجع حولها.

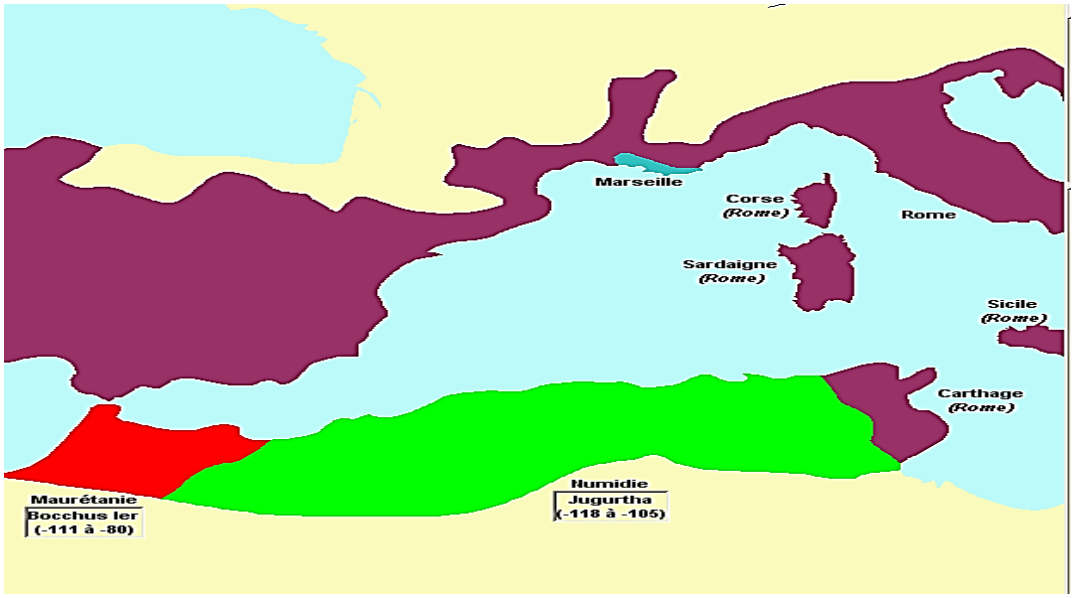

صورة رقم28. خريطة للحدود النوميدية الرومانية

478 Hubac, P., *Op.Cit.*, p .114.

479المنصوري (ر) ، المغرب الكبير في العصور القديمة، الجزء الأول، بيروت 1981، ص 142

وبسبب طول الفترة الزمنية وتساع النطاق الجغرافي لمحتوى الدراسة، قسمنا الموضوع الى عدة مراحل المهمة في حياة الممالك النوميدية، فالأولى هي المرحلة التي سبقت توحيدها من طرف الملك ماسينسا، حيث كانت مقسم إلى قسمين، الشرقية المتمثلة في مملكة الماسيل والغربية المسماة بالماسيسلية ونستعرض فيما يلي بعض الجوانب من المكانة الاقتصادية لهذه الممالك:

لكن نجد بعض الإشارات في كتاب التواريخ لهيرودوت وحتى عند غيره من القدامى، كلها تشير الى وجود مملكة ماسيلية ومن ملوكها هرباس(Hiarbas) الذي منح امتياز قاعدة تجارية (مدينة قرطاج)480 لعليسا، الأميرة الفينيقية الهاربة من بطش أخيها وتذكر ملكا آخرا يدعى ايلماس (Ailymas)وينتمي هذين الملكين الى سلسلة ملوك الماسيل (Massyles) التي انحدر منها ماسينيسا481. كانت مدينة دوقة (Thugga) إحدى العواصم السياسية والاقتصادية للمملكة الماسيلية482، قبل ظهور قرطاجة كقاعدة تجارية هامة في المنطقة. وهكذا ظلت القوتين القرطاجية والماسيلية متعاصرتان حتى سقطت الأولى تحت ضربات الرومان483 واستمرت الثانية قرنا كاملا لتسقط هي الأخرى تحت سيطرة روما لتنشأ في قرطاجة مقاطعة افريقيا القديمة وفي نوميديا ولاية افريقيا الجديدة484.

وكانت نوميديا قبل احتلالها من طرف الرومان تحتل مكانة اقتصادية هامة حيث كانت تقدم مساعدات اقتصادية لكل من قرطاجة وروما.

---

480 *Ouvres complètes*, trad. A. Burget, Belgique, 1982.

481 Cornevin, R., 1967, *Histoire de l'Afrique des origines au XVI siècle*.1 Paris, p. 124.

482 Op. Cit , p.135.

483المنصوري ،ر.، ص 215.

484 Cornevin, R., 1967, *Histoire de l'Afrique des origines au XVI siècle,* 1, Paris, p. 241.

أ. الطرق البرية والبحرية

تعتبر الطرق البرية والبحرية كشريان للحياة الاقتصادية في العالم القديم، وقد استعملت من طرف حتى الحضارات السابقة للممالك النوميدية والمجاورة ونذكر على سبيل المثال الحضارة الفنيقية والقرطاجية، وتعتبر شبكة الطرق النوميدية وموانئها من المقومات الأساسية لسريان العجلة الاقتصادية في المنطقة، والاختلاف الموجود بين الطرق البرية والبحرية، فالنوع الأول يجعل التجارة الداخلية حيوية أما بالنسبة للثاني فهو يهتم بالتجارة الخارجية، وكلاهما يعتبر وسيلة أساسية للتجارة من خلال نقل البضائع.

تركت لنا المصادر الأدبية والمادية، رغم نقصها، بعض الإشارات عن الطرق الأساسية، حيث ذكرت الروابط الأساسية المعروفة، وكذا الموانئ التي تعتبر وسيلة من الوسائل الحيوية للتجارية. وبالرغم أن نقص المصادر حول هذه الاخيرة، فانه من البديهي، ان تكون بمثابة محطات تجارية بحرية وهي موزعة على طول الساحل النوميدي المطل على البحر المتوسط. وهذه المحطات غالبا ما يكون نشاطها تجاري خارجي، بالمقارنة للمسالك الداخلية التي هي تستعمل في توزيع البضائع بين المدن الداخلية للممالك وتتم تبادل السلع في أسواق داخلية مخصصة لذلك. فهناك في نوميديا بعض الموانئ تقوم بنشاط تجاري داخلي وتتمثل في موانئ كل من تنس، دلس، جيجل، رشقون، سكيكدة، عنابة، وغيرها485.

وبما أن دامت الطرقات هي القاعدة الأساسية في التطور الاقتصادي لأي شعب، فإنه لا يمكن لأي منطقة أن تتطور منعزلة عن محيطها القريب أوالبعيد، فالطرقات هي الوسيلة الوحيدة لنتقل الأشخاص والسلع. أما الطرق النوميدية فلم تكن متطورة كما هي أثناء التواجد الروماني في المنطقة. والملاحظ أن قضية الأمن كانت مطروحة في هذه طرق بسواء البحرية أو البرية، حيث تتعرض السفن والعربات الحاملة للبضائع للنهب والسرقة.

ب.الأسواق التجارية في نوميديا

485 Cornevin, R., 1967, p. 245.

اختلف المؤرخون حول أصل الكلمة سوق، فهناك من اعتبرها كلمة فينيقية سامية (M.K.R) وتعني " قام بالتجارة" 486 وهناك من أعاد أصلها إلى الإغريق بمعنى سوق خاص بشتى أنواع السلع وعادة ما تتم في ساحة عامة وتؤجر فيه دكاكين، وتدفع فيه الضرائب عند دخول السلع إلى السوق487.

كما أن أشار المؤرخين الى انقسام هذه الأسواق إلى يومية وأسبوعية، وتقام دائما في أماكن مختلفة، وتحدث مرة في كل أسبوع بالنسبة للأسبوعية، وتختلف الأسواق عادة حسب اختلاف السلع، فتذكر المصادر أسواق مختصة في الحلي وأخرى في الأقمشة أو الحبوب488. وهناك العديد من الأسواق في نوميديا ونذكر منها سوق باقة للحبوب489.

وأشار المؤرخين الى تواجد المحلات والدكاكين وهي نوعان تبرني (Tabernae): وهو مصطلح تطور عبر العصور القديمة، وكان يعني الخيمة المصنوعة من الخشب، ثم أصبح يعني الدكان ويتم فيه البيع بالتجزئة. أما النوع الثاني فهو أوفيسيني (Officinae) ويعني إما محلا مخصصا للصناعات الحرفية أو الدكانا خاصا بالبيع والشراء490.

ت. التجار والتجارة

نستطيع تقسيم التجار في نوميديا إلى قسمين، تجار محليين نوميديون، وتجار إغريق وغاليين وإسبان وشرقيين وغيرهم. وقد كان ضمن هؤلاء تجار كبار ورجال المال والأعمال، وتجار مستقرين وآخرين متنقلين، وكذا الأحرار والعبيد، وقد مارس بعضهم التجارة في نوميديا وموريطانيا، في حين مارس البعض

486 DE Meyer, L., 1962, « L'étymologie de Macellum « marché », *Ant. Class,* p. 148.

487 Lassus, J., 1966, « Une opération immobilière », *M.A.H*, vol, III,p.1230.

488 Rich, A., p.382.

489 Besnier, M., "Nundinae", *DAGR*, p. 120.

490 Rich, A. , Op cit , p , 431.

الأخر التجارة بنوعيها الداخلي والخارجي، بالإضافة تجار حرفيين معروفين من خلال ما يعرضونه من سلع في الأسواق491.

كان هؤلاء التجار جميعهم يعملون في بداية الأمر بصفة فردية، ثم انخرطوا في تكتلات مختلفة، بينما اتحد التجار الصغار في نقابات لغرض الدفاع عن مصالحهم التجارية، وفي هذا الشأن، يعتقد الباحث ستيفان قزال، أن التجار كانوا يؤلفون مجموعات رئيسية تتكون من بدو ورعاة يتاجرون في الماشية والمنتجات الحيوانية كالجلود، هذا بالإضافة الى سكان المدن الذين يتاجرون في المواد المصنعة. إلى جانب هؤلاء، نجد كبار التجار المحليين، اللذين يتمثلون في الملوك وعائلتهم.

وقد ورد في نقيشة عثر عليها في معبد الحفرة بقسنطينة، كلمة حاكم أو رئيس التجار (RBHMKRM) والذي يعني أن تجار هذه المنطقة كانوا منظمين في جهاز يديره رئيس يهتم بمصالحهم ويحدد واجباتهم ويدافع عن حقوقهم، وهذه الفكرة تقودنا إلى الحديث عن تعدد التجار في المنطقة التي عثر فيها على النقيشة المذكورة وكذا أهميتها التجارية القائمة على ترويج المحاصيل الزراعية وبعض الصناعات المحلية وفي مقدمتها الفخار.

أما بالنسبة لتجار الرومان المتعاملين مع نوميديا فيمكن تقسيمهم إلى قسمين، تجار مستقرين في نوميديا، الذين يلعبون دور الوسيط بين نوميديا وإيطاليا والنوع الثاني هم تجار يقيمون في روما وفي مراكزها التجارية، وقد ينطبق هذا على ما أشار إليه م.ب.شنيتي بشأن دور التجار الرومان في قرطاجة، بعد سقوطها في سنة 146 قبل الميلاد، حيث أشار" أن التجار الرومان (صورة رقم 17) احتلوا مكان التجار القرطاجيين في نوميديا ومركزين تجارتهم على القمح النوميدي المطلوب بكثرة في الأسواق الإيطالية وبلاد الإغريق. وكان عدد هؤلاء التجار يزداد باستمرار وترتفع بالتالي مكانتهم بالمنطقة وخارجها، حتى أصبحوا يشكلون طبقة راقية في المجتمع وأخذوا يتدخلون في الشؤون السياسية الداخلية للمملكة النوميدية. وأحسن مثال ما حدث سنة 112 قبل الميلاد خلال الصراع الذي نشب بين يوغورطة وابن

491 Moyne, J., 1955, « Des documents relatifs à l'artisanat punique à Carthage », *C.T.H.S,* France.

عمه "أذربعل"، حيث شكل التجار الرومان قوة دفاعية ضد زحف يوغورطة على مدينة سيرتا، وقد كرر التجار هذا الموقف خلال حملة قيصر على إفريقية، وذلك لحماية مصالحهم وامتيازاتهم في المنطقة، فوقفوا ضد القيصر وانضموا إلى جانب أتباع " بومبيي"492.

الصورة رقم 29: مشهد للمبادلات التجارية

أما بالنسبة للتجار المحليين، فكانوا مستقرين في المدن والأرياف، وكانوا يمارسون التجارة إما مع غيرهم من الأهالي أو مع الأجانب كالرومان493. ومن بين هؤلاء المسولاميين النوميديين المستقرين بشمال تبسة494 وضواحيها، والذين كان نشاطهم يخضع لمراقبة مشددة495، وبعد حصول جزء من النومديين والموريين الشرقيين على حقوق المواطنة في الفترة الرومانية، عن طريق التجنيد الإجباري أو بواسطة طرق مدنية أخرى، أصبح يحق لهم ممارسة التجارة على نطاق واسع داخل نوميديا أوخارجها شأنهم شأن الرومان.

492محمد البشير شنيتي 1991، *سيلسة الرومنة*، الجزائر، ص 110.

493 Diehl, C., 1931, *L'Afrique Byzantines de la domination byzantine en Afrique* (533- 709), Paris p. 134.

494 Cornevin, R ., 1976, *Histoire de l'Afrique des origines au XVI*, Paris,p.179.

495 Picard, G. C., 1944, *Castellum dimmidi*, Alger, 1944. p.98.

أما بخصوص التجار الرومان، فلم يبرعوا في التجارة بسبب نظرتهم لها قبل دخولهم في صراع ضد قرطاجة وتفطنهم إلى أهمية الثروات الطبيعية التي بإمكانهم جنيها خارج إيطاليا، ولهذه الأسباب لم تظهر فئة التجار في إيطاليا إلا بعد توسع هذه الأخيرة خارج البلاد، ولم يطوروا تجارتهم إلا بعد إطلاعهم على ثروات بعض الشعوب وشهرتهم وهكذا انتشر التجار الرومان في مناطق عديدة من نوميديا قبل التواجد الروماني في منطقة.

ويتشكل هؤلاء التجار من تجار صغار، من المزارعين وكبار الجنود المسرحين الذين يستغلون أراضيهم ويسوقون منتوجاتهم، وكذا الحرفيين الذين يتاجرون بمصنوعاتهم كتجار الدواجن وغيرهم496.

وكان التجار الصغار يتجمعون عادة في إتحاديات أو جمعيات أو منظمات تجارية، كاتحاديات أو نقابات الحرفيين ومختلف المهن الأخرى والتي كان الهدف منها هو حماية مصالحهم من المنافسة497. وكان العبيد بعد تحررهم يشتغلون لحسابهم الخاص في مختلف القطا عات في نوميديا قبل التواجد الروماني. وكانوا بذلك العمود الفقري للحياة الاقتصادية في المنطقة. وكان هدف الاشتراك في هذه الجمعيات الذي يتم بدفع حقوق الانخراط هو الحصول على بعض الامتيازات منها ضمان التكفل بمصاريف أسرهم بعد وفاتهم. ويدفع المنخرط في الجمعية أيضا فضلا عن الضرائب السنوية أتاوات أخرى التي تصرف عند الحاجة، اثرى إقامة ولائم عند وفاة أحد المنخرطين أو عند الاحتفال بعيد ميلاد الملك أو الموظفين الراقيين498.

وقبل نهاية فترة الممالك النوميدية، أشار المؤرخين تواجد تجار أجانب كالإغريق والإسبان والغاليين وشرقيين وغيرهم. وتشير المعطيات إلى أن مجيء هؤلاء إلى نوميديا كان إما للمتاجرة أو جاءوا ضمن الجيوش الرومانية الغازية للمنطقة، وبعد إنهاء مهامهم العسكرية وكذا تفطنهم إلى أهمية المنطقة، تحولوا

496 *C.I.L*, VIII. 9432. Carton, L., 1916, « Les fabriques de lampes dans l'anciennes afrique », *BSGO*, p. 65-66.

497 César, II. Rougé, J. 1994, *Recherche sur l'organisation du commerce maritime en mediteranee sous l'empire romain*, Paris, p.318-319.

498 Boudry, F. *Economie forestière nord africaine*, Paris, p. 1292.

إلى تجار وانتشروا عبر العديد من المناطق النوميدية. فانتشر مثلا جنود الاسبان في المدن النوميدية كمداوروش وقسنطينة499 ويعود اهتمام هؤلاء بمنطقة شمال افريقيا الى قربهم منها، هذا ما جعلهم يمتهنون حرفة التجارة مع المنطقة منذ العصور الأولى.

تطورت التجارة أيضا بين قرطاجة ونوميديا، حيث تتحدث المصادر عن التجار القرطاجيين في نوميديا وكان غرض تواجدهم في المنطقة هو بيع السلع المنتجة في قرطاجة500.

وكان لنوميديا أيضا علاقات تجارية مع مختلف الشعوب الشرقية، ويشير المؤرخون الى تواجد التجار الشرقيين في نوميديا وكان غرضهم بيع منتوجاتهم المختلفة وتسويقها في المنطقة ونجد أثرا لهؤلاء في كل من سيرتا وميلة وسطيف501. كما استقر اليهود بنوميديا منذ العصور القديمة502، ومارسوا تجارتهم وأغلبية تجارهم جاءوا الى المنطقة كجنود أو كبحارة أو أيضا كأصحاب البنوك ومحولي العملات503.

ويمكن القول إن تفوق عدد التجار الرومان في نوميديا وموريطانيا أكثر من غيرهم يبين مدى اهتمام هؤلاء أكثر من غيرهم بهذا النشاط المربح، ويبين أيضا مدى تعامل الممالك النوميدية مع الرومان في مجال التجارية.

499 Rostovtzeff , M.I, 1988, *Histoire économique et sociale de l'empire romain* , Paris , 134-135.

500 DE la Blanchere, M., Op. cit, p. 52.

501 Thouvernot, R.,1960, *L'Afrique romaine aux trois premiers siècles,* p. .134.

502 Monceau, P., op. cit., p. 165.

503 Sempére, H., op. cit., p. 204.

3. وسائل القياس والضوابط العامة للاقتصاد النوميدي

أ. وسائل التعبئة

من بين وسائل التعبئة التي استعملت في نوميديا القرب وأكياس الجلود التي أشار إليها سالستيوس504. ورغم عدم العثور على اثار يثبت مدى انتشارها لكونها مادة سريعة التلف، هذا لا ينفي استعمالها في المنطقة. والجدير بالذكر ان مادة الجلد كثيرة الاستعمال في الحضارات القديمة ومازالت تستعمل الى يومنا هذا في بعض مناطق شمال إفريقيا الداخلية، دليلا على استمرار استعمال هذه الوسائل منذ العصور القديمة إلى وقتنا الحاضر.

كما عرفت نوميديا أيضا صناعة السلال التي سار استعمالها حتى خلال التواجد الروماني، كما تشهد عليها العديد من التحف الأثرية كفسيفساء رأس تمنفوست505. والتي تطورت عبر العصور، تصنع من طينة طبيعية وتعرف عادة باسم الخزف العادي، اعتمد عليها النومديون في تجارتهم وفي حفظ مختلف المواد الغذائية كالحبوب وبعض الفواكه الجافة كالتين، وقد كانت سعة بعض جرات شمال إفريقيا إلى خمسة عشر لتر، وتضاعفت ثلاث مرات فيما بعد.506 وكانت تستعمل في حفظ المواد الصلبة كالنقود والسائلة كالعسل والخمور والزيوت507. وتم العثور على عدد كبير من الجرات في مناطق عدة من نوميديا.

ب.الموازين والأوزان والمكاييل

الموازين: كانت تستعمل منذ العصور الأولى من الفترة القديمة، ويبدو أنها من أصل فينيقي، فقد عثر على أربع أوزان برونزية في مدينة قسنطينة الحالية (سيرتا قديما) كما عثر على نفس النمط في مدينة

504 Salluste, LXXV, 14.

505 Barrette, F., 1978, *Mosaique romaine et paléochretiennes du musée du Louvre,* Paris, p. 26-28.

506 Scialano, M., et Sibella, P., 1991, *Amphores, comment les identifier*, p. 15

507 Daremberg et Salgio, p.250.

قرطاجة ولكنها مختلفة من ناحية الحجم والمادة المصنوعة منها، وهذا ما يبين اختلاف وحداتها508. ويتساءل المختصون عن سبب تواجد هذه الأوزان في قرطاجة، إما أن نوميديا كانت تصدر هذه المصنوعات إلى قرطاجة كمنتوج تجاري أو كانت تقدمها لقرطاجة كمساعدة لاعتبارها حالفة لها آنذاك. أو كان ذلك بهدف توحيد الأوزان في كل المغرب القديم.

الأوزان: زيادة على الموازين عثر في نوميديا على عدد كبير من الأوزان المختلفة الأحجام في مختلف المناطق كما في مدينة جميلة الأثرية وضواحي قسنطينة وتموقادي ومعظمها محفوظة في المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة بالجزائر العاصمة509.

المكاييل: بعد الإشارة إلى وسائل التعبئة والموازين والأوزان، نتطرق إلى المكاييل المستعملة في نوميديا الخاصة بالسوائل والمواد الجافة والصلبة. وتحدد المكاييل في نوميديا من خلال الطاولات التي عثر علي اثرها في مناطق عدة أهمها منطقة خميسة510.

ت. العملة والأسعار في نوميديا

عرفت نوميديا العملة منذ عهد الملوك، ولكن مع نهاية الحكم الملكي أدخلت عليها بعض التأثيرات الرومانية التي فرضت أسعارها على العديد من السلع. قد لوحظ، من خلال النقود والأسعار، أن النظام النقدي لم يعرف الاستقرار في نوميديا، حيث أن عرفت العملة تذبذبا في قيمتها خلال الفترات عديدة. ويمكن القول أن العملة في شمال إفريقيا لم تظهر إلا في نهاية القرن الخامس وبداية القرن الرابع قبل الميلاد، ولم تصل إلى نوميديا إلا في بداية القرن الثالث قبل الميلاد، ذلك وفقا للمعيار الفينيقي511.

ولقد كانت العملة النوميدية التي تعود إلى عهد الممالك، مصنوعة في أولها من معادن الفضة والبرونز والرصاص، لكن عثر على قطعتين نقديتين من الذهب نسبت إلى أبناء ماسينيسا. ويصعب تحديد الأسباب التي جعلت القطع الذهبية والفضية تكون نادرة بالرغم من الثروات والكنوز الملكية التي كانت

508 Gsell, S. et Joly, 1918, *Announa*, Alger, p. 78-79.

509Ballu, A., 1984, p. 57.

510 Gsell, S*., khemissa*, p. 55.

511 Fichier, B., 1978, « Les monnaies antiques de l'Afrique du nord trouvées en Gaule », XXXVI, *Supplément à Gallia*, Paris, p. .25.

معروفة لدى المؤرخين وبالرغم أيضا من كون نوميديا قد استعملت سبائك الذهب في صفقاتها التجارية مع قرطاجة512.وهناك من يقول أن الامر يعود الى احتكار قرطاجة للمعادن الثمينة وهيمنتها على نوميديا. والبعض الاخر يشير الى كون رغبة الملوك النوميديين في صنع عملتهم من الفضة والنحاس والرصاص، وغيره باعتبار هذه المعادن أوفر وأقل قيمة من الذهب. وكان هدفهم هو الحفاظ على معدن الذهب في شكل سبائك، خاصة أن عدد التجار الأجانب كان كبيرا والتفريط في استعمال مادة الذهب في المعاملات التجارية يسبب خللا في ميزانية المملكة513.

وكان لنوميديا قطع نقدية خاصة بالملوك من قايا الى يوبا الأول. كما كانت لديها مسكوكات خاصة ببعض مدنها التي كانت لها علاقات تجارية داخلية وخارجية514. ويدل ذلك على تمتع تلك المدن بنوع من الاستقلال في المجال الاقتصادي. ومهما كان من أمر، سواء كانت العملة ملكية أو تابعة للمدن ا فإن وجودها في وقت مبكر دليل وجود نشاط تجاري.515 وانتشار العملة في المنطقة وتداولها يثبت أن مجمل النشاطات التجارية كانت من احتكار المحليين، بالرغم من كثرة عدد التجار الأجانب الذين كانوا يتعاملون بالعملات المحلية.516

ث.الضرائب

يبدو موضوع الضرائب في نوميديا غامضا خاصة في فترة الممالك النوميدية بسبب نقص المصادر حوله. ويتحدث شارل أندري جوليان في أمر فرض ماسينسا لضرائب على البدو بالقوة لهدف ضمان موارد لميزانية مملكته وللحفاظ على ولاء هؤلاء لأنهم جزء لا يتجزأ من السكان النوميديين517. وكانت هذه الضرائب إما عقارية أو مكوس جمركية باعتبار نمط معيشة هؤلاء السكان القائم على الترحال518. وكانت هذه القبائل المتنقلة غالبا ما تتهرب من دفع لضرائب مما جعل الملك ماسينسا ستعمل القوة

512 Mazard, J., p. 119.

513*Ibid*, p. 151, 162.

514*Ibid*, p. 151, 162.

515 Muller, L., 1874, *Numismatique de l'ancienne Afrique,* Copenhague, III , p. 1.

516 Berthier, A., 1958, « Colonia Cirta Sittianorum », LXX, *RSAC*, p.116.

517 Tite live, XXXIV, 622.

518 Gaudia, A., op. cit., p. 43-47.

ضدها. وهذا ما يبين أن النظام الضريبي النوميدي كان صارما يشبه نظام قرطاجة في بداية تأسيسها519.والملاحظ كذلك أن الضرائب المفروضة على إنتاج الأرض في نوميديا تدفع عينا في الأرياف نقدا في المدن كما كانت تدفع ضرائب على الماشية، وهذا يدل على الجرد والإحصاء كل عام520.

519 Polybe, I, 67 ; Diodore de Sicile, XIV, 77 ,1.

520 Strabon, XVII, 3 ,19.

المحور الثالث

الحياة الاجتماعية في نوميديا

(من الحرب البونية الثانية إلى بداية الاحتلال الرومانى)

الفصل الأول

جرد المصادر والمراجع حول الموضوع

أول ما يلاحظه أو ما يتعرض إليه الباحث فى مجال المسائل التاريخية والأثرية المتعلقة بالسكان عامة وبكل ما يتعلق بالجانب الإجتماعى خاصة، هو أن المعطيات قليلة ومازالت بصفة عامة فى المرحلة البدائية ومتفاوتة الأهمية.

إلى يومنا هذا، يمكن القول بأن كل ما تم التعرف عليه أو أغلب الأجوبة الجزئية المتحصل عليها والراسخة الأن، صادرة عن دراسات قديمة خاصة من علم الآثار الجنائزي من خلال بعض المعالم والأضرحة والنقوش الليبية التى يبقى فكها وإستغلالها العلمى صعب للغاية. فالمعارف المكتسبة مثلا على هياكل السكن بمختلف أنواعها وأيضا أنماط التعمير البشرى ومختلف العلاقات الإجتماعية، مازالت ضعيفة وتتطلب إعادة النظر حتى فى ما كان إلى وقت قريب يعتبر مفروغا منه.

بطبيعة الحال، يرجع السبب الرئيسى لهذه الوضعية المجحفة أساسا إلى النقص الفادح في البحث الأثرى والتنقيبات، والأكثر مفجعا، حتى تلك التى أجريت فى الماضى، نادرا ما وصلت إلى الطبقات الأثرية التى من الأرجح قد تحتوي على بقايا حضارات ما قبل الرومان التى تهمنا بالدرجة الأولى فى هذا الصدد لكنها مغطاة بمخلفات الحضارات اللاحقة كما هو الحال بعدة مدن على غرار: فوليبليس، كايزاريا، كيرتا، سيكا فناريا ثوقا....(الرومانية، البيزنطينة، الإسلامية....) وهذا ما يوضح (على الأقل جزئيا الصعوبات التى ميزت ومازالت تميز كل دراسة أو تحليل موضوعى للمجتمع النوميدي الذي مازال يفتقر إلى توفر عناصر مادية بالقدر الكافي ومصادرأدبية وثيقة وأكيدة لهذا الموضوع الذي كثيرا ما لا تؤخذ بجدية عدة جوانبه.

على كل، توفر هذه المصادر متفاوت نوعا ما من فترة لأخرى، يمكن القول بأنها كثيرة ومتوفرة بالنسبة لبعض الفترات كالتى تتراوح ما بين القرن الثالث والأول ق.م، بدون شك بسبب الدور الذى لاعبه النوميديون طوعا أو تحت وطأة الأحداث التى ميزت هذه الفترة المحورية فى تاريخ شمال إفريقيا.

فى الحقيقة، هذه الوفرة المظهرية في المصادر لا فائدة فعلية لها إلا فى ما يتعلق بالأحداث البارزة سياسيا وعسكريا وعند التمعن فيها بطريقة مدققة، لا نجد إلا المحاور العامة حول المجتمع تنعدم أو تفتقر إلى معلومات مفصلة حول الجانب الثقافى والإجتماعى كالطبقات المكونة للمجتمع النوميدي، التنظيم الإدارى، النمو الديمغرافى، التأثير والتأثر بالمحيط لمجتمع كان بدون شك معتبرا بحيث جندت منه أعداد معتبرة من الجنود من طرف القوى المتصارعة بالمنطقة فى ذلك الوقت.

1. نظرة نقدية حول المصادر

بدى ذي بدئ، قد تبدو المصادر الإغريقية واللاتينية المتعلقة بنوميديا كثيرة لكنها في الحقيقة، ليست فقط قليلة وغير كافية فحسب بل متفرقة ومتباينة وجد تقريبية أيضا.

فى الواقع، كل الكتاب والمؤرخين والجغرافين.... الذين بصفة مباشرة أو غير مباشرة تناولوا المسائل المرتبطة بالتاريخ النوميدى، لم يقوموا بذلك إلا فى إطار إرتباطه أو حدود إقترابه وإقترانه بالتاريخ الرومانى ومن ثمة، لا يهتم إلا بالجوانب السياسية والعسكرية والإستراتجية مهملا في نفس السياق كل الجوانب الأخرى التى حتما تتعلق بنوميديا (الإقتصاد، المجتمع....). فإستعمالها والإعتماد عليها ليس من السهل إذن، لأنها جزئية موجهة عمدا تقريبا إلى الجانب الرومانى، لكن رغم كل هذا يمكن ذكر بعض المصادر والمراجع التى من قريب أو من بعيد تساهم فى إثراء موضوعنا في فترة تتراوح تقريبا ما بين نهاية الحرب البونيقية الثانية (202 ق.م) إلى بداية فترة الإحتلال الرومانى الفعلى على الأقل منذ 46 ق- م.

•**الإسم نوميديا فى المصادر**: ورد الإسم "نوميديا" فى عدة مصادر إغريقية ولاتينية لكن بكتابات مختلفة وعدم توضيح النطاق الجغرافى : أقدم المؤرخين، هيرودوت (Herodote) لا يذكره ولا يشير إليه، فالتسمية أصبحت مداولة عند الرومان خاصة ابتدأ من القرن الثالث ق- م.

ذكر من طرف هيكاتى (Hecatée) و تيمايوس (Temaius) وإرستوبان (Erastopin) مستعملا مصطلح « Nomades ». ديودور من صقليا (Diodore de Sicile) يفضل كلمة نوميد (Numide) فى سياق سياسى. سترابون (Strabon)، طبقا لنفس المنطق، لم يميز بين المصطلح " نوماد" والطابع السياسى للمصطلح " نوميد" المألوف جدا في وقته. بوليب (Polybe) المعاصر للملك ماسينيسا تجاهل المحتوى العرقى والإجتماعى لهذا المصطلح وأخيرا بالنسبة لسالوست، (Salluste) فإسم نوميديا يستعمله خصيصا لمنطقة ليبكيس ماقنا (Lepcis Magna)

قبل 146 ق.م، لم تكون نوميديا ولا حتى إفريقيا معروفة كما ينبغى، النصوص الأدبية كانت غير دقيقة ولا تساعد كثيرا المصادر المادية لعلم الآثار. هذه الفترة الغميضة، هى في الحقيقة فترة فجر التارخ لإفريقيا كما يدل على ذلك وبجدارة عنوان الباحث كومبس: Camps (G), Aux origines de la Berbèrie, Massinissa ou les débuts de l'histoire. وحتى التركيبة البشرية معقدة إلى حد ما نتيجة إلتقاء عدة عناصر بشرية من مختلف فترات ما قبل التاريخ وفجر التاريخ. حينئذين، بدأت تظهر ملامح تاريخية

جديدة وبدأت المناطق الليبية تدخل تدريجيا إلى العالم الكلاسيكى إبتدأ من 146 ق – م ومن هذه المحطة التاريخية المهمة (سقوط قرطاج)، وعلى إثرها أخذت الوثائق تزداد شيأ فشيأ.

2.أهم المصادر الإغريقية اللاتينة حول نوميديا وشمال إفريقيا

ليس من السهل التميز ما بين المصادر أو بعبارة اخرى توضيح المصادر الخاصة بالفترة التاريخية التى نحن في صدد دراستها لأن الأغلبية الساحقة تخص الفترة الرومانية ولا تشير إلا بصفة وجيزة ومقتضبة لبعض الأحداث او بعض القضايا.

يمكن وضع حد زمني إبتدأ من القرن الخامس ق.م وذكر بعض المصادر طبقا لما ورد فى كتاب س. قزال:

Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, V, les royaumes indigènes, organisation sociale, politique et économique, Paris 1927.

وأيضا ق.كومبس، ترجمة الدكتور العربى عقون:

«Aux origines de la Berbèrie, Massinissa ou les débuts de l'histoire », *Libyca,* VIII, 1960.

•هيرودوت (Herodote 484-420): في حدود منتصف القرن الخامس ق- م، قام بسرد أسماء بعض الشعوب التى تقطن بمناطق السيرت بليبيا الحالية (Les Syrtes) ولمحة عن العادات والتقاليد لكن لا يشير إلى أغلب المناطق الأخرى لشمال إفريقيا التى كانت مسكونة

•فى منتصف القرن الرابع ق.م، رحلة سيلاكس (Scylax) تتحدث وتصف بسرعة سواحل البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسى ولا يذكر شيء عن السكان الأهالى وكذلك الأمر بالنسبة لرحلة أخرى سميت برحلة هانون (Périple d'Hannon 630- 530 ?).

•ديودور الصقيلى (Diodore de Sicile 90-30) بدوره يتحدث عن حملة أقاطوكل

فى نهاية القرن الرابع ق.م، من خلالها نتعرف عن أقوام تعيش في مناطق تتناسب مع تونس والجزائر الحاليتين لكن لا يقدم تفاصيل ومعلومات كافية عن تلك الشعوب.

•العالم الإغريقي المتعدد الاختصاصات إراطوستان (Erathostène توفي سنة 194 ق.م) كتب في الثلث الأخير للقرن الثالث عمل جغرافى ضخم إستنادا إلى عدة مصادر سابقة لا نعرفها كلها ومع ذلك الجزء الأكبر من عمله لا يهم إفريقيا.

•بفضل الحروب البونيقية الثلاثة، تم ربط علاقات مباشرة ما بين الرومان والملوك وشعوب النوميدية الذي تارة يوجد في وضعية العدو وتارة أخري فى وضعية الحليف. فى هذا الصدد، تأسف وعتاب الجغرافى اليونانى سترابون (64 ق.م. الى 25م) على المحتلين عدم إهتمامهم بعدة أمور علمية ونقص الروح النقدية لديهم.[521]

•فى منتصف القرن الثانى ق- م، رافق العسكرى والمؤرخ بوليبيب (200 ق.م. الى 118 ق.م.) القائد الرومانى سيبيون (Scipion Emilien) لعدة أشهر خلال الحرب البونيقية الثالثة وتمكن من ملاحظة، طرح أسئلة للأهالى وتحدث مع الملك ماسينيسا وقولوسا. فى إطار هذه المهمة العسكرية، قام أيضا برحلة رفقة إغريقى أخر بنايتيوس (Panaetius) حول السواحل ووصل إلى ما بعد مضيق جبل طارق. إستعان هو الأخر بمصادر يونانية قديمة لكن أكبر جزء من كتابه التاريخ ضاع وفقد كل ما يتعلق بإفريقيا ورغم هذا يبقى أفضل مصدر خاصة بعد إثرائه بمعلومات جديدة من طرف تيت ليف وأبيان.

على ضوء ما تم سرده، يتعين أن الحروب البونيقيية (رغم شراستها)، فرصة سامحة للتعرف على الأهالى خاصة خلال القرن الثالث والثانى إلا أن هذا الإهتمام لم يكون إلا بسبب مشاركتهم فى الصراع الكبير بين قرطاج وروما.

•خصص تيت ليف (59 ق.م. الى 17 م) جزءا من كتابه " تاريخ الرومان" للحرب البونيقية الثانية لكنه لم يذكر مصادره الحقيقية ورغم ذلك وطبقا للباحث قزال، يمكن الإستعانة به لتغطية الثغرات الموجودة عند بوليب الذي ترجمه بعدة تعديلات.[522]

•مصدر أخر يتمثل فى أرتميدور من إفاز (Artemidore d'Ephèse) ألف نهاية القرن الثانى كتاب حول جغرافية سواحل البحر الأبيض المتوسط لكن طبقا للباحث لقزال، لا يهتم هذا العمل بالأهالى بقدر ما يهتم بالبحرية المشتركة (Circum navigation)).

•بوسيدونيوس من منطقة أباميا (135 الى 51 ق.م.) بعد زيارة منطقة قادس (Gades) والإبحار على سواحل إفريقيا التي يبدوا كأنه لم يزورها. قام بتأليف كتابين أحدهم على شكل أطروحة على المحيطات تحتل فيها الجغرافيا والتاريخ الطبيعى والإتنوغرافية مكانة معتبرة والقليل من المعلومات التى إستقاها بدون شك بعد إستجواب بعض أصدقائه من الطبقة الأرستقراطية الذين شاركوا في الحملات أو أشخاص من مدينة قادس، وظفها فى وقت لاحق كل من سالوست وسترابون.

---

[521] Gsell, S., 1927, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, T V, les royaumes indigènes, organisation sociale, politique et économique*, Paris, p. 13- 15.

[522] Gsell, S., *HAAN*,I, p. 201.

•حملة القيصر التى وقعت أحداثها بالمقاطعة الرومانية بإفريقيا والمدونة في كتاب بعنوان "حرب إفريقيا "، لم تأتى بمعلومات جديدة حول الأهالى.

•قد يبدو سالوست من خلال كتابه "حرب يوغورطا" التى مسرحها، هذه المرة نوميديا، أحسن المصادر. كان الرجل العسكري والسياسى والمؤرخ سالوست (85الى 35 ق.م.) أول حاكم لمقاطعة رومانية جديدة تضم جزأ كبيرا من نوميديا (*Africa Nova*) وذلك سنة 46-45، فالرجل يعرف إذن المنطقة وأهلها لكن فى الحقيقة، يتبين أنه نقل الكثير عن بوسيدنيوس لاسيما فى وصف الأماكن وسرد الأحداث، فوقع فى نفس الأخطاء وهذا مؤسف جدا لرجل كان فى منصب أول بروقنصل فى إفريقيا. [523]

بطبيعة الحال، هناك من إهتم بالآداب ضمن الأمراء ما بعد ماسينيسا، فالمؤرخ سالوست، ترك لنا ترجمة ربما مختصرة لرواية كتبها هيمبسال، ملك نوميديا من 88 الى 60 ق.م.، باللغة البونية تتعلق خاصة بالأصول المزعومة لسكان شمال إفريقيا، لكن لا يمكن تمديد الإئتمان لهذه الأسطورة بحيث يصعب إيجاد أدنى الحقائق التاريخية فيها.

• كان الملك يوبا الثانى (52 ق.م. الى 25م) صاحب كتاب ضخم حول ليبيا لكن من جراء ثقافته الواسعة وميوله للعالم اليونانى وثقافته، قد أدت به إلى تجاوز الموضوع.

•ألف قبله عدد معين من الإغريقين كتب حول موضوع "ليبكا"ولا نعرف الكثير عن هذا العنوان الذي قد يليق لتطورات متنوعة حول الموضوع الذى تناوله أشخاص لا يعرفون إفريقيا فبقيت أعمالهم مجرد جمع معلومات بمعطيات غير مؤكدة.

•دائما فى زمن يوبا الثانى، ألف كتاب أخر من طرف نيكولا الدمشقى (Nicolas de Damas) بعنوان " سلسلة الأخلاق غير العادية" (*Recueil des mœurs extraordinaires*) وخصص فيها مكانة للوبيون لكن لا جديد يذكر من خلال المقتطفتين المتبقيتين (إحدهنا من هيرودوت).

•أحد معاصرى يوبا الثانى الأ وهو سترابون أكمل أطروحته الكبيرة حول الجغرافيا بوصف رديئ لشمال إفريقيا ويتضح أنه لا يهتم فعلا إلا بقرطاج وبما أنه لم يزور شخصيا بلاد البربر، فتحدث عنه بأقوال الأخرين. تطرق إلى وفاة يوبا الثانى الذي خلفة إبنه بطوليمى ولا يتطرق إلى الحروب التى شبت بين بعض المستوطنات الرومانية المنشأة من طرف اوغسطوس ولا الغارة التى قام بها البروقنصل ك. بالبوس .C)

[523] Ibid p. 14 - 16.

(Balbus في قلب الصحراء إلى غاية معثل قبيلة القرامونت. يتبين أن بإستثناء ذكر الملك يوبا الثاني وإبنه وكذلك الإطار الإدراى للمقاطعة الرومانية بعد 27 ق.م، يجهل تماما ما حدث بإفريقيا بعد ي. قيصر.

•ألف بومبنيوس ميلا (Pomponius Mela) كتابه حول الجغرافيا سنة 44 م، لكن على غرار سترابون، لجأ إلى إستعمال مصادر قديمة وبذلك يفتقر عمله إلى الأصالة ولا مجال فيه لدراسات موسعة.

•زيادة إلى كل هؤلاء الكتاب، يمكن إضافة إشارات مختصرة أخرى، لكن ليست مؤكدة.[524] وفي هذا الصدد يمكن ذكر كل من أبيان (Appien) وفرونتان (Frontin)....

3.المصادر المادية (الأثرية): زيادة إلى المصادر الأدبية، يمكن أيضا الإستنجاد أو اللجؤ إلى معطيات أخرى ألا وهي مختلف المخلفات المادية والتي تتمثل عموما في النقوش، العملات والأنصاب والأضرحة والمدافن المختلفة وكذلك الأثاث بمختلف انواعه.

•**النقوش والانصاب**: رغم عددها الهائل وتنوع لغات كتابتها (ليبية، بونية، لاتينية إغريقية...) ومواضيعا (جنائزية، نذرية، أنصاب ميلية، تشريفية عسكرية، عقود بيع....)، لن تزيد الأ القليل للمصادر الادبية بإستثناء ربما تلك النقوش المزدوجة اللغة (بونية – ليبية) الموجوة على بعض الأضرحة وبعض الأنصاب النذرية البونية التي يمكن تأريخها بالفترة النوميدية. النقوش الليبية، هي الأخرى، لم تقدم في أحسن الأحوال إلا بعض الأسماء وتفتقر إلى دراسات معمقة[525] في حين يمكن إستغلال بعض النقوش اللاتينية في إطارها التاريخي أي الفترة الرومانية لايجاد على الأقل بعض الأسماء التي تذكرنا بالماضي النوميدي.[526] تعتبر إذن النقوش المدونة في عدة مجمعات (*Corpus Inscriptionum Latinarum* VIII et *Suppléments Inscriptions Latines d'Algérie* de S. Gsell, puis HG., Pflaum, pour 2 volumes et le 3eme de X. Dupuis, *Inscriptions Antiques du Maroc, Inscriptions Latines de la Tunisie, Inscriptions Latines D'Afrique, l'Année épigraphique* depuis 1888.....

[524] Gsell, S., *HAAN*, V, p. 17- 24.

[525] *Ibid*, p. 24.

[526] Ibid, p. 24-25.

النقوش الليبية المدونة من طرف الباحث شابو (Recueil des Inscriptions Libyques) وايضا فى عدة دوريات ودراسات متخصصة.

•الأنصاب بمختلف أنواعها وأشكالها (المكتوبة أم لا وتلك التى تحمل رسومات أو صور *Les stèles épigraphes ou anépigraphes et iconographiques*) هي الأخرى قد تفيدنا فى معرفة عدة مجالات كاللغة (المجال الليبي –البونيقى) والعتاد المستعمل للقتال والصيد بجوانبها الأحتياجية المحضة ورمزيتها الدينية. إنتشرت هذه الأنصاب في عدة أرجاء من شمال إفريقيا وقد تكون هي الأخرى متأثرة بالحضارات التى تعاقبت على المنطقة أو التى عرفها حوض البحر الأبيض المتوسط.

•**العملات**: العملات أو علم المسكوكات، قد يحمل أدلة من خلال المجموعات المختلفة التى عثر عليها والتى ضربت إبان حكم بعض الملوك النوميدين وبعض المدن.

رغم وجود عدة شكوك حول بعض العملات، فإنها قد تساهم فى معرفة بعض الأمراء والمولوك النوميدين خاصة الدور العسكري لكل واحد وانواع الأسلحة والحيوانات المستعملة.[527]

•**الأضرحة**: من كل الأضرحة التى شيدها الأهالى قبل الإحتلال الرومانى، لم يبقى إلا القليل وتتمثل أساسا فى القبور الضخمة المخصصة لبعض الملوك وعائلتهم. أغلبها يحمل تأثيرات عمرانية وفنية إغريقية أو بونيقية وتؤرخ بالفترة النوميدية.

•**الأثاث (الجنائزي)**: بطبيعة الحال، قد يكون الأثاث متعدد ومتنوع (أدوات الحياة اليومية من الفخار أو المعادن، أسلحة....) وهذا النوع من المصادر المادية، تخبرنا على طرق الدفن، نمط المعيشة، اللباس والأسلحة المستعملة إلخ...[528]

بطبيعة الحال، يبقى المشكل الأساسي لهذا البحث هو صعوبة الفصل ما بين كل هذه المصادر الأدبية والمادية وايجاد مصادر مخصصة حصريا للفترة الممتدة بين نهاية الحرب البونيقية الثانية وبداية الإحتلال الرومانى، لأن كل شيء مرتبط ببعضه البعض فى عالم النوميدين الذين إنفتحوا على العالم المجاور وشاركوه في تاريخه وذلك دون الذوبان فيه.

---

[527] Gsell , S., *HAAN*, V, p.24- 25, Ait Amara, O., 2007, *Recherches sur les Numides et les Maures face à la guerre, depuis les guerres puniques jusqu'à l'époque de Juba 1er* ,thèse de doctorat, Université Jean Moulin Lyon 3, p. 16 – 20.

[528] *Ibid*, p. 21- 23.

4. أهم المراجع حول الموضوع

عكس ما لاحظنه في المصادر، فمن الطبيعى أن تكون المراجع أكثر بكثير لأن الدراسات عرفت قفزة نوعية كما وكيفا فى كل ما يتعلق بالدراسات المتعلقة بالميدان النوميدى أو الأمازيغى كما يقال حديثا بفضل تفتح المجال السياسي والثقافى والعلمى فى هذا المجال بعد الإعتراف به كثابت من ثوابت الأمة وإنشاء مراكز بحث متعددة المجالات فى عدة مناطق من البلدان المعنية. ونجد قائمة طويلة حول اهم المراجع المحلية والأجنبية في قائمة البيبتيوغرافية في نهاية الدراسة.

الفصل الثاني

النطاق الجغرافي والبشري للمجتمع النوميدي

قبل الإتحاد لوقت محدد في عهد ماسينيسا (202 – 148 ق .م)، كانت نوميديا بقطرها الشاسع تتكون من مجموعة متعددة من القبائل والمداشير المتفاوتة المساحة والأهمية والكل في إطار مملكتين تمتد ربوعها من أقصى الحدود الغربية إلى تقريبا ليبيا الحالية والتى بدورها تشكل ممالك مستقلة عن بعضها البعض.

يبقى من الواضح أن هذا النطاق صعب التحديد نظرا خاصة لاتساع الرقعة وحركية الحدود من زمن لأخر.

1.لمحة حول اسماء الممالك المكونة لنوميديا (المسايسيل، الماسيل المور...): منذ على الأقل نهاية القرن الثالث ق. م، وجدت في المنطقة تكتلات قبلية كبرى ذكرها بعض المؤرخون على غرار بلين القديم وتمثلت أساسا في ممالك متناثرة، البعض منها لا نعرف الكثير عنها كما هو الحال للتكتل الغربي المتمل في الموريين والقبائل المتمركزة في منطقة التخم العليا والجنوب الكبير والمساه بالجيتول [529]

بطبيعة الحال، هناك قبائل أخرى منحصرة في إقليم جد شاسع من الحدود القرطاجية إلى المحيط ألأطلسي ذكرها والبعض منها وصل إلى تشكيل ممالك مؤكدة تاريخيا ما بين جبال تبرسق وادي المولوية وتتمثل أساسا من الشرق إلى الغرب في:

قبائل الماسيل (Massyles): هي مجموعة من التجمعات السكانية النوميدية توجد من الحدود الغربية للإقليم القرطاجي إلى حدود تمركز القبائل المعروفة باسم المصايصيل ووردت عند هيرودوت بالأسماء التالية : النتابوند، الكابسيتاني، الموزلامس، السوبربار، الماصيل، النسيف، الفكاموريس، الإبثينيان ، الموسينيان، الماركوبيان.... [530]

---

[529] عيساوي، ر.، 2009-2010، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم (من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ المغرب القديم، جامعة منتوري قسنطينة، ص: 234.

-Pline l'Ancien، *Histoire Naturelle*، Trad. J. Desanges, Paris 1980, V 22.

سي الهادي، ذ.، 2012-2013، *الممالك النوميدية بين قرطاج وروما من نهاية القرن الثالث ق – م إلى القرن الأول ق – م (دراسة سياسية وعسكرية)*، ماجستير في التاريخ القديم، جامعة الجزائر 2.

[530] الناضوري، ر.، 1981، *تاريخ المغرب القديم*، ج 1، العصور القديمة، بيروت، ص. 222، سي الهادي، ذ.، نفسه، ص ص: 16 -17.

شهدت هذه القبيلة تعميرا بشريا معتبرا والدليل على ذلك تلك القبور والمعالم الجنائزية لفترة فجر التاريخ المنتشرة على أراضيها [531]

من المؤكد ان التسمية محلية مع اختلاف صيغها من مصدر لأخر (الماسول عند الإغريق والماسيل عند اللاتينيين والنقوش الليبية) [532]

قد تكون جذورها غابرة في أعماق التاريخ، على الأقل ثلاثة أجيال قبل الأقليد ماسينيسا الذي تلقى من الرومان حق مطالبة أراضي أسلافه [533] وجعل من قسنطينة عاصمة له.

والجدير بالذكر أن كل ما نعرفه عن أصول هذا الكيان السياسي كان في إطار النصوص المتعلقة بالحروب البونيقية الثلاثة ما بين قرطاج وروما (264– 146) ولا تتجاوز القرن الثالث قبل الميلاد[534] من جهة تجدر الإشارة إلى أن المنطقة والتسمية موجودة قبل هاته الحروب بحيث ذكر ديودور الصقلي اسم الملك الليبي أيلماس (Ailymas) واعتبروه بعض المؤرخين كأقدم ملك ماسيلى هذا زيادة إلى تواجد فى نفس المنطقة لضريح إمدغاسن الذي نسب إلى هذه العائلة ما بين أواخر القرن الرابع وأوائل الثالث ق– م . [535]

ومن جهة أخري أشار بوليبيوس (Polybe) إلى زعيم محلى (نوميدي) يدعى نرافاس (Naravas) عاصمته دوقا (Dougga) والذي تحالف مع القرطاجين بعدما حاربهم في إطار حرب المرتزقة وقد ينتمي حسبه إلى العائلة الماسيلة [536]

قبيلة المسايسيل *Massaessyles* *مجموعة أخرى من القبائل النومدية دونها التاريخ تمتد*

---

[531]Camps, G., « Origine du royaume Massyle », *Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb*, T 3, p. 43 – 53

[532] Désanges, J., dans Pline l'Ancien, *H.N*, Paris, 1980, p. 335.

سي الهادي، ذ.، المرجع نفسه، ص. 18.

[533] Camps, G., 1960؛ « Aux origines de la Berberie, Massinissa ou les débuts de l'histoire », *Libyca*, VIII, p. 160.

[534] Decret, F, Fantar, MH., 1982, *L'Afrique du Nord dans l'Antiquité*, Paris p : 99.

[535] Ibid, p. 99- 100.

[536] Ibid.

حارش، م ا. الجذور التاريخية لمملكة نوميديا، *مجلة الإتحاد العام للأثريين العرب* 10، ص. 274.

من الحدود الغربية للمملكة أو القبيلة السابقة الذكر إلى أقصى حد وادي مولوكا [537] (Mulucha) كما هو الحال بالنسبة للملكة السابقة، ليس من السهل تثبيت الحدود الأولى لمملكة سيفاكس (Syphax) وعاصمته سيغا (Siga) نظرا لعدم استقرارها بحيث كانت تتقدم وتتقلص طبقا لتغيرات الساحة السياسية خاصة في الجهة الشرقية [538].

أما عن الحدود الجنوبية التى يصعب هي الأخرى تحديديها تمتد على ما يبدو إلى أراض قبيلة الجيتول [539] وقد تكون منطقة مادور التى تصبح فى ما بعد مستعمرة رومانية ضمن أراضيها [540]

ظهر سيفاكس خلال الحرب البونيقية الثالثة وبالتحديد سنة 213 ق – م كسيد له أتباع في منطقة مضيق جبل طريق وذلك في بعض النقوش المجودة في منطقة الريف المغربي [541]

يبدوا أيضا أن في القرن الثالث ق.م تشكل تكتل جديد يضم المملكتين تحت اسم نوميديا ودخلت في هذا التكتل عدة قبائل صغيرة [542].

قبيلة الموريين :عكس المملكتين السابقتين، لم تحدد المصادر الكتابية عدد وتسميات القبائل الموجودة فيها واعتاد بعض المؤرخون على ذكر بعض الأسماء كالبقواط (Baquates) والبفار (Bavares) وقد يدل عدم ذكرها على حسن الجوار والعلاقات الطيبة التى سادت بين النوميديين والموريين [543] أو ربما عدم إعطائها الأهمية اللازمة نظرا لتمركزها في مناطق بعيدة عن نفوذ القوى الفاعلة انذاك.

قبيلة الجيتول (أو بالأحرى قبائل): هي مجموعة من قبائل الرحل تتمركو خاصة في

---

[537] سي الهادي، ذ. ، المرجع السابق ص. 14 و Strabon, *Géographie*, XVII, 3-9

[538] فنطر، م ح. ، 1970، يوغرطة من ملوك شمال إفريقيا وإبطالها تونس، ص: 33.

[539] Decret F, Fantar, MH, Ibid p .82

[540] Desanges, J., *L'Afrique romaine et libyco - berbère » dans c. Nicolet, Rome et la conquête* du monde méditerranéen, t.2, Paris, p. 647.

[541] سي الهادي، ذ.، المرجع السابق، ص . 14

[542] غانم، م ص .، 2006، *المملكة النوميدية والحضارة البونية*، الجزائر ص. 53

[543] عيساوي، م.، المرجع السابق، ص. 235 – 236.

تخوم الصحراء الكبرى أي بقرب القرى المسايسلية والماسيلية وكانت بذلك تحتك بالنمط المعيشى للنوميد والمور[544]. امتد نفوذهم وتواجدهم إلى غاية النيجر الحالى (وادي نيقري) الذي يعتبر الحد الفاصل بين إفريقيا وإثيوبيا [545]

2.لمحة حول تسمية نوميديا وأصلها: ظهرت تسمية نوميديا في النصوص الإغريقية خلال القرن الخامس ق – م عند المؤرخ هيرودوت الذي ميز بين صنفين من الليبيين: الرحل (Nomades) والمستقرين المزارعين [546].

بعد قرون عن هذا المصدر الأساسي، ذكرها بلين وربط التسمية بنمط المعيشة (أي تغيير المكان للرعي)[547] وخص ستربون قبيلة المصايصيل بتسمية النوميد نظرا لأسلوب العيش المتمثل في السطو والغزو والسلب تاركين الأراضي الخصبة للحيوانات المفترسة [548]وهذا رغم علمه بأن الماصيل والمصايصيل يمارسون النشاط الزراعي في أراض خصبة وعالية الجودة [549]

بعدما كان هذا الإسم يخص نمط معيشة في المصادر المذكورة، أصبح عند البعض الأخر (بوليبيوس فى كتابه، تاريخ الحروب البونيقية) وقبله ببعض القرون عند ديودور الصقلي، ذكروا النوماديس (Nomadis) في الحروب التى جرت خلال القرن الخامس والرابع وكاتب أخر من القرن الثالث، عرف أيضا النوماديس بإفريقيا [550]

استعملت أيضا عند الرومان صيغة نوميداي (Numidiae, Numidae) عند جستينيان وسالوست وتيتوس ليفيوس وحتى القائد الروماني ميتلوس (Metellus) بعد انتصاره على يوعرطة لقب بنوميدوكوس ويحتمل أنهم استعملوا هذه التسمية منذ القرن الثالث أي عند دخولهم الحرب ضد قرطاج التى جعلتهم يتصلون بالسكان المحليين [551]

---

[544] المرجع نفسه، ص.236 .

[545] نفسه .

[546] Hérodote, *Histoires*, trad .P. Larcher, Paris 1980, IV, 185 – 187,

[547] سي الهادي، ذ.، المرجع السابقً ، 8 .

[548]Strabon, XVII, 3, 15

[549] Camps G, *Aux origines*… op cit p .153.

[550] سي الهادي،ذ.، المرجع السابق، ص.9. (عن قزال، *التاريخ القديم لشمال إفريقي*، ج. 5 ، ص.96.

[551] نفسه، ص. 9، 10

تعددت الآراء حول أصل هذه التسمية، فهناك من ذهب (س. قزال) إلى القول بأن " نوماديس" مصطلح " إغريقي الأصل واللفظ " نوميداي " نسخ لاتيني للفظ الأول [552]، بالموازاة، هناك من فضل إرجاعه إلى أصل محلي واستمر هذا اللفظ إلى غاية العهد الروماني (سميت مدينة شمتو التونسية مثلا : Colonia Iulia Augusta Numidica) [553] ومستعمل أيضا ككنية عند بعض الأشخاص التي وردت أسمائهم على النقوش اللاتينية ومازال إلى اليوم مستعمل بموريتانيا[554]

على كل، ذكر الباحث J.Desanges مختلف المصادر التي تناولت نوميديا بصفة دقيقة فالرجوع إليه يبدو ضروري وأكيد [555].

[552] نفسه، ص . 10

[553] LASSERE JM, 1980, *« Remarques sur le peuplement de la colonia Iulia Augusta Numidica*
Simithus », *Ant.af*, 16, p. 35.

[554] Camps, G., 1979, «Les Numides et la Civilisation Punique » *Ant Afr.,* t.14, p.44.

[555] Desanges J., 1962, *Catalogues des tribus africaines de l'antiquité classique à l'Ouest du Nil*, Dakar, p. 126, 127.

الفصل الثالث

المجتمع النوميدي

لقد سبق القول سابقا بأن المعطيات قليلة ومتضاربة إلى حد بعيد في كل ما يخص بمجال الدراسات المتعلقة بالجانب الاجتماعي لسكان شمال إفريقيا وخصوصا خلال الفترة النوميدية بمختلف فتراتها. بعدما قمنا بتقديم أهم المصادر والمراجع وتحديد بطريقة أو بأخرى المجال الجغرافي لهذه البقعة، سنسعى في هذه المرحلة من بحثنا لتقديم أهم المعطيات حول المجتمع النوميدي على ضوء بعض الدراسات.

1.الطبقات الاجتماعية: يتضح من خلال الدراسات أن النظام السياسي عبر مختلف القبائل كان ملكيا وان القبيلة والأسرة كانتا تشكلان الخلايا الرئيسية للمجتمع النوميدي عن طريق روابط الدم والزواج بين رجل وامرأة أو عدة نساء هو الأكثر شيوعا كما تدل على ذلك عدة مصادر [556]

أ. الطبقة الحاكمة: يتكون جهاز السلطة في القبيلة من العناصر الآتية:

•**رئيس القبيلة:** عرف باسم الملك في المصادر القديمة وكان مسؤول وصاحب القرار والمنصب كان يورث لأبنائه من الذكور ويختار عادة من الرجال الأكفاء الكبار في السن الأكثر التزاما وكان يجمع بين السلطتين : الزمنية والدينية [557]

ساد النظام الملكي الوراثي في حكم المملكة النوميدية بطريقتين تتمثل في: أولا نظام الأغنى (Agnation) أو القرابة من ناحية الأب والجد المشترك من حيث السلالة وهذا وفقا لمبدأ الأكبر في السن وثانيا وراثية أيضا لكن من الأب للابن أي أن منصب الحكم يتم عن طريق توريث الأصول للفروع فقط [558]

بعد وفاة ماسينيسا، طبقت خاصة الطريقة الثانية بحيث ورث أبنائه الثلاثة : مكيبسا، قولوسا ومستنبعل (Micipsa, Gulussa, Mastanabal) ثم انفرد الأول من 148 إلى 118 ق- م. ويتجلي هذا النوع من الحكم في مصطلح مازال قائم إلى يومنا هذا خاصة في ميدان تربية النحل ألا وهو مصطلح الأقليد (Aguelid) بمعنى الملك.

ورد هذا المصطلح في نقش دوقا (Dougga)الشهير والمزدوج اللغات على الشكل GLD

---

[556] Gsell S, 1927, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, V, les royaumes indigènes. Organisation sociales, politique et économique,* Paris, p.45- 46.

[557] عيساوي (م)، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم (من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ المغرب القديم جامعة منتوري قسنطينة 2009-2010 ص. 173

[558] نفسه ص . 236.

هذه الصفة لا يقصد بها فقط صفة الملك، بل ربما حاكم مدينة من مدن نوميديا [559].

من المعروف أن نوميديا تأثرت بالحضارة الفينيقية تقريبا في كل المجالات وتمخض عن هذا التأثير ظهور حضارة مشتركة بين العنصر الليبي المحلي بالعنصر الفينيقي الشرقي وسميت بالبونية.

من المظاهر السياسية لهذه الحضارة، تطبيق نظام الشوفات (Suffète) أو السبط الذي استمر إلى غاية بداية الفترة الرومانية.

•**نظام الشوفات** (Suffétat): يتمل هذا النظام المستمد من التشريع الفينيقي في أعلى وظيفة تنفيذية يتقلدها حاكم. تشمل هذه الوظيفة مهام إدارية وسياسية ثم عسكرية طبقت بقرطاج ثم عممت على كل المدن البونية الأخرى [560]. هو منصب قضائي لشخصين وسلطتهم بمثابة سلطة القناصل الرومانية يكونون فريق من عضوين متكاملين استمر نفوذهم حتى في العهد الروماني في بعض المدن والمستوطنات الأجنبية (cités pérégrines) التي كانت تسير بالأنظمة اللّيبية أو البونية [561]

قد تكون أنظمة أخرى في المجتمع النوميدي، لكن في الحقيقة لم تفيدنا المصادر المادية أو الكتابية عن تفاصيل الحكم وآليات انتقاله الداخلي من مملكة لأخرى

ب.الطبقة العاملة (الحرة والذليلة): كما هو الحال في عدة مجتمعات، فمن المعروف أن المجتمع النوميدي يرتكز أساسا على الجانب الريفي والحرفي بمختلف أنشطته وكانت هذه المجالات الحيوية مشغولة خاصة من طرف عامة الناس أو الطبقة العاملة التى تتكون عادة من الأحرار او العبيد.

---

[559] Fantar M H., Decret F., 981, *L'Afrique du nord dans l'antiquité (des origines au V eme siècle*, Paris 1, p. 108.

[560] Fantar MH, 1998, C*arthage*,I, Tunis, p .242, Poinssot L, 1942 , « Les cités suffetales sont consignées dans une liste », *Revue tunisienne* et mise à jour par son fils Poinssot, C, *Revue Karthago* X, 1959, Voir également BCTHS (nouvelle série) Afrique du nord N° 24, 1993-95 p. 249.

[561] Laporte, JP., 2004, « Kabylie antique », *Encyclopédie berbère* XXVI, Aix en Provence p. 4005.

لقد قدمت بعض المصادر عينات عن الإنتاج الزراعي الذي يبدوا جد وافرا خاصة في عهد الأسرة الماسيلية وتميزت أيضا المنطقة بطابعها الرعوي وكثرة القطعان كما شهد على ذلك في هذا الصدد المؤرخ بوليبيوس (Polybe) [562]

تنشط أيضا هذه الطبقة في مجال تربية الخيول وهذا بدون شك ليس فقط للاحتياجات الفلاحية المعتادة كالحرث والنقل فحسب، بل للإغراض العسكرية ولكل هذه الأسباب الحيوية، أولى النوميديون عناية خاصة لتربية الخيول الممثلة خاصة بسلالة الخيل النوميدي

بطبيعة الحال، مارست هذه الطبقة في المدن وفي القرى مهن أخرى تتمثل في بعض الصناعات والحرف اليدوية كالفخار الذي على ما يبدو لم يختلف عن الفخار الفينيقي إلا من حيث الطلاء والتلوين والأشكال الزخرفية بحيث اكتفى الخزاف النوميدي باستعمال التزين الهندسي المميز للفخار النويدي عن باقي فخار العالم القديم[563]

إذا كان من المسلم به أنه ليس من السهل التعرف على التاريخ الرسمي (الأنظمة، الملوك، القادة العسكريين) فما بالك بكل ما يتعلق بالطبقات السفلى أي عامة الناس والعبيد.

قد تكون حالة أو وضعية هذه الطبقات متشابه بذلك الذي كانت عليه خلال الفترة الرومانية أو غير بعيدة من حيث النمط والأساليب من تلك التى كانت سائدة قبل ذلك لان كما هو معروف لم يعرف المجتمع النوميدي إلا تطورت ضئيلة في هذا المجال وتميز على مدى قرون بنوع من التثبيت والركود في تقاليده وحتى في أساليبه التقنية.

إذا اعتبرنا أن التغير لم يمس بكثير التركيبة البشرية للمجتمع النوميدي على الأقل مقارنة بالفترة الأولى للإمبراطورية الرومانية، نجد أن هناك طبقة عامة الناس التى ينتمي إليها أغلب سكان شمال إفريقيا قديما (وحتى حاليا) وبالأخص في الأرياف والصحارى الكبرى.

فالطبقة العامة تتكون في أغلب الحالات من الأهالي الأفارقة وهي غير معروفة في المصادر القديمة بسبب فقرهم وهشاشة أثارهم المادية (المساكن والنقوش الجنائزية الليبية) وحدودية خصوصياتها التاريخية التى لم تصمد أمام تقلبات التاريخ. أطلق على منازلهم مصطلح مباليا (Mappalia) وهي أكواخ تبنى عادة بجوار المدن ولم يتمكن الباحثون من استنباط حقائق تاريخية من خلالها وبطبيعة الحال نظرا لبعدهم عن معاقل الحضارة، لم تمسهم لا الحضارة القرطاجية ولا اللاتينية فيما بعد.

---

[562] Polybe T XII, 3.

[563] عيساوي م. *المجتمع اللوبي*، ص. 298-299.

كان صغار التجار يصنفون ضمن أفراد الطبقة العامة أما البروليتاريا العاملة في الحقول والضياع، فكانت مدقعة للفقر ولم تجد سوى خدمة الأرض لأن الاحتلال جعلهم أجراء في ممتلكتهم وغالبا ما تجد بعض أشغالهم على الفسيفساء الرومانية[564]. (بمتحف شرشال مثلا) ولم يتصلوا على المواطنة الرومانية إلا في حدود بداية القرن الثالث الميلادي مع الإمبراطور كركلا.

زيادة إلى عامة الناس، هناك طبقة العبيد وما سمي بالطبقة الهامشية، فعلى العموم لا نعرف الكثير عنها خلال فترات ما قبل الرومان لكن يبدو من البديهي أنه بم يكن لهم شيء يذكر فهم فاقدون للحرية ولم يمكن استعادتها إلا من خلال الإعتاق أو إرجاع الديون في حالة وجودها.

إنه من الصعب تحديد ظاهرة العبودية في المجتمع النوميدي بمختلف مراحله، فطبقا للباحث قزال، كانت نسبة السكان الأحرار كافية لتلبية حاجيات عدة مهام عرش الملوك وربما كانوا يلجئون إلى اليد العاملة النسائية في بعض الأشغال المعينة أما عن عامة الناس فالأغلبية كانت فقيرة وليس بإمكانها تحمل أعباء العبيد وفي حالة توفرهم من جراء الحروب، فيفضلون بيعهم بدلا من كسبهم[565] خاصة عندما نعلم أن هناك غرامة (*Stipendium*) تدفع منذ العهد الأول للإمبراطورية الرومانية عل الأرض وعلى العباد بما فيها العبيد. (أقل من الاحرار)[566].

للأثرياء والحكام، هناك العديد من النساء التى يبدو كأنها ليبس زوجات بل محظيات من طبقة العبيد والذرية المنجبة لم تعتبر شرعية[567] وقد يوجد بحاشية أو محاكم الملوك عدة عبيد كما يؤكد على ذلك المؤرخ تيت ليف عندما أرسل أحد أبناء ماسينيسا إلى روما[568].

كما هو الحال للضياع الرومانية التى يمتلكها الأباطرة المسيرة من طرف العبيد أو الأحرار، فوجود ضياع ملكية أمر مؤكد وكانت اليد العاملة من الأحرار فقط يقطنون في عين المكان بدون عقد أو مدة زمنية محددة لكنهم مطلوبين بدفع نسبة معينة من إنتاجهم السنوي[569].

---

[564] عيساوي، م، المجتمع اللوبي....ص ص : 387-389

[565] Gsell, S., *Histoire ancienne*… V, p. 12 ; 210.

[566] Gsell, S., *HAAN*, VII, p.52.

[567] Gsell, S., *HAAN*, V, p. 46.

[568] Tite Live, XLV, 14.Gsell , S., *HAAN*, op cit p.129.

[569] Gsell, S., *HAAN,* VI, op cit p. 210.

إذا كانت الحبوب تشكل المنتج الأساسي المصدر منذ عهد الأقليد ماسينيسا، فيبدو أم هناك منتوجات أخرى على غرار الصوف، الجلود، المواشي وحتى العبيد لكن النصوص صامتة في هذا الشأن[570] . ومن الطبيعي التساؤل حول مصدر هؤلاء العبيد (أسرى الحروب؟ أو الغرات في إفريقيا السوداء ؟ ....)
هناك العديد من العبيد بقرطاج مكلفين من طرف التجار الإيطاليين خاصة بعد تأسيس المقاطعة الإفريقية بتسيير بعض المهام الوضيعة لكن أغلبهم من المشرق وليسو من المحليين [571]

2.المرأة ومكانتها: لقد قيل الكثير عن المرأة في المصادر القديمة لكن ولكن يصعب الاعتماد على هذا النوع من الادعاءات التى تفرق بين الإنسان والحيوان أو مجرد علاقات تناسلية بمثابة فجور وزينة وليست المرأة في منظر بعض هذه المصادر إلا مجرد أداة جنسية في خدمة الذكور.

•**الزواج** : كان الصورة الرسمية للعلاقة بين الرجل والمرأة في مجتمع القبيلة ، يبدوا أن الزواج والعائلة التى يرتكز عليها ظواهر قديمة جدا في المجتمع الليبي بحيث يتحدث هيرودوت مثلا على تنظيم حفل زفاف عمومي عند قبيلة النازمون. تكتسي العلاقة الزوجية عدة أشكال: رجل واحد مع امرأة واحدة (لتكوين أسرة نووية) أو رجل واحد مع عدة نساء (أسرة مختلطة)، وفي حالة جد نادرة امرأة واحدة مع عدة رجال[572]. لا توجد أدلة كافية للقول بأن هناك منع الزواج بين رجال ونساء من نفس المجموعة[573] (Exogamie) من جهة، ومن جهة أخرى لا دليل عن وجود العائلة من الأم، في حين هناك العائلة من الأب منذ الألفية الثانية [574].

على أساس الزواج، ترتكز العائلة على الرجل مع السماح له بتعدد الزوجات والبنوة مرتبطة بالأب أي زوج المرأة، فالعائلة تنتقل من ذكر لأخر والبنات تخرج منها عند زواجهن ولا يدخل فيها أبناؤهن وكذلك الأمر بالنسبة للممتلكات وهذا النظام يبدو قديما عند الليبيين وهذا ما نجده عند الملوك والأمراء النوميديين: لا وجود لبنوة عن طريق الرحم (Filiation utérine).

---

[570] Gsell , S., *Ibid* , p. 83-84.

[571] Gsell, S., *HAAN,* VII, p. 69.

[572] Gsell, S., *HAAN,* V, p. 35.

[573] *Ibid* , p. 36.

[574] *Ibid,* p. 37.

العزوبة جد نادرة والطلاق والترمل عادة ما يتبعون مباشرة بزواج جديد عندما يسمح بذلك السن والعذرية أو البكرة ليست فقط محبوبة فحسب بل شرط أساسي أيضا[575].

• **الوراثة والتبني:** كانت الوراثة للأبناء بالتبني كما لأبناء من الأصلاب، إذ يتعتعون بالشرعية نفسها. لقد مارس النوميديون التبني وشاع بين مختلف طبقات المجتمع وبالأخص تبني العم أبناء أخيه كما هو الحال عند تبني المالك مكيبسا لأبن أخيه يوغرطة عند احتضاره[576].

ترجع أقدم الإشارات المتعلقة بالوراثة (وراثة الحكم خاصة) إلى نصوص مصرية من القرنين الثالث عشر والثاني عشر ق- م ، ثم بعد ذلك، ورد على بعض النقوش الليبية والبونية أسماء الآباء مما يدل أن الوراثة تتم فقط عن طريقهم[577]

---

[575] *Id* , p. 42, 43.

[576] عيساوي، م، *المجتمع اللوبي*.... ص: 279.

[577] Gsell, S., *HAAN*, V, p. 42.

الفصل الرابع

بعض مظاهر الحضارة في نوميديا

لقد سبق القول بأنه ليس من السهل التميز بوضوح بين مختلف مراحل الحضارة النوميدية وذلك بالدرجة الأولى بسبب ارتباطها الوثيق بحضارات حوض البحر الأبيض المتوسط وقلة المصادر التى تتعلق مباشرة بالفترة التى نحن بصدد دراستها ألا وهي نوميديا من الحرب البونية إلى بداية الاحتلال الروماني.

من المعروف أن المصطلحات في التاريخ وبالأخص في التاريخ القديم، ليست محايدة وهناك تحيز واضح وسوء الظن لهذا يجب توخي الحذر عند التعامل مع بعض المفاهيم.

بطبيعة الحال، لا تقتصر حضارة شعب ما على المباني والمعالم فقط بل تتعدى ذلك إلى مظاهر أخرى تشمل مجالات متعددة ومتكاملة.

تعتبر المدن النوميدية سواء كانت ساحلية أو قارية مراكز ثقافية للحضارة البونية الممزوجة مع معطيات الحضارة المحلية ومن المعروف أن نوميديا لم تدخل التاريخ فعلا إلا بعد اندلاع الحرب البونية الثانية (218-201 ق.م) مع ظهور المملكتين ماسليا وماسيسليا، لكن كما سبق ذكره فالمصادر ناقصة[578] ولا يمكن الاتكال عليها بصفة كاملة في حين يمكن الاستنجاد ببعض البقايا الأثرية توحي بأن هناك تأثير خارجي كبير حيث توجد مثلا قطع فخارية خاصة بموقع تديس ذات أصول ليبية محضة. وأيضا بعض الأنصاب الموجودة بمعبد الحفرة[579].

1. النظام الإداري والقضائي:

إن النظم الإدارية للمدن الساحلية أو القارية غير معروفة بدقة ولا يمكن استخلاص بعض المعلومان إلا من خلال النقوش والمسكوكات التى أبرزت للوجود بعض الأنظمة الإدارية لان النصوص غير واضحة ولم تتطرق بصفة خاصة على المدن[580]، فمدينة مكتار (Mactar) مثلا، كان على رأسها ثلاثة شوفات (Suffet) وليس اثنين كما هو معمول به عند البونيقين [581] ونفس الوضعية في مدينة

---

[578] أكلى ،ن.، 2009-2012، *الحرف والحرفيون في نوميديا قبل العهد الروماني*، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار القديمة ، جامعة الجزائر، ص . 31.

[579] Colonna, C., 2003, « L'Algérie au temps des royaumes numides. » *Doss, Arch,* n°286 septembre p.13-19.

[580] فرحاتي ف، 2007، *نوميديا من حكم الملك جايا إلى بداية الاحتلال الروماني 213- 46 ف- م* ، منشورات أبيك، الجزائر، ص. 201.

[581] Picard, GC., 1957, « Civitas Mactarinas », *Karthago* VIII, p.39 -40.

ألتوبوروس [582] (Althiburus) أما عن المدن الأخرى، فإنها إما طبقت النظام الروماني أو البونيقي بشوفاتين ويمكن ذكر البعض منها [583] : قالمة، ثوقا، ليميسا، قاديوفلا، كابسا...
يبدو أن هذه المدن عرفت هذا النظام منذ نشأتها، أما كرتا، عرفت الشوفات الثلاث ابتداء من القرن الثالث ق. م كما هو مبين على نقيشة[584].

في قالمة (كلاما)، عثر على نقيشة أخرى تذكر وظيفة أخرى تتمثل في شخص"البرانكابس (Princeps) وهي لا تعني رئيس القبيلة كما قيل بل عضو في مجلس شعبي [585]. من خلال هذه النقيشة، يتبين أن إلى غاية الإمبراطور ترجان (98-117)، كانت المدينة بقيت خاضعة لدستور غير لاتيني بحيث كما سبق ذكره، كان على رأسها الشفاط الاثنين ورئيس يدعى البرانكابس. من الصعب شرح مفهوم هذا الشخص الثالث [586] * لأن بين المكانة المرموقة لرئيس المستعمرة (Princeps de colonie) والمكانة البسيطة لرئيس القبيلة (princeps de Gens)، هناك رتبة رئيس المدينة (Princeps civitatis) فربما كان مسؤول كلاما في هذه الحالة عبارة عن رئيس عشيرة أو قبيلة

---

[582] *Ibid*, p. 13.

[583] Poinssot, L., 1942, « Une inscription de Souani El Adani », *Revue Tunisienne,* p. 125- 140.

[584] Troussel, M., 1948, « Le trésor monétaire de Tiddis », *RSAC,* LXVI, p. 157.

[585] CIL VIII 5306 et 5369.

[586] Gsell, S., 1997, *Atlas Archéologique de l'Algérie*, Alger (2eme édition), F 9, 146, p. 17.

أورفه لى م. ،2007، "كلاما (قالمة) دراسة وصفية للبقايا الأثرية للمدينة، مجلة أثار العدد 06، الجزائر ص. 30.

Kotula, T., 1965, « Les principes Gentis et les principes civitatis en Afrique romaine », *EOS*, LV, p. 347- 365.

بسلطات معترف بها من قبل الرومان وحتى أسمائهم كانت ذات طابع بوني أو نوميدي [587]، وقد يكون أيضا مجرد مسؤول عادي لا سلطة ولا نفوذ له[588].

نظام القضاة (Magistri) السائد أثناء الحقبة الرومانية، قد يكزن له أسس محلية ترجع إلى عهد الملوك النوميديين لأنه من المحتمل أن أغلبية المدن كانت تسير من قبل مجلس شعبي شبيه بذالك المطبق في قرى منطقة القبائل الحالية بنفس الاختصاص[589].

وصفت بعض المدن النوميدية بالملكية (Regia) ولكونها غير عواصم، من المحتمل أنها تقع في منطقة الممتلكات الملكية [590].

احتفظت المدن الساحلية على بعض أنظمتها الإدارية القرطاجية وعل عكس قرطاج، أصبح لهل حق سك العملة كمل هو الحال بعنابة وسكيكدة [591] .

خارج المدن، كانت نوميديا مهيكلة ضمن إطار قبلي ذكر البعض منها من طرف بعض المصادر على غرار قبائل الزوفون (Zuphône) وقبائل الأرياكيد (Areacides) وأسفوديلوس (Asphodelos) و داكامس (Dacamas) هذا من الجهة الشرقية لإقليم قرطاج[592].

---

[587] م أورفه لي، المرجع نفسه ص 30

Etienne, R ., 1954, « Une inscription sur bronze découverte à Volubilis (Maroc) », *CRAI*, vol 98 N° 2 p. 127, Camps, G. , 960, « Aux origines de la Berberie, Massinissa ou les débuts de l'histoire » , L*ibyca* , VIII, 1er sem, 1, p. 256.

[588] Aggoun, ML., 2008, « Réfutation des thèses historicistes et affirmation des origines numides de la confédération cirtéenne », *Revue des sciences humaines*, 30 université Mentouri (Constantine) déc. p. 59.

[589] فرحاتي ف. المرجع السابق ص . 203.

[590] نفسه ص. 204. (أمثال : Thimida, Hippo, Zama, Bulla (Regius, Regia)

[591] Troussel, M., Op cit p. 26.

[592] فرحاتي ف. المرجع السابق ص . 205 (طبقا لكل من : Diodore de Sicile et Appien

من الجهة الغربية لقرطاج، ذكرت الوثائق الرومانية عدة قبائل منها: قبيلة إيونتي (Iontii)، قبيلة الميزيكيري (Misiciri)، قبيلة نوميدا (Gens Numidarum / Numidae)، قبيلة الموسولامي (Gens Musulames)، قبيلة النتابوتاس (Gens Nattabutes).....[593].

من الملاحظ أن هذه القبائل النوميدية كانت شبه مستقلة بحيث كانت تدفع الضرائب للملك والفيالق العسكرية باستثناء القبائل الموالية إليه وأن ظاهرة التمرد كانت متواجدة وبعض القبائل الرحل تقوم من حين لأخر بغارات على المدن لسلب المحاصيل الزراعية مما أدى إلى تحصين بعض المدن بأسوار دفاعية.[594]

2.مظاهر الحياة الاقتصادية

• **الثروة الحيوانية:** كسائر الشعوب، مارس النوميديون عدة نشاطات ليس فقط لأغراض الاستهلاك المحلي بل أيضا لأغراض تجارية أي التصدير. فمن بين النشاطات التى كانت تمارس بصفة واضحة زيادة إلى النشاط الزراعي المعتاد، تربية المواشي وقنص الحيوانات المفترسة [595] وهذا ليس فقط للاستفادة من لحومها وجلودها بل لاستعمال البعض منها في ألعاب السيرك والمدرجات وأيضا بسبب الفساد التى قد تلحقه بالمحاصيل الزراعية. من بين الحيوانات المطلوبة في الأسواق آنذاك (الإغريقية والرومانية على وجه الخصوص)، بيض النعام وريشه، الفيلة وأنيابها لاستخراج العاج وأيضا الأسود والقرود. [596]

أما فيما يتعلق بوسائل القنص فهي مختلفة ومتنوعة حسب شراسة الحيوان فتتمثل عموما في الفخاخ بمختلف أنواعها وأحجامها وبعض الأسلحة كالرمح والخنجر والحربة. [597] طبقا لشهادة الجغرافي

---

[593] فرحاتي ف. المرجع السابق ص. 207-208.

[594] نفسه ص. 212.

[595] Salluste, *Bellum Iugurthinum*, LXXXIX, 7, Pomponius Mela, I, 41, Gsell, S., 1913, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, I, Paris, p. 108.

[596] Pline, *Histoire naturelle*, VIII, 31. Gsell, S., *HAAN*, I, op cit, p. 74, et III, p. 304.

[597] Tite Live, XXIX, 31, 8 éditions W.Weissenborn HS, Paris 1933.

بومبونيوس ميلا، فإن القبائل البعيدة عن الساحل كانت تعتمد أساسا على تربية المواشي والأبقار[598]. لقد وجدت بقايا أثرية متعددة على جداريات ورسومات تعود إلى أزمنة غابرة مما يؤكد قدميها في المنطقة. كما عرف النوميديون الحصان منذ العصور القديمة وقبل مجئ الفنيقيين كما تشهد على ذلك بعض المنحوتات في منطقة التاسيلي والأهقار[599].

في الجهة الجنوبية للإقليم، أستعمل الجمل. لقد اختلف العلماء حول بداية دخوله إلى إفريقيا[600]. كما هو الحال لعدة حيوانات، وجد منحوتا على الجدران بالصحراء وقد عاش على الأقل منذ الزمن الجيولوجي[601]. أما عن العناصر الأثرية المتعلقة بالجمل، فأغلبيتها ترجع إلى العهد الروماني (تماثيل، فسيفساء، فخاريات...)[602].

زيادة إلى الجمل والحصان، عرف المجتمع النوميدي دابة حمل (Bête de Somme)أخرى جد منتشرة ألا وهي الحمار المعروف على الأقل منذ الألفية الرابعة[603].

•قدم الزراعة عند النوميديين

أكدت بعض البقايا الأثرية أن بوادر الزراعة النوميدية ظهرت في وقت جد مبكر ي الصحراء الوسطى على الأقل منذ 6100 إلى 4850 ق.م[604] لكن أغلب المصادر القديمة نسبت تطوير الزراعة واستصلاح مساحات شاسعة من الأراضي البور للملك ماسينيسا[605] وأشارت نفس المصادر إلى وفرة القمح النوميدي الذي كان يصدر إلى الخارج (الجيش الروماني بمقدونيا، اليونان، روما[606].

---

598 Pomponius Mela, *Des sitis Orbis*, I, 41, collection Nisaid, Paris 1850.

599 Lhote, H., 1997, *Les Touaregs du Hoggar Ahaggar*, Paris, p. 68 -69.

600 Courtois, Chr., 1953, *Les Vandales et Afrique*, Paris, p. 98-101.

601 Gsell, S., *HAAN*, I, p. 102.

602 Basse, R., 1906, *Le nom du chameau chez les Berbères*, Paris, p. 70.

603 Pline, Histoire VIII, 108, VIII, 39, VIII, 174.

604 Camps, G., 1969, « Amekini, Néolithique ancien du Hoggar », *Mémoire du CRAPE*, I, p. 186- 188.

605 Polybe, *Histoire*, XXXVI, 16, 7, 8

606 Tite Live, XXXI, 19, 4, XXXII, 27, 2,

إلى جانب النصوص، أشارت المسكوكات على هذا الثراء بحيث رسمت سنابل من القمح على عملات بعض الملوك النوميديين كماسينيسا وهيومبسال[607].

لم يقتصر هذا النمو الزراعي على عهد ماسينيسا بل امتد إلى عهد يوغرطة في جزء كبير من نوميديا[608] وكانت مدينة سوقا كبير يتردد عليها عدة أجانب وخاصة الإيطاليين[609].

عند بداية العهد الروماني، أنتجت الولاية الجديدة على حسب قول قيصر 1200000 صاع من القمح[610].

فيما يتعلق بأدوات الزراعة، يمكن القول بأنها لم تتغير لعدة قرون. قبل مجئ الفنيقيين كان يستخدم نوعا خاصا من المحراث يتمثل في معول من الخشب. كما عرفوا المجرفة المستخدمة حتى الآن في الواحات ودخل الفينيقيون المحراث ذات السكة الحديدية الثلاثية الشكل[611]. أما الحصاد فقد استخدموا المنجل الذي عثر على بقايا منه في مقبرة الدولمان بمنطقة سيلا [612]

لم يكتفي النوميديون بالحبوب بل تعد نشاطهم إلى استغلال الأشجار المثمرة كالزيتون والتين والكروم وذلك قبل مجئ الفينيقيين. فشجع ماسينيسا زراعة أشجار الزيتون وحتى عملته حملت غصون الزيتون، إما عن الكروم فهي الأخرى موجودة قبل الفينيقيين لكنهم قاموا بتطوير غرس هذا النوع من الأشجار.

يذكر ماجو (Magon) في موسوعته الزراعية نصائح تدل على خبرة فنية كبيرة في مجال زراعة الكروم حيث تذكر أن العنب النوميدي مشهور من حيث إنتاجه الهائل بالنبيذ [613]. من الجانب الأثري حملت أيضا بعض نقود ماسينيسا وأيضا على عملات من مدينة ليكسوس.

---

[607] Mazard, J., 1955, *Corpus Nummorun Numidae Mauretanieque*, Paris, p. 55 fig : 99, 100, 111, P : 47 fig 78, 79, 80

[608] Salluste, *Bellum*… op cit XXIX, 4, XLVI, 5, XLVIII, 4.

[609] *Ibid*, XLVII.

[610] Plutarque, *Caesar 55,*

[611] Desanges, J., 1980, *Les protoberbères*, Paris, p. 465.

[612] فرحاتي ف، المرجع السابق ص. 238.

[613] Lacroix, F., 1868, « Afrique ancienne, produits végétaux » *Revue Africaine* , 12, p. 97.

لقد عرف النوميديون التين قبل مجئ الفينيقيين وكانت تعتبر من أهم الفواكه والمفضلة لهم[614]، ففي منتصف القرن الثاني ق.م، عرض كاتو (Caton) الأكبر أمام مجلس الشيوخ حبة تين دلالة على الثراء الذي وصلت إليه قرطاجة.

زيادة إلى هذا، هناك العديد من الفواكه الأخرى التى أدخلت من طرف الفينيقيين كالرمان المعروف باسم التفاح البونيقي وهي ترمز إلى الثراء عند الفينيقيين[615] ووصفت في كتاب ماجو أساليب زرع اللوز والجوز حتى القسطل، إما البقول، فكانت هي الأخرى معروفة عند النوميديين ومن المحتمل أن كرتا مثلا كانت محاطة ببساتين الخضر والفواكه[616].

كما هو الحال حاليا، كان التمر جد معروف حتى قبل مجئ الفينيقيين خاصة في الجنوب عند قبائل الجيتول والنازامون والقرامونت[617]ومن الجانب الأثري، وجدت أيضا نقود تحمل سعف النخيل والأحرف م، ن [618]

النحالة كانت أيضا ممارسة بنوميديا خاصة بالمناطق الساحلية طبقا لما ورد في كتاب هيرودوت وبلين لكن يبدوا أن الفضل يعود للفينيقيين في هذا المجال [619]

•أنواع الملكية:

تعددت أنواع الملكيات التي كانت سائدة بنوميديا، فأراض قبائل الرحل كانت ملكية لجميع أعضاء القبيلة وقد تحتكرها لأغراض الرعي. أما فيما يتعلق بالأراضي الزراعية، فهناك على العموم 03 أنواع:

-**الملكية الجماعية:** الأرض ملك مشاع لمجموعة من الأشخاص (القرية مثلا) ويكون الاستغلال وتقسيم المحاصيل جماعي أيضا بين العائلات حسب عدد الأشخاص

---

[614] Camps, G., 1960, « Aux origines de la Berberie, Masinissa où les débuts de l'histoire » *Libyca* , VIII, p. 90.

[615] I*bid*, p : 347

[616] Lacroix, F., op cit p. 97-98.

[617] Hérodote, *Histoires,* IV, CLXXXII.

[618] Mazard, J., Corpus …op cit, p. 40, fig. 60, 61.

[619] Hérodote, IV, CXCIV.

-Pline, XI, 33.

-**الملكية الخاصة**: إلى جانب الملكية الجماعية وجدت أيضا ملكية خاصة، عائلية أو فردية وتورث للأبناء.

-**الأراضي الملكية**: خاصة عندما أصبحت نوميديا ملكية بصفة واضحة، فالملك ماسينيسا مثلا ملك مساحات شاسعة ترك لأبنائه أرض تبلغ مساحتها 874 هكتار.

من جهة أخرى بعد ما أصبحت نوميديا جزء من الممتلكات الرومانية، اكتسب الرومان أراض شاسعة صدرت بعض الاحتلال ومن المحتمل أن تكون هذه ألأراض للملك يوبا الأول وعرفت باسم سالتوس (Saltus)، مع العلم أن الفلاحون كانوا(خاصة المستقرين منهم) يدفعون ضرائب سنوية [620].

•**الثروات الطبيعية**: من بين هذه الثروات خشب شجرة الثويا (Thuya) المستعمل في صناعة الأثاث منذ القرن الثالث ق- م خاصة بمنطقة رودس [621].

كان الملح أيضا من هذه الثروات وهذا طبقا لشهادة المؤرخ هيرودوت خاصة بالمناطق الصحراوية [622] المعادن بمختلف أنواعها كانت أيضا مستغلة في عدو مناطق من نوميديا، فالنحاس مثلا كان مستغل قبل مجئ الفينيقيين حيث ودت عدة مناجم وأدوات [623]

الرصاص كان متوفرا بمنطقة القل والميلية وقد وجدت أدوات من الرصاص قديمة العهد بقرطاج وبولا ريجيا وقورايا[624].

منذ عهد سيفاكس إلى عهد هيومبسال الثاني، كانت المعادن الوحيدة المستعملة في صناعة المسكوكات هي النحاس والرصاص وأعطت التحاليل نسب متفاوتة من حيث الخليط بين المعادن [625]

كان لملوك نوميديا كنوز من الذهب والفضة وهذا ما تشهد عليه بعض المصادر على غرار سالوست [626] هيرودوت [627]لكن فيما يتعلق بالذهب فلم توجد لحد الآن بقايا أثرية، قد يكون مستورد من

---

[620] Gsell, S., *HAAN*, V, p.189.

[621] فرحاني ف.، المرجع السابق ص. 246.

[622] Hérodote, IV, CLXXXI, CLXXIV, XLXXXV.

[623] Gsell, S., *Atlas archéologique de l'Algérie*, F. 12 El Asnam N° 41.

[624] Troussel, M., Op cit p. 26.

[625] Mazard, J., Corpus …op cit p. 26.

[626] Troussel, M., Op cit, p. 26.

[627] Hérodote, IV, CXCV.

كناطق أخرى وحتى المسكوكات كانت نادرة بحيث لم توجد إلا البعض من عهد فرمينا وأخري نسبت إلى يوغرطة [628]

البرونز نظرا لسهلة سكبه واستعماله، وجد في عدة مناطق على شكل فؤوس لكن قزال يعتبر أن سكان شمال إفريقيا لم يعرفوا السبك فاعتبرها من المستوردات [629]

رغم صعوبة تأريخ أغلب المستغلات المعدنية، يبدو من الأرجح تأريخها بالفترة القرطاجية أو الرومانية التي تعتبر الأكثر ازدهارا بشمال إفريقيا من جهة ومن جهة أخرى نظرا لرداءة طرق الاستغلال رفض الخبراء إسناد هذا العمل للرومان بل نسبوه للسكان المحليين ويبدوا أن هذه الفرضية غير خاطئة[630].

بذكر المعادن، لقد سبق وأن تطرقنا إلى البعض منها فلا يمكن نسيان أو إهمال الفصل المتعلق بالمسكوكات. بعد إقامة علاقات تجارية مع بعض بلدان الجوار، تم استحداث نظام نقدي ابتدأ من القرن الثالث ق. م على نمط النظام الإغريقي باستخدام مادة النحاس والرصاص إلى جانب الفضة والذهب. كان ماسينيسا قد شجع على إنشاء ورشات سك العملة وكانت سيقا قد بادرت في خلق نظام نقدي محلي بعد قرطاج بسبب الجوار مع إسبانيا التي كانت تتجاور معها حتى قبل ظهور العملة حيث وجدت عملات نوميدية بجنوب إسبانيا [631]

باستثناء ثلاث قطع من الفضة نسبت للملك فرمينا وستة قطع من عهد الملك هيومبسال وذهبيتين من عهد يوغرطة، تم استعمال النحاس والرصاص في صنع أغلب العملات النوميدية[632].

على غرار الباحث تروسال، ذهب البعض إلى القول أن هذه العملات المصنوعة من المواد الرخيصة لم تلعب دور نقدي بل كانت قطع نموذجية لتجارب استعملت في بعض المناسبات أو تذاكر للدخول إلى الحفلات لان للنوميديين كنوز تتألف من سبائك فضية وأخري ذهبية[633] ولا يرجع استعمال المعادن الرخيصة إلى فقر الخزينة بحيث على غرار سالوست، ذكرت الكنوز الملكية في حرب يوغرطة[634].

•الحرف والصناعة:

---

[628] Mazard, J., Corpus …, p. 46.

[629] Gsell, S., *HAAN,* II, p. 212.

[630] Gsell,S, «Veilles exploitations », *Hesperis*, p.2, 11, 14-16, note 4.

[631] Mazard, J., Corpus… , p.19, 20.

[632] *Ibid*, p. 19, 20, 21, 45, 47 fig : 73, 74, 75, 79, 80,

[633] Camps, G., *Aux origines* …, p. 208.

[634] Salluste, XII,2, XXXVII, 3, LXXV, 1.

عند دراسة نوميديا قبل العهد الروماني نجد أنفسنا أمام عائق المصادر، فتاريخ المملكات بالمعني العميق لم يتم التطرق إليه إلا عند تقاطعه مع التاريخ الروماني[635].

ليس من السهل إيجاد معلومات كافية وخاصة دقيقة على الحرف والصناعات في شمال إفريقيا وبالأخص فترة ما قبل الرومان مع الإشارة إلى أن ظهور الحضارة القرطاجية التى امتزجت مع معطيات الحضارة المحلية، أعطت دفعا جديدا للمجال الاقتصادي من حيث التطور الذي مسه بصفة جذرية وأحدث تطورات خاصة في الميدان الزراعي وتربية المواشي والصيد البحري[636].

•صناعة المواد المعدنية:

كان الصناع يمدون المزارعين بأدوات العمل مثل المحراث والمجرفة وعربات النقل والمنجل...كما اختص البعض في صناعة الأسلحة كالحربة والخنجر والمح اليدوي. في هذا الصدد، عثر في صومعة الخروب على بقايا رماح[637] وعلى صعيد أخر، أشير في العهد الملكي إلى عدة مهن كالحدادين والنجارين والبنائين ومعماريين.

أعتبر فن النسيج مع الحرف المشهورة منذ القدم وهذا يرجع أساسا إلى وفرة الصوف والجلود ووجدت عدة شواهد من اللباس المسمى حاليا البرنوس منحوتة على الجداريات بقرب سيقوس مثلا[638] وعلى بعض النقود النوميدية [639]

•صناعة الفخار:

اختص الحرفيون بشكل ملحوظ بصناعة الأواني المنزلية الفخارية والجنائزية. هذا الفخار قسم إلى نوعين: الفخار المحلي المشكل باليد ومحروق مباشرة على النار وهو حكر على النساء[640] ونوع أخر أكثر تطورا صنع من طرف الرجال في ورشات استعمل فيها الدولاب والفرن.

---

[635] اكلي ن.، المرجع السابق ص. 39

[636] اكلي ن.، المرجع السابق، ص. 31.

[637] Gsell , S., *HAAN,* V, p. 257.

[638] Desanges, J., *Les proto berbères*, 17, p. 466.

[639] Mazard, J, Corpus, p. 18, 19, 20 fig 1, 2, 3, 6, 7, 8, 9, 11.

[640] Basset, H., 1921, « Les influences puniques chez les Berbères », *RA,* 26, 65, p.183- 184.

يبدوا أن النوميديون احتفظوا بالتقاليد القديمة في صناعة الفخار خاصة فيما يتعلق بالتأثيرات البونيقية في كل ما يخص طقوس الدفن[641].

ومن العينات الفخارية الجنائزية يمكن ذكر تلك التى عثر عليها في مقابر بتونس كمدينة مكتار مثلا[642] وعدة مناطق أخرى بالجزائر على غرار تديس مثلا[643].

فيما يتعلق بالتأثير أو تقليد الأشكال البونيقية التى تعود أغلبها إلى بداية تأسيس قرطاج، فالملاحظ أنه ظهر أساسا على الأدوات الجنائزية[644].

•التجارة الداخلية والأسواق:

ينقسم المجتمع النوميدي إلى قسمين: الرحل والمستقرين، فهذه الفئة الأخيرة تهتم بالزراعة والصناعة وتتكومن من التجمعات القبلية وهو أقدم نظام عرفه النوميديون المستقرون ثم القرى والبلدات المبنية عادة على الأماكن المحصنة طبيعيا أما القرى الواقعة في السهول فقد أحيطت بها أسوار دفاعية وقلع في القمة تستخدم كملاجئ أو لتخزين المولد الزراعية في حالة السلم وكانت الأسواق توجد خارج القرية ولا توجد فيها محلات بيع [645]

تقع المدن على الشريط الساحلي أو في المناطق السهلية واغلبها كانت مستوطنات فينيقية أو قرطاجية اعتبرت كمنافذ تجارية على البحر[646]، أما المناطق الداخلية، فتوفرت فيها أماكن يتبادل فيها المزارعون

---

[641] فرحاني ف. ، المرجع السابق ص 252.

[642] Pauphelet, D., 1953, « Monuments mégalithiques à Mactar », *Carthago*, V, p. 49 et 83.

-Denis, L., 1913, « Notes sur quelques nécropoles mégalithiques du centre tunisien », *BAC*, p., 139.

[643] Camps, G., 1956, « La céramique des sépultures berbères de Tiddis », *Libyca* , III, p. 155.

[644]Cintas, P., 1953, « Fouilles puniques à Tipaza » *RA*, XCII, p. 253.330.

[645]فرحاني ف.، المرجع السابق ص: 260.

Lezine, A., 1968, « Carthage, Utique, études d'architecture et d'urbanisme », *CNRS*, Paris, p. 194, Gsell, S., V, p. 197-221.

[646] Daressy, G. 1895, « Une flotte phénicienne d'après une peinture égyptienne », *RA*, XXVII, p. 289-290.

والمربون مختلف منتجاتهم وكان العدد معتبر نوعا بشرق نوميديا مقارنة بغربها[647]. في هذا الصدد كانت كرتا من أهم الأسواق الداخلية التى جلبت منذ القرن الثاني ق.م العديد من تجار العالم القديم ربما بسبب قرب ميناء روزيكاد ا ووجود أراض خصبة بجوارها [648]

•الطرق التجارية الداخلية

من المؤكد أن تصل البضائع من القرى إلى المدن والموانئ عبر طرق لم تتطرق إليها المصادر القديمة لأن أغلب بقايا الطرق تعود للفترة الرومانية التى قد تكون مهيأة على المسالك القديمة مع العلم أن النوميديون عرفوا العربات[649].

مما لا شك فيه أن المدن الساحلية والداخلية كانت تربطها علاقات تجارية بالمناطق الصحراوية. هذه الطرق الصحراوية كانت كلها متجهة نحو الشمال والشمال الشرقي للوصول إلى موانئ طرابلس وسبراتا واللبدة[650].

فيما يتعلق البضائع التى تنقل من الصحراء فعموما تتمثل في العقيق الأحمر (carbunculus=carbuncle) ونوع أخر من الحجر Calcédoine يصنع منه اللؤلؤ وأيضا الزمرد وأحجار كريمة أخري[651]. عرفت نوميديا تجارة الرقيق وذلك من خلال الإشارة على دورهم في تجارة الذهب بكرتا [652]

تمثلت البضائع الصحراوية في العاج وبيض وريش النعام والحيوانات المفترسة كالفيل ووحيد القرن....[653]

---

[647] Strabon, XVII, 3, 13.

[648] Decret, F., Fantar, MH., 1981, *L'Afrique du nord dans l'antiquité des origines au V eme siècle*, Paris, p. 221.

[649] Salama, P., 1951, *Les voies romaines de l'Afrique du Nord*, Alger, p. 13.

[650] Salama, P., « Le Sahara pendant l'antiquité classique », *HG Afr.Ancienne*, p. 569.

فرحاني ف.، المرجع السابق ص. 272.

[651] Posnansky, « Introduction à la fin de la préhistoire en Afrique subsaharienne », *HGA*, p. 593.

[652] *Ibid.*

[653] Salama, P., «le Sahara pendant l'antiquité classique » *Histoire Générale de l'Afrique* , p. 567.

•التجارة الخارجية

تمكن الملك ماسينيسا من تأسيس أسطولا بحريا تجاريا وشجع التبادلات مع اليونان ومصر وكل شعوب البحر الأبيض المتوسط وبالأخص مع رودس (Rhodes) وديلوس (Délos)إلى درجة إهداء تمثال للملك في هذه الجزيرة [654].

وجدت في قبور بكرتا جرار صنعت برودس وأرخت ببداية القرن الثاني ق.م وتشهد على العلاقات التى تربط نوميديا والعالم الإغريقي[655].

لم تقتصر التبادلات التجارية على مدينة رودس بل شملت عدة مناطق من بلاد اليونان مثل أثينا وديلوس، وفي هذا الصدد يشهد تيت ليف أن ماسينيسا كان يرسل كميات من القمح كهبة لحساب معبد الإله أبولون [656]

لم يكتفي ماسينيسا بإنشاء علاقة تجارية مع الإغريق بل شجع إقامة جالية إغريقية بكرتا على وجه الخصوص[657] وبطبيعة الحال، انعكس كل هذا على الحياة الثقافية وسنتطرق لذلك لاحقا

بعد ما قمنا بتقديم بعض المعطيات المتعلقة بالمظاهر الاقتصادية لنوميديا في المسعى السابق، نتطرق هذه المرة إلى جانبين لا يقلان أهمية ألا وهما الجانب الديني والثقافي رغم تهمشيهما من طرف الباحثين ونقص المراجع الموثقة والجدية في هذا الصدد.

كما هو الحال بالنسبة للمظاهر الأخرى التى سبق التطرق إليها، يستند الباحث على معلومات قليلة ترجع كلها إلى ما ورد في المصادر الإغريقية اللاتينية أو بعض الدراسات الحديثة نوعا ما التى أجريت حول المعالم الجنائزية أو النقوش الليبية التى وجدت هنا وهناك عبر القطر الشاسع للنطاق الجغرافي المزمع دراسته.

---

[654] Camps, G., *Aux origines,* p. 255.

[655] Berthier, A., Charlier, R., *Le sanctuaire* …., p. 232.

[656] Tite-Live, XXXIX, XXII.

[657] فرحاتي ف.، المرجع السابق ص. 276.

3.مظاهر الحياة الدينية : لا شك أن الدين بكل زواياه يشكل جزءا معتبرا للإنسان القديم ليس فقط من الجانب ألطقوسي أو العملي المحض (Aspect rituel / pratique) بل من الجانب المتعلق بالعالم الأخر المعروف باسم الإسكاتولوجيا (Eschatologie).

قد نتسأل في هذا الصدد: هل اختلف سكان منطقة شمال إفريقيا عن باقي شعوب الحضارات القديمة في الاعتقاد بالعالم الأخر وكيفية تجسيد مختلف الطقوس المرتبطة بالعبادة والتقرب بالآلهة؟ وهل تأثروا بغيرهم من الشعوب كما هو الحال في عدة ميادين؟

بطبيعة الحال، قد يتسع هذا الجانب الروحي لأسئلة كثيرة لكن لا يمكن الإجابة عليها في هذا المجال المحدد بالجانب الاجتماعي للممالك النوميدية وقد تكون المصادر الأثرية والنصوص وحتى العلوم المساعدة غير كافية بسبب شساعة وتشعب الموضوع.

•**العمران الجنائزي:** قبل التطرق إلى الأضرحة النوميدية المميزة، من الضروري القول إن أهم المظاهر الدينية في الجانب العمراني الجنائزي تتجلى في اعتماد عدة أنواع من المدافن وجدت بقاياها المادية في عدة مناطق من شمال إفريقيا. فمنذ فترة العصر الحجري القديم الأعلى (Epipaléolithique) بمواقعي أفالو ببجاية وتافوغالت بالمغرب الأقصى، كان الإنسان الإبيرومغربي–Ibéro) (Maurisien يستعمل المغارات لدفن موتاه [658] وذلك في وضعيات مختلفة [659].

زيادة إلى هذه المدافن الطبيعية، وجدت هياكل جنائزية أخرى تتمثل بصفة عامة في أشكال متنوعة من •**التيميلوس** (**Tumulus**) أو التلال الجنائزية وهي عبارة عن ركام حجري مخروطي يوضع فوق الجثة وقطر قاعدته يتراوح ما بين 5 إلى 20 متر[660].

---

658 Hachi, S., 2003, « Les cultures de l'Homme de Mechta-Afalou. Le gisement d'Afalou Bou Rhummel (massif des Babors, Algérie). Les niveaux supérieurs 13000-11000 BP », *Mémoires du Centre National de Recherches préhistoriques, anthropologiques, et historiques*, (CNRPAH), nouvelle série no 2, Alger, p. 15-24.

[659] طارق ساحد ع.،2009-2010،" التعمير البشري ببلاد المغرب في فترة فجر التاريخ – نموذج المعالم الجنائزية بمنطقة الأوراس" أطروحة انسل شهادة الدكتوراه، جامعة الجزائر، معهد الآثار، ص. 27.

[660] Camps, G., 1960, *Aux origines de la Bérbèrie, monuments et rites funéraires protohistoriques*, Paris, p.100.

ينقسم هذا النوع إلى شكليين: الشكل البسيط الذي يعتبر الأكثر انتشارا بشمال إفريقيا وهو مخصص للدفن الفردي والجماعي يتراوح قطرها من 5 إلى 150م[661].

يوجد أيضا أنواع أخري يمكن تلخيصها فيما يلي:

•**تلال خالية من الحفرة الجنائزية ومن الصندوق الجنائزي:** وهو من ابسط أشكال التلال وتوضع الجثة مباشرة على التربة وتغطي بالأحجار والتراب وهو منتشر في عدة مناطق [662]

–تلال ذات فوهة مسطحة: تسمح الفوهة بإدخال الجثث واستعمال المدفن لعدة مرات دون إلحاق الضرر به وهو أيضا منتشر ببعض المناطق على غرار ضواحي قسنطينة[663]وبوسعادة، تيارت والمغرب الأقصى[664].

–التلال ذات الحفرة الجنائزية المجهزة: تحتوي على حفرة مبلطة تحت سطح الأرض وبلاطات أخري فوقها كغطاء. ينتشر هذا النوع بموقع الدوسن بالحضنة، وموقع بوغار بالجلفة ووادي الورق بتيارت[665]

–التلال الترابية (Les Tertres): هي عادة أضخم من التلال الأخرى وتنتشر بصفة ملحوظة بالمغرب الأقصى [666]

---

[661] Reygasse, M., 1950, *Les Monuments funéraires préislamiques de l'Afrique du nord. A.M.G*, Paris, p. 51.

[662] Dessigny, Cne., « Notice sur quelques monuments de la région d'Ain Sefra », *B.A.C.*, p. 63-86.

[663] Julien, 1881 « Excursion de Monsieur le sénateur H. Martin à la nécropole de Ras el Ain Boumerzoug», *CR du Xe congrès de l'A.F.A.S.*, Alger, p. 1140.

[664] Camps, G., *Les monuments*…p. 72.

[665] *Ibid*, p. 74-76.

[666] Souville, G., 1958-1959, 'Le Tumulus de Sidi Allal el Bouhraoui », *Libyca,* VI-VII, p.243-259.

-**التلال الجنائزية ذات البنية المنسجمة:** مشكلة عادة من حجارة صغيرة ومتوسطة ممزوجة بالتربة، القاعدة الدائرية لهذا النمّط تكون من نفس التركيبة المشكلة للتلّ، ويتميز هذا النمط بشكله المخروطي المسطح وانسجام في تركيبة مواد بنائه، يصل قطره 6 أمتار[667].

-**التلال ذات القاعدة الحجرية الخارجية الضخمة:** قطرها كبير يتراوح ما بين 3.50 م و6.00 م وتتكون قاعدتها الدائرية من حجارة ضخمة يتراوح سمكها ما بين 0.50 م و0,70 م أمّا الفضاء الدّاخلي للمعلم فهو مزيج من الحجارة المتوسطة والصغيرة والتربة [668]

-التلال ذات الغرفة الجنائزية البارزة جزئيا: يتميز ببروز جزئي للغرفة الجنائزية في وسط فضائه عموما، وتتكون هذه الأخيرة من أربعة بلاطات عمودية مغطاة ببلاطة أفقية على شكل مائدة وهي تشبه المصطبة، كما نجدها أحيانا مكونة من عدة بلاطات عمودية مشكلة مستطيل دون مائدة [669]

•**البازينات Bazinas**: تشبه إلى حد كبير التلال وهي جد منتشرة بشمال إفريقيا، وكان الباحث لتورنو (A. Letourneux) من الأوائل الذين قدموا تعريفا لهذا النمط الذي يستوحي تسميته من اللغات المحلية وذلك سنة 1867 ويقصد بها الهضبة الصغيرة ويصف هذا الأخير هذا النوع من المعالم على أنّها ذات أساسات دائرية أو اهليليجية من الحجر الكبير نوعا ما موضوعة على شكل درجات ، ويكون الأساس الدائري الأخير والأعلى ممتلئ بالحصى والحجر المتوسط والصغير ومركزه مرشوق بثلاثة حجارة رقيقة وطويلة بشكل عمودي ، ويتراوح قطرها ما بين 09 إلى 10 أمتار[670]. تطرق إلى هذا

---

[667]عادل – زرارقة (و)، 2010-2011، *دراسة المعالم الجنائزية لمقبرة شنيور (عين العربي –قالمة-) المعالم الميغاليثية والشبه ميغاليثية*، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الآثار. – تخصص أثار قديمة، جامعة 08 ماي 1945 – قالمة، ص. 55.

[668]عادل – زرارقة (و)، المرجع السابق ص . 56.

[669] نفسه، ص . 56 .

[670] Letourneux, A., 1867, « Sur les monuments funéraires de l'Algérie orientale », *Arch.fur.anthropologie*, II, p. 312.

المصطلح باحثون آخرون على غرار فيرو [671] (L.Feraud) وبورقينيا (J.R Bourguignat) [672].

هي عبارة عن نوع من التلال غير مكونة من كومة مخروطية في الأعلى ودائرية في القاعدة، من ركام يتكون من حجارة صغيرة ومتوسطة وأتربة، كما نجدها في معظم التلال، بل هي معالم مهيئة من الخارج بحجارة متوسطة وكبيرة نوعا ما على شكل حائط من الحجر المتراص فوق بعضه البعض أو بالتدرج، أمّا من الدّاخل فهي مكونة مثل التلال من حفرة جنائزية أو صندوق حجري جنائزي. وتتكون معالم البازينا من عدّة أنماط[673] أهمها:

-البازينات ذات السياجات المركزية غير المجهزة: منتشرة خاصة بمناطق البيبان والبابور وسطيف [674]

-البازينات على شكل ظهر السلحفاة وهي منتشرة في عدة مناطق من شمال إفريقيا.

-البازينات المدرجّة: منتشر أيضا بصفة معتبرة في عدة مناطق.

-البازينات الرباعية الأضلاع والمدرجة: نمط غير منتشر بكثرة وهو متمركز خاصة بالمغرب الأقصى[675]

-البازينات ذات القاعدة الأسطوانية: شكل مدافن دائرية محاطة بتجهيز حجري أسطواني متواجد في عدة مناطق. يرى الباحث كومبس أن الضريح الملكي الموريتاني وضريح إمدغاسن ما هي إلا تطور لهذا النمط [676]

---

[671] Feraud , L., 1863-1864؛ « Monuments dits celtiques dans la province de Constantine », *R.S.A.C.*, vol. XII

[672] Bourguignat, J.R., 1868, *Histoire des Monuments mégalithiques de Roknia*, Paris, p.16

[673] عادل – زرارقة و.، المرجع السابق ص.59.

[674] Roffo, Dr., «Sépultures indigènes Préislamiques en pierres sèches, études sur trois nécropoles de l'Algérie centrale », *RAfr.*, T LXXXII, p. 197-242, Fig. 09.

[675] Campardou, J., 1921, « Notes sur la région de Taza », *B.S.G.A.O.,* XLI, p. 190-193.

[676] Camps, G., *Aux origines* … , p. 168.

•**المصاطب أو الدولمان:** مدافن دائرية محاطة بتجهيز حجري أسطواني من صخرتين أو أكثر تكون عمودية ودورها حمل ثقل البلاطة الأفقية. ينتشر هذا النّوع من المعالم بصفة واسعة في أوربا خاصة فرنسا وبريطانيا وايرلندا، وكذا في آسيا وفي شمال إفريقيا.

ويزداد عدد المصاطب بصفة هائلة في المناطق الشمالية الشرقية الجزائرية، مشكلة مقابر شاسعة يحصى معالمها بالآلاف، مثل مقابر بونوارة، رأس العين بومرزوق بضواحي قسنطينة، والركنية وشنيور بقالمة، وقاستيل بتبسة وسيقوس وبوشان بأم البواقي ...الخ ، لكن سرعان ما ينقص عددها تدريجيا كلما اتجهنا نحو الوسط الجزائري ، فنجدها بعدد قليل على الشريط الساحلي في القل "سكيكدة" وتيقزيرت" بجاية"[677]، وبني مسوس بالجزائر العاصمة [678]

والجدير بالذكر أن مصاطب شمال إفريقيا جلبت اهتمام الكثير من الباحثين الأوربيين العسكريين وباحثي الكنوز وذوي الاختصاص وتتميز مصاطب شمال إفريقيا بصفة عامة بصغر حجمها إذا ما قورنت بمصاطب أوربا.

•**السراديب:** (**Haouanet**) هي معالم جنائزية محفورة ومهيئة تحت جلمود صخري في المنحدرات الشديدة والمتوسطة، كما نجدها أحيانا تحت مساحات أرضية مسطحة نوعا ما. و هي تشبه من ناحية الفكرة و التصور معالم الحوانيت، غير أن السراديب تختلف عن هذه الأخيرة في الهيئة و التصميم، و في وجودها بصفة عامة تحت سطح الأرض، كما لها بعض المميزات المشتركة مع الحوانيت، خصوصا في طريقة غلق البعض منها بسدادات حجرية تنزلق في حزات خاصة بها. وبناءا على الصفات التي تتقاسمها الحوانيت مع السراديب، يرى الدكتور ديرول (Deyrolle) أن هذه الأخيرة تشبه كثيرا المدافن البونية، وعليه، لها حتما نفس الأصول مع المعالم الجنائزية ذات الأصل الفينيقي والتي عثر على مثلها أيضا في مصر[679].

قد يصح القول إن هذا النوع من المعالم الجنائزية يخضع بنائها لمزيج من التأثيرات الليبية، البونية والرومانية، وهي تدل على تمسك السكان الأصليين بعاداتهم الجنائزية وطرق الدفن الأصلية القديمة التي ورثوها عن أجدادهم مع إدخال بعض تقنيات البناء المتطورة التي كانت شائعة في العهد الروماني. وما وجود لبعض

677 - Viré, C., 1898, « Archéologie de canton de Bordj Menail », *R.S.A.C*, XXXII, p. 6-70.

678 -Camps, G., 1953, « Les Dolmens de Béni Messous », *Libyca*, I, p. 329-372.

679 - Deyrolle, Dr., 1901, « Les Haouanets tunisiens », *BSA*, de Paris, X, p . 157.

القطع الأثرية والنقيشات الليبية والبونية في موقع قلعة بوعطفان الذي يأتي بتأثيرات ثقافية جديدة دون أن تمحى العادات القديمة بصفة كاملة. [680]

•**الأضرحة الجنائزية (الفن المعماري الجنائزي):** لم يبقي شيء من عمارة القصور التى أقام فيها الملوك النوميديين في كيرتا، لكن يبدوا أنها شيدت على نمط الطراز البونيقي الإغريقي [681]

تشهد بعض النقود من عهد يوبا الأول على واجهة معبد يبدو كأنة مزار يشبه المعبد إغريقي روماني[682]. وعلى عملة أخرى، رسم لقصر بكرتا أو زاما يحمل الخصائص المعمارية للفن الإغريقي الروماني[683].

على كل، يبقى الفن المعماري المدني غير واضح المعالم بحيث القليل من الشواهد المادية التى وصلت إلينا لا تبرز إلا عمارة مستوحاة من العمران البونيقي أو الإغريقي الروماني.

من أبرز المعالم الجنائزية التى قد ترجع إلى الفترة النوميدية (القرن الثالث والثاني ق.م) نجد:

–صومعة الخروب: يدخل ضمن الأضرحة البرجية يتميز هذا الضريح المنسوب للملك ماسينيسا بخصائص عمرانية دورية (Dorique) بونيقية صقلية وإغريقية، مع العلم أن هناك جالية إغريقية مقيمة بكرتا منذ النصف الثاني من القرن الثاني ق. م [684].

–ضريح دوقا: هو الأخر ضمن الأضرحة البرجية كان يتكون من 3 طوابق، وهو شبيه نوعا ما بالضريح السابق مزين على الجهات الأربعة بأربعة أعمدة مقننة وهو إذن النوع المعروف بالطراز الأيوني. [685]

---

[680] عادل – زرارقة و.، المرجع السابق ص: 95

[681] Gsell, S., 1901, *Monuments antiques de l'Algérie*, I, Paris, p. 55-74.

[682] Mazard, J., 1955, C*orpus Nummorum Numidae Mauretanieque*, Paris, p.50, N° 84-85.

[683] *Ibid*, p. 51 N° 91.

[684] Strabon XVII, 3. 11.

فرحاتي،ف.، *نوميديا من حكم الملك حايا إلى بداية الاحتلال الروماني* 213- 46 ق. م الجزائر، 2007، ص. 311

[685] Poinssot, Cl., Salomonson, W., 1959, «Le Mausolée libyco-punique de Dougga et les papiers du Comte Borgia », *C.R.A.I.*, p.143.

الحفريات التى أنجزت من طرف Vuillemot أظهرت وجود 10 غرف باطنية وأثاث جنائزي وتزينات مختلفة [686]

–ضريح سيقا: ضريح كان يتكون من ثلاثة طوابق، علوه حوالي 30 أمتار طبقا لإعادة التشكيل من طرف راكوب (Rakob) على قاعدة سداسية الواجهات مستقيمة ومقعرة على التوالي[687].

–ضريح إيمدغاس: من طراز الأضرحة البازينية، ضريح مخروطي الشكل، بمدرجات قائمة على قاعدة أسطوانية ومزين بستين عمود من الطراز الدوري وإفريز مصري. في وسط المبني، وجدت قاعة الدفن قد تكون لأحد الأمراء النوميديين: بوخوس الأول أو على الأكثر ابنه بوخوس الثاني حسب كومبس.[688] أما عن التسمية، فالبكري يرجعه إلى جد البربر يدعى مدغيس (Madghis) قد يكون زعيم قبيلة تتمركز في المنطقة [689].

–الضريح الملكي الموريتاني: يدخل هو الأخر ضمن ما يسمى بالأضرحة البازينية وعرف أيضا بتسمية " قبر الرومية" المستوحاة من الأبواب الوهمية الأربعة تحمل كل واحدة نقش صليب لكنه لا يمت بأي صلة بالديانة المسيحية. ذو شكل أسطواني ومحاط بستين عمودا تحمل تيجان بونيقية والكل على قاعدة مربعة مبلطة.

إتفق المؤرخون على إرجاع القبر إلى الملك يوبا 2 وزوجته كليوباترا سليني علما أن الملك كان مثقفا وجلب إلى عاصمته العديد من الفنانين من بلاد الإغريق[690].

يشبه هذا النوع من القبور إلى حد قريب تلك المدافن المذكورة أعلاه والتي تتكون عموما من أكداس حجارة في وسطها غرفة الدفن.

---

[686] Vuillemot, G., 1964, « Fouilles du Mausolée de Beni Rhénane en Oranie », *CRAI*, p. 91-95.

[687] Rakob, F., 1979, "Numidische Königsarchitektur in Nordafrika", in *Die Numider*; sous la direction de Heinz Günter Horn et Christoph B.Ruger, Bonn, p.119-171.

[688] Thebert, Y., Coareli, F., 1988, « Architecture funéraire et pouvoir : réflexions sur l'hellénisme numide », *MEFR*, N° 100-2, p. 766.

[689] Gsell (S), Monuments …op cit p: 55-74.

[690] فرحاتي، ف.، المرجع السابق، ص. 314.

ضم الضريح رواقا مقببا زين ب 51 كوة منحوتة على الصخر يعتقد أنه استعمل للطواف حول الغزال الجنائزية وتلاوة الصلوات [691]

لقد ذهب البعض إلى القول بأن هذه النوع من الأضرحة من إنجاز محلي أي أن الأفارقة قاموا بتشييدها وأضفوا لها عناصر تزينيه من العمارة اليونانية[692].

•**الدين والمعبودات** : كان المجتمع النوميدي مختلطا، تبلورت فيه عناصر وأنماط حضارية جديدة ف إغريقية، قبرصية، مصرية ...) مما ساهم في تحوله من مجتمع قبلي محلي محدود فكريا ودينيا إلى مجتمع متطور في حوض البحر الأبيض المتوسط وإفريقيا [693]

أ.أسماء بعض الآلهة : قام الباحث ق. كومبس بوضع قائمة طويلة تتضمن أسماء الآلهة التى كانت تعبد في شمال إفريقيا والتي يجب أن يضاف لها عدة أسماء للأرواح الحامية للاماكن (Génies topiques) والتي يصعب التأكد من محليتها.

قد يحدث أن بعض أسماء الآلهة تشرك مع آلهة رومانية لكن أغلبها لا يتجاوز مجال عبادتها بعض الأقاليم المحددة ويصعب في بعض الحالات تمييزها من الأرواح الحارسة للاماكن[694].

-أبادير Abbadir: بمعني الأب الأعلى/ الأقوى وقد يكون ممثلا لأحد الآلهة الرسمية : ساتورن أو بعل حامون.

-أبريتوبتا Abretupta : ربما إله ثانوي مشترك مع الإله أمون.

-أينون Aenon: إله وحامي بلدة في آن واحد. قد يكون من أصل إغريقي.

-أوليسوا Aulisua: قد تكون هذه التسمية مشتقة من الجذر المحلي Awl بمعني الرعاية / الحماية على ... أو إله الخصوبة.

-**أوزيوس** Auzius: النقيشة التى تحمل اسمه تعود إلى سنة 255، لكنها تعبر عن الامتزاج الناجح ما بين المفهوم الليبي للإله والمفهوم الروماني لحامي المدينة(مدينة أوزيا).

---

[691] لحسن، ر.، 1998-1999، مدافن حكام المور والنوميد، دراسة أثرية وتاريخية لأهم الأضرحة المغربية المشيدة في الفترة ما بين القرن الرابع ق.م والسابع م. رسالة ماجستير في التاريخ والآثار, جامعة الجزائر.

[692] فرحاتي،ف.، المرجع السابق ، ص. 315.

[693] نفسه، ص. 295.

[694] Camps, G., 1990, « Qui sont les Dii Mauri ? », *Ant.Afr.,* 26, p. 131-153.

-**بكاكس** Bacax : خاصة بمنطقة جبل طاية بقالمة، تعود كل النقوش إلى القرن 3 م وقدمت من طرف قضاة مدينة تبليس المجاورة ربما بمناسبة ترقيتهم.

-**بعل إدير** Baldir / Baliddir: إله فينقي الأصل تم اعتماده من طرف الأهالي وقد يكون متأثر باللغة الليبية من خلال الفعل Edder/ Iddir بمعني : عاش / يعيش ... والذي يدخل حتى في بعض أسماء الأشخاص. قد يكون هذا الاسم مخصص للإله ساتورن أيضا رغم طابع الليبي البونيقي.

-**بونكور** Bonchor : يعتبر الإله المركزي على النحت الذي للآلهة المورية السبعة التى عثر عليه بمدينة بيجا التونسية. اسم جد معروف بإفريقيا يمكن اقترانه بالآلهة بكور Buccures المذكورة من طرف أرنوب من بين آلهة المور. هذا الزخم من الآلهة يدل على الأقل أن هناك بانتيون (Panthéon) محلي أو جهوي.

-**بوكورس** Buccures: ذكرت فقط من طرف أرنوب من بين ألهه المور وقد يذكرنا باسم الفرعون الليبي الذي سميمن طرف الإغريق ببكوريس Bocchoris

-**كنفاري** Canaphari: إله محلي يمكن اقترانه بالإله مارس أو إله محلي أخر : Sinifere المذكور من طرف كوريبوس ثلاثة قرون بعد.

-**شاليماسي** Chalimace: معروف فقط بمدينة مداوروش

-**كيلينوس** Cillenus: شهد بمدينة تيمقاد فقط وقد يصعب اقترانه بالإله الروماني Sylène أو أحد اسماء ميركور ك كولان Cillenus مع العلم ان الصيغة Cullan/Cullen/ Chullan شهدت في الأسماء الإفريقية

-**داميو** Damio: ربما إله إفريقي يمكن تقريبه بالإله Ceres

-**دراكو** Draco: عبادة الثعبان مؤكد بإفريقيا وذلك على نقوش عدة مناطق

-**فودينا** Fudina من الإلهة المورية المؤكدة وقد يكون لها علاقة بألهة مدينة بيجا وبالأخص إلهة الولادة Vihinam.

-***GDA***: من الصعب تأويل هذه الحروف الأولى ، هناك من ذهب إلى تفسيرها : Giddaba Deus Augustusطبقا لما ورد في أحد رسائل القديس أوغسطين او Genitor Deus Augustus وهي تسمية تخص ساتورن.

-قورزيل Gurzil : ذكره كوريبوس عند قوم يدعى Laguatan وورد أيضا عل كتابة من ليبكيس ماقنا.

-هاوس Haos: ورد فقط على نقيشة من قصيبة (Civitas Popthensis) وتبدو كأنها مجرد تسمية لحامي مكان معين ويبدو أيضا غير محلي بحيث يقترب أكثر بالإسم الدوري (Dorien) للفجر.

-**يومسال** Iemsal: قد يتعلق الأمر في هذه الحالة باسم إله اتخذه الملك هيومبسال اسم إلهي وهذا يؤكد وجود عبادة ملكية في الفترة الرومانية أو عبادة الملوك المتوفيين.

-**ييرو** Ieru: ربما يقترن باسم الهلال عند بعض التجمعات البربرية: التماشاق، زناتة، وادي ميزاب...

-ييسدان Iesdan: اسم محلي إفريقي لا شك فيه.

-Dii Ingirozoglezim: ربما حامي المكان.

-يوكولون Icolon: إله غير معروف خارج نطاق وجود النقيشة بموقع (Naraggara) ويبدوا كاله إفريقي.

-**يوبا** Iuba: نعرف أن الملوك حملوا أسماء دينية لبعض الآلهة وورد أيضا كاسم قبيلة بمنطقة البيبان (Iubaleni)

-**إرسيتي** Irsiti: على نقيشة من عين رقادة مهداة أيضا للإله هراكلس، وهذا الاسم قد يكون اسم المهدي، فلا دليل إذن لتأكيد أنه اسم إله محلي.

-**يونام** Iunam: أحد الآلهة السبعة لمدينة بيحا، ويمكن اعتباره أله إفريقي من طبقة الفرسان وليس تحريف لاسم الهلال. (Lunam)

-ليلييو Lilleo: يمكن تقريبه باسم الإلهة Thililua ونتعرف في هذا الاسم على الجذر البربري Lilu الذي ينطبق على اللمعان والجذر ilil بمعني الشطف

-**ماكورقوم** Macurgum: يظهر فيه الجذر MKR بمعني الكبير المداول في اللهجات البربرية الذي يدخل ضمن عدة أسماء دينية محلية. في هذه الحالة، يبدو الإله كأنه إله معالج بحيث نقش معه كتاب (Volumen) وثعبان ملتف حول عصى.

-**اكورتام** Macurtam: يدخل ضمن آلهة مدينة بيجا السبعة ويظهر هذا الاسم على عدة نقوش ليبية بصيغة MKRD

-**ماسقا(ف)** Masgav(a): بالتأكيد هذا الاسم هو لإله ليبي، حمله أحد أبناء الأقليد ماسينيسا.

-**ماسي** Masi : بمنطقة أبيزار، قد يتعلق الأمر بإهداء للملك ماسينيسا لكن هناك اسماء ألهة من هذا النوع تبدأ ب ماسي : Masiden, Masidice, Marstimanمذكورة من طرف كوريبوس.

-**متامورديس** Mathamodis: وجدت النقيشة بخنشلة ولم يشهد بمنطقة أخرى.

-**ماتيلام** Matilam: من بين الآلهة السبع ببجان هناك من اعتبره من أصب فينيقي (الجذر MTLT) بمعني " رجل الإلهة كايليستيس) لكن هذا يبقى مجرد فرضية

-**ميدمانيم** Midmanim : ذهب البعض إلى اعتبار الاسم المنتهي im عبارة عن جمع لقوم يدعى ميد مان لكن هناك العديد من الأسماء بهذا الانتهاء لا تدل حتما على الجمع.

-**مونا** Monna : معروفة فقط من خلال هذه النقيشة الصغيرة لكن الاسم مداول عند عدة نساء(الجذر Monn) من بينهم أم القديس أوغسطين.

-**مونتيوس** Montius: قد يتعلق الأمر بإله خاص بالجبال لكن طابعه الإفريقي غير مؤكد.

-**موتمانيو** Motmanio: الجذ ور(MTMH / MTMHL/ MRMRSH توجد ضمن عدة أسماء ليبية وعدة أسماء من هذا القبيل وردت في بعض المصادر القديمة.

-**سيزاس / سيزاكس** Sezas/ Sezax قد يتعلق الأمر بروح حامي مكان معين رغم تمركزه في مركز النقيشة المهداة أيضل للإله ميركور.

-**سينيفير** Sinifere: يعتبره كوريبوس كإله محارب

-**سوقان** Suggan: إله محلي قد يعني حسب الباحث س. شاكر " الأسود" واستعمل أيضا لتسمية بعض الأماكن.

-**تليلوا** Thililua: ربما ذكر الصيغة المؤنثة : Lileo بمعني الحظ في اللهجة الشلحية حسب س. شاكر.

-**تيزيانس** Tisianes: مذكورة من طرف أرنوب، وهي بدون شك من الآلهة الإفريقية خاصة من خلال نهاية الاسم ب an المنتشرة في الأسماء المحلية.

-**فانمون** Vanammon: قد يتعلق الأمر بإله ثانوي يدخل ضمن موكب الإله جوبتير أمون الذي كان يعبد بمنطقة قولاس حيث وجدت النقيشة.

-**فاريكالا** Varriccala: هذا أحد صفات الإله بلوتون الذي أهديت به النقيشة، هناك كم اعتبره فينيقي الأصل من خلال تسمية Baricgal أو محلي من خلال علامة النفي البربرية War التى توجد في عدة أسماء الآلهة

-**فارسيس** Varsis : ربما يتعلق الامربنفس الإله: فارسيسيما المذكور على نقيشة بيجا

-**فارسيسيما** Varsissima: إلهة بدون خواص (Attributs) تدخل ضمن الآلهة المورية.

-**فارسوتينا** Varsutina: يذكره تيرتوليان Tertullien كأحد آلهة المور لكن قد يكون له أتباع حتى في نوميديا ومقاطعة إفريقيا كما هو الحال بالنسبة لعدة آلهة مورية

-**فيهينام** vihinam: من بين ألآلهة المذكورة على نقيشة بيجا، قد يتعلق الأمر بإلهة الإنجاب.

•**المعبودات الأخرى**:زيادة إلى الآلهة الكبيرة المحلية والمقتبسة، عبد النوميديون الحجارة والحيوانات والكواكب، والأنهار... الخ.

هناك العديد من الشهادات على عبادة الأحجار وذلك يعود بدون شك إلى فترة ما قبل التاريخ واستمر إلى غاية الفترة المسيحية كما أشرت إليه عدة مصادر.

فالطقوس الدينية النوميدية ضاربة في أعماق ما قبل التاريخ وتتمثل خاصة في عبادة الأرواح الحامية في عدة أماكن كالمغارات وقمم الجبال، في باطن الأرض وعلى الأشجار والمجاري المائية.

يؤكد هيرودوت أن خلال القرن الخامس ق.م، كانت عبادة النجوم متواجدة عند النوميديين

وكانت تقدم القرابين للقمر والشمس.

مع مختلف تأثيرات والاحتكاك بحضارات البحر الأبيض المتوسط، قام النوميديون بتطوير معتقداتهم كما تشهد على ذلك عدة نقوش ومنحوتات على غرار أنصاب مزار الحفرة قرب كيرتا.

من القرن الثالث إلى الأول ق.م، قدموا أنصاب إلى عدة آلهة أبرزهم بعل أمون (Baal Hammon) إله الخصوبة وتانيت (Tanit) الإلهة ألام إلهة أعماق الكون وأيضا الإله بعل إدير إله الصاعقة والأمطار[695]

في الخاتمة يمكن القول أن كما هو الحال لكل شعوب الحضارات القديمة، كان للنوميديين آلهتهم وعقيدتهم وأضرحة جنائزية مختلفة ومتنوعة لكنها كانت على اتصال دائم مع شعوب وحضارات البحر الأبيض

[695] Daho- Kitouni, K., « Présentation de l'exposition « Algérie Numide », *l'Algérie aux temps de royaumes Numides,* p. 103.

المتوسط، فلذلك عرفت تأثيرات مصرية يونانية فينيقية ورومانية وقد تكون بدورها مارست تأثيرات على تلك الحضارات.

يبدو أن القوي الطبيعية كانت تتصدر قائمة المعبودات زيادة إلي بعض الآلهة في المدن والأرواح الحامية في القرى.

4.مظاهر الحياة الثقافية

كما سبق القول في الفصول السابقة، ليس من السهل تناول أغلب جوانب الحياة الاجتماعية وبالأحرى كل ما يتعلق بالثقافة بمختلف أشكالها وتظاهرتها، وهذا راجع أساسا إلى نقص التنقيبات في أغلب مجالات الحياة النوميدية وعدم الاهتمام بالأمور الثقافية من طرف المصادر الأثرية والأدبية.

من مفارقات هذا الجانب، أن نوميديا قدمت الكثير للثقافة العالمية في ذلك الوقت في عدة مجالات وبالأخص في الآداب والبلاغة والشعر، على غرار ابوليوس من مادور وفرنطو و يوبا الثاني....وهذا منذ الفترة البونية إلى غاية اضمحلال السيطرة الرومانية.

أ. المراحل الأدبية في إفريقيا:

طبقا لما ورد في الكتاب المفصل للباحث بول مونصو ,(والذي استمدتا منه ما يلي)[696] يمكن تقسيم مختلف التظاهرات الأدبية إلى عدة مراحل : المرحلة البونية، المرحلة الإغريقية، المرحلة اللاتينية (التى تتضمن بدورها عدة مراحل أو تقسيمات ثانوية) والمرحلة الوندالية وأخيرا، المرحلة البيزنطية. تهمنا بالدرجة الأولى المرحل الأولى (البونية والإغريقية) التى مهدتا الطريق لعدة أنواع من التعابير الأدبية خلال العهد الروماني وأغلب روادها استعملوا حتى في أواخر الفترة الرومانية.

–المرحلة البونية:

توجد بمدينة قرطاج مكتبة مليئة بالكتب البونية عندما استولى عليها سيبيون الإفريقي (Scipion l'africain). لم يتمكن الرومان من فهم كل هذه الكتب، وبذلك قدمها مجلس الشيوخ الروماني لملوك نوميديا الذين كانوا حلفائه خاصة الملك مكيبسا.

---

[696] Monceaux, P., *Les auteurs latins d'Afrique*, (la littérature latine d'Afrique), Alger, p. 109-112, Monceau, P., 1894, *Les Africains, Etude sur la littérature latine d'Afrique, les païens* Vol I, Paris p. 123- 132.

.

قرون بعد ذلك أي إلى غاية نهاية العهد الروماني، كانت تقرأ هذه المصادر الأدبية المكتوبة للأدب القرطاجي واستعملت خاصة من طرف سالوست (Salluste) والملك يوبا الثاني وافينوس (Aviennus) والقديس أوغسطين (St Augustin).

أقدم هذه الأدلة الأدبية تتعلق بالملك هانون (Hannon) نهاية القرن 6 ق- م الذي قام برحلة استكشافية في السواحل الغربية للبحر الأبيض المتوسط إلى غاية السنغال الحالي. تمت ترجمة ما كتب على هذه الرحلة إلى اللغة الإغريقية ووصل إلينا بهذه الطريقة.

ذكرت رحلة استكشافية أخرى في كتاب هميلكون (Himilcon) المذكور من طرف أفينوس (شاعر روماني من القرن 4 م).

يبدوا أن الكتابات التاريخية هي التى كانت في المرتبة الأولى واستغلها خاصة الملك يوبا يوبا لكتابة " تاريخ ليبيا "، في حين استمد المؤرخ سالوست معلوماته من مدونات الملك هيومبسال خاصة فيما يتعلق بحرب يوغرطة (الجزء 17) والتقاليد المحلية المتعلقة بأصل الأفارقة.

كما بقيت أبحاث ماغون (Magon) المتكونة من 28 كتاب تخص كلها المجال الفلاحي المترجم من طرف الروماني سيلاموس (D. Silanus) بعد مسابقة بمقتضى أمر صدر عن مجلس الشيوخ ثم ترجم إلى اليونانية من طرف أحد سكان مدينة أتيكا : كاسيوس ديونيزوس (Cassius Dionysos) أستعمل بجدية من طرف كل من الكاتب فارون (Varron) والكاتب بلين في هذا الصدد، وللتعبير عن أهمية هذه الأبحاث، قال الكاتب كوليمنال (Columnelle) : " نحبذ عمل القرطاجي ماغون لأنه أب الاقتصاد الريفي".

يتبين إذن أن أقل ما يمكن قوله عن الأدب القرطاجي، إنه خليط من المشاعر الدينية والانشغالات التقنية.

من جهة أخرى، طبقا لما ورد في مقال الأستاذ محمد خير أرفه لي "كل مظاهر الحياة النوميدية تدل على وجود تداخل كبير في عدة مجالات خاصة المجال الجنائزي والثقافة والفن بين النوميديين، بحيث يصعب التمييز أحيانا بين ما هو نوميدي وما هو بوني. وكل هذا ناشئا عن الروابط القوية بين الطرفين 697"

---

[697] أرفه لي، م.ح.، 2007، *جوانب من المبادلات الثقافية والفنية والمعمارية بين البونيين النوميديين خلال النصف الثاني من الألف الأول ق.م*، "كتالوج " معرض الجزائر النوميدية، ص . 47.

-المرحلة الإغريقية:

بعد سقوط قرطاج، أصبحت لغتها مجرد لهجة محلية ولم يتم استبدالها باللغة اللاتينية التى لم تكن جاهزة ومازالت محتقرة من طرف بعض المثقفين حتى بروما. كانت اللغة اليونانية هي التى استعملت بدلا من البونية. بعض الأفارقة على غرار هسدروبال (Hasdrubal)، غادروا موطنهم مع بداية الحرب البونية الثالثة (149- 146) لمتابعة فلاسفة اليونان، ثم أصبح يدرس لحسابه وآلف أكثر من 400 كتاب باللغة اليونانية. بعده، اعتمد أغلب المثقفين هذه اللغة كما هو الحال لمترجم ماغون ويوبا الذي يعتبر أكبر المؤرخين بين الملوك حسب بلوتارك (Plutarque) فيلسوف روماني من أصل إغريقي 46- 125 م. ثم نظرا لأهمية ومكانة الملك العالم يوبا الثاني (25 ق- م / 23 ب – م)، نخصص له فقرة طويلة نوعاما.

كتب الملك يوبا الثاني تقريبا على كل المواضيع (الشعر، بحوث في الجغرافيا والقواعد والمسرح والفنون والتحف القديمة لروما) استلهم منه كل من بلين وأبيان (Appien) وديون كاسيوس Dion) (Cassius وأتيني (Athénée) ثم بلوتارك وكان الجميع يشهد له بالبراعة ويذكرونه دائما بمصطلحات المدح، لأنه أكبر ممثل للأدب الإغريقي بشمال إفريقيا[698]. بقي إلى حد اليوم أحد عناوينه ليبيكا (Libyca) متداول من خلال المجلة المشهورة.

من خصائص إنتاجه الفكري: الفضول المتدين، الطابع الوصفي العميق، الميول إلى الدقة، السعي وراء المفيد والتعلم الجيد.

لم يكتف هذا الملك بالحكم والعرش بحيث اهتم بكل معارف زمنه واشتهر بأعماله العلمية أكثر مما عرف بحكمه كما يقول بلين القديم.

كان جد محترم من طرف العالم الهيلينستي كعالم ومثقف وباحث في كل ابتكارات ذلك الوقت مما أدى بالإغريق لإهدائه تمثالا قرب مكتبة قاعة جمباز بتوليمي بمدينة بوسانياس (Pausanias) اعترافا بانجازاته العلمية. اتفق كل علماء زمنه وما بعد على ذكائه بدون لا تضاهى وكان يعتبره بلوتارك كأحسن مؤرخ من بين الملوك ومن بين أفضل العلماء المؤرخين لليونان.

---

[698] Coltelloni-Trannoy, M., 1997, *Le Royaume de maurétanie sous Juba II et ptolémée (25 av JC- 40 ap JC)*, CNRS, Paris.

كرس حياته كاملة لدراسة الآداب خاصة خلال إقامته الطويلة بإيطاليا بحيث سمحت له بالاحتكاك والتقرب من أشهر المكتبات، بالمناسبة، اهتم بالشعر. كما بحث في مكتبات قرطاج الشهيرة حيث زود ذاكرته بمعلومات حول الجغرافيا والتاريخ والعلوم الطبيعية بصفة عامة والفنون والشعر والبلاغة وعلم اللغات اللاتينية واليونانية.

لإثراء مكتبته التى تحتوي على بعض الوثائق البونيقية الموروثة من جده هيومبسال(Hiempsal)، اقتنى مخطوطات مكتوبة بالإغريقية واللاتينية والبونيقية. استنجد بعدة ناسخين ومساعدين أكفاء لرصد كل المعلومات من الكتب القديمة في طريق الانقراض. كانت في حوزته النسخة الأصلية لرحلة حانون واسترجع كتب مكتبة قرطاج التى تخل عليها الرومان لصالح أمراء عائلته وحاول إثراء محتوياتها بمعلومات جديدة وملموسة.

بعد ما أطلع على كتب بونيقية حول منابع نهر النيل، نظم رحلة استكشافية للتحقق عن مختلف الافتراضات حول مصدرها وحسب بلين، توصل الملك إلى أن منبعها من المغرب الأقصى الحالي. قام أيضا بإرسال بحارة إلى جزر الكناري للحصول على معلومات وافرة حول النباتات والحيوانات

كان يتمتع بقوة عمل خارقة للعادة وخصوبة فكرية غير محدودة وكان يعادل أو يفوق علماء وأدباء وقته في المعرفة الواسعة للعالم اليوناني واللاتيني.

للأسف لا نعرف إلا تسع عناوين من كتبه وحسب فولقانس (Fulgence) يكون قد ألف أكثر من ذلك وحسب سويداس (Suidas) كانت الإغريقية اللغة المفضلة عنده وبها كتب كل كتبه ولا نتعرف عليها إلا من خلال بعض النصوص والمقتطفات الصغيرة ذكرت من طرف بلين القديم بلوتارك أو آتيني (Athénée).

من أهم إنتاجه العلمي، نذكر ليبيكا (*Libyca*) المؤلف سنة 6 م والذي يتكون على الأقل من ثلاثة كتب تتناول مواضيع مختلفة: الجغرافيا، التاريخ الطبيعي، الأساطير...ويكون قد أدرج فيه معلومات التحقيق حول نهر النيل وجزر الكناري...ويكشف لنا المعجمي Etienne de Byzance كتاب أخر ليوبا الثاني ويتعلق الأمر بعنوانين : التاريخ الروماني وعلم الآثار الروماني يتناول فيهما عدة قضايا تاريخية رومانية.

البحث بعنوان " أوجه التشابه " واسع جدا ويجمع ما بين 15 كتاب على الأقل تسلط الضوء على بعض أوجه الحياة الرومانية الخاصة والعامة والتلميح إلى أصولها اليونانية. خصص أيضا كتاب تحت عنوان "

بابليونيكا (*Babyloniaca*) للشعوب الأشورية و" أرابيكا" (*Arabica*) لشعوب الهند, خليج الفرس، البحر الأحمر، مصر، إثيوبيا ....

كتب عدة بحوث تضم 8 كتب تتعلق بالأدب والفنون، والرسم وعلى تاريخ المسرح 17 كتب تخص الآلات الموسيقية لعدة بلدان، الرقصات اليونانية والمثليين وبحث أخر في كتابين خاص بفساد اللغة.

باختصار فالملك يوبا الثاني شخصية علمية لا مفر منه في بداية القرن الأول ميلادي في إفريقيا وفي محيط البحر الأبيض المتوسط الشرقي، ليس هناك شك في أن عددا كبيرا من العلماء والأدباء استلهموا أعمالهم من كتبه. من بين هؤلاء، نجد بلوتارك، تيت ليف، بلين، أسينيوس بوليون، أبيان... فقهاء اللغة من القرن الثاني والثالث ميلاديين أمثال بولوكس (Pollux)، هربوكراسيون (Harpocration)، آتيني، أشاروا إلى أعماه في فقه اللغات. الخبير في علم الحيوانات من عهد سبيتم سيفير أيضا، والعديد من الباحثين تطرقوا إلى أبحاثه في عدة مجالات وأوقات. [699]

بعد يوبا الثاني، برزت عدة شخصيات أدبية بإفريقيا البروقنصولية وبنوميديا (فرنطو، كورنيتيوس، ابوليوس، تورتيليان ....) وحتى الإمبراطور سيبتيم سيفير قام بالكتابة باليونانية، لكن في الحقيقة اضمحلت مكانة هذه اللغة وعوضت باللاتينية منذ منتصف القرن الأول ميلادي وأصبحت اللغة الحية للأدب الإفريقي.

تجدر الإشارة أن التواجد الثقافي للحضارة الإغريقية ليس فقط من باب الظاهرة الهلينية أو الولاء للفكر الإغريقي للملك ماسينيسا وأبنائه بقدر ما هو اختيار ثقافي وتبني لنمط حضاري جد متقدم وورائه اختيار سياسي يوفر إمكانية المشاركة في العلاقات الدولية وهي بطريقة غير مباشرة وسيلة لضمان اعتراف ورضاء روما للملك ماسينيسا واعتباره على قدم المساواة مع ملوك الجوار.[700]للمزيد من التفاصيل حول هذه الشخصية البارزة ومختلف مؤلفاته، يمكن الرجوع الى المراجع المذكورة في الهامش[701].

---

[699]Gsell, S., 1896, *Guide archéologique des environs d'Alger (Cherchell, Tipaza, Tombeau de la chrétienne)*, Alger, http://nacerboudjou.over-blog.com/article-35854913.html.

[700] Aoulad Taher, M., 2004, « l'Hellénisme dans le royaume Numide au II eme siècle av JC », *AntAfr.*, N° 40-41, p. 40.

[701]بن شنهو، ع.ح.، 2007، *الملك العالم يوبا الثاني وزوجته كليوباطرة سيليني*، الجزائر،

Gsell, S., *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, 8 vol. (1913-1928), Gaid, M., *Aguellids et Romains en Berbérie*, Alger, Lahlou, J., 1999, *Moi,* 1972, 1972,

- المرحلة اللاتينية

أكثر من قرنيين قبل بروز اللغة اللاتينية، كان هناك كاتب يدعى تيرونس (Terence) كانت له مكانة مرموقة في الأدب اللاتيني وكان من مواليد قرطاج سنوات بعد وفاة حنيبعل 183 أو 181 ق.م. تم اختطافه ثم أعتيق من طرف أحد أعضاء مجلس الشيوخ: تيرونتيوس لوكانوس (Terentius Lucanus) . كتب عدة مؤلفات باللاتينية لكن لا شيء يوحي بأنه إفريقي الأصل.

على كل، الفترة التي تخص بحثنا تكون قد تكون جد متأثرة بالإنتاج الفكري والأدبي خاصة للمرحلتين الأوليتين، لأن الملامح الأصلية للأدب اللاتيني الإفريقي لم تظهر إلا مع بداية القرن الأول ميلادي خاصة في مجال الشعر والنثر.

بطبيعة الحال، تبقى قضية الإنتاج الفكري مرتبطة باللغة المستعملة، والكل يوحي بأنها كانت شفهية إلى بعد كبير كما هو الحال حاليا تقريبا في كل ما بتعلق بالآداب والتظاهرات الفنية الأخرى.

ب. اللغة والكتابة

باستثناء اللغة البونية، يبدوا أن السكان لم يتكلموا إلا اللغة الليبية وكانت على شكل لهجات كما هو الحال بالنسبة للأمازيغية حاليا ولم ترتق ولا واحدة إلى درجة لغة، بحيث تبنى كل من سيفاكس وماسنيسا ثم خلفائه اللغة البونية كلغة رسمية كما هو الحال للعربية في القرون الوسط، وظلت هذه اللهجات من اختصاص النساء لتلقينها للأطفال، في الوقت الذي التفت أغلب المهتمين بالأدب والعلم إلى اللغة البونية[702].

بطبيعة الحال، هذا لا يعني أن النوميديين ليست لديهم لغة خاصة، فالشواهد المادية المتمثلة في النقوش الليبية كثيرة جدا لكن لم تتحدث عنها المصادر الإغريقية ولا اللاتينية، باستثناء فولقنس

Juba roi de Maurétanie, Paris, Daoud, Z., 2014, *Juba II roi, savant et mécène*, Rabat.

[702] Gsell, S., 1927, *HAAN,* VI, *les royaumes indigènes, vie matérielle intellectuelle et morale*, Paris p. 93, 94.

(Fulgence) في العهد الوندالي الوحيد الذي ذكر وجود 23 حرف وهذه النقوش درست من طرف عدة باحثين.[703] ثم بعد ذلك من طرف العديد من الباحثين الجدد أمثال قالون (L. Galand) وشاكر (S. Chaker) وكومبس (G. Camps) وغاكي منصور(M. Ghaki) .

هذه النقوش منتشرة بصفة متفاوتة من منطقة لأخرى وهي موجودة خاصة بالشرق الجزائري وغرب تونس، ضواحي قسنطينة ومنطقة القبائل وحتى عينة بمنطقة سناي (Sinaï) بمصر وجذر الكناري.[704]

أعطيت الأهمية للبعض منها خاصة تلك التى تتميز بازدواجية اللغة والتي يمكن تأريخها كما هو الحال بالنسبة للنصين الذين وجدا بموقع دوق (Dougga)، الأول على ضريح ماسينيسا سنة 139 ق. م والثاني على ضريح بوني تقريبا من نفس التاريخ[705]. هذه الكتابة أبجدية من النوع الذي يعتمد على الحروف الساكنة منذ فترة فجر التاريخ وأقدم النقوش يمكن تأريخها بالقرن السادس ق. م حسب الباحث كومبس[706].

هذه النقوش تشهد على استمرارية الكتابة خلال الفترات التاريخية القديمة (البونية والرومانية) من خلال ازدواجية اللغة الليبية تارة مع البونية وتارة أخري مع اللاتينية، لكن رغم ثبوت وجودها إلى غاية نهاية الفترة القديمة، لم تذكر من طرف مصادر القرون الوسطى مع العلم أن هذه المصادر كانت جد جدية ولا يمكن أن تمر مرور الكرام أمام هذه الكتابة ومن هنا نستنجد أنها خرجت من نطاق الاستعمال مع استقرار العرب بشمال إفريقيا إبتداءا من القرن الثامن ميلادي.

استمر استعملها عند الطوارق وتسمي تفيناغ وتستعمل خاصة لأغراض اللعب والمتعة في كل ما يتعلق برسائل الحب، ألعاب اللغة...) أو رمزية (علامات الملكية أو إمضاءات) ونفس الوضع خلال الفترة

---

703 Gsell, S., *HAAN*, VI, p. 94, 95

704 *Ibid*, p. 96.

705 *Ibid*, p. 96-97.

706 Chaker, S. 2008, « Libyque : écriture et langue », in Salem Chaker (dir.), *28-29 / Kirtēsii – Lutte*, Aix-en Provence, Edisud (« Volumes », no 28-29), [En ligne], mis en ligne le 01 juin 2013.

القديمة فيما يخص بالاستعمال المحدود، بحيث كان أيضا يقتصر على الجانب الجنائزي والنذري أو بالجانب الديني والسحري.

استعمالها في بعض الإهداء للملوك من طرف بعض الأهالي، يؤكد نوعا ما طابعها " الوطني" زيادة إلى الرقعة الجغرافية التي يشغل انتشارها.

تتميز هذه الكتابة بعدم وحدتها، بحيث نجدها على شكل عدة متغيرات. ففي الفترة القديمة، يمكن تحديد على الأقل 3 أبجديات مختلفة، الشرقية والغربية وأبجدية الصحراء التي يصعب تحديد تاريخها مع وجود بعض المتغيرات الأخرى لا تدخل ضمن هاته التقسيمات التقليدية.

فيما يخص بالفترة المعاصرة، فعند الطوارق مثلا، تستعمل كل قبيلة أبجدية مختلفة شيء ما بما هو متداول عند الجيران وهذه الاختلافات تكون قد سادت في كل الأزمنة مما صعب تأسيس معايير كتابية وتقلب تتماشى والتغيرات التي تميز كل متغير لغوي

أصل اللغة أيضا يتسم بالغموض والجدال. بدي ذي بدء، يمكن القول الأصل المحلى مستبعد لعدم وجود تقاليد كتابية ما قبل الأبجدية بالمغرب، فكل المؤشرات توحي بتشكيل داخلي تحت تأثيرات قوية للأبجدية السامية، ربما الفينيقية بفضل الاحتكاك ما بين الشعوب. ففي هذه الحالة، أي قرض من الأبجدية الفينيقية أو أحد متغيراتها، فتأريخها يكون بعد الاستيطان الفينيقي بشمال إفريقيا نهاية الألفية الثانية[707].

هناك من ذهب إلى القول بأن أصل الكتابة إنما يرجع إلى تلك الأشكال الهندسية المستخدمة على الرسومات الحجرية أو على الفخار أو الوشم أو المنسوجات[708]. يتجلى ذلك خاصة من خلال استعمال بعض الرموز كالصليب والنقاط والدوائر وخطوط متوازية ربما ترجع إلى العصر الحجري الجديد[709].

يري الباحث كومبس أن العلاقات بين الصفة الغربية للبحر الأبيض المتوسط وشبة جزيرة إيبريا تكون قد ساهمت في تطوير الكتابات الليبية والكنارية وجنوب غرب إسبانيا[710].

---

[707] Chaker, S., *Libyque* …op cit.

[708] Bates, O., 1919, *The eastern Libyans*, London, p. 85- 86.

[709] Gsell, S., *HAAN*, VI, p.101 in ف فرحاتي، نوميديا من حكم الملك جايا إلى بداية الاحتلال الروماني 213 ق. م – 46 ق. م الجزائر 2007، ص. 319.

[710] Camps, G., 1961, p. 274.

للمزيد من التفاصيل حول مسألة الأبجديات وأصولها وخصوصيات هذه الكتابات المنتشرة في كل أرجاء شمال إفريقيا، أنظر دراسات الباحث ل. قالون وبالأخص[711].

كما يقول الباحث قالون، فللثقافة الليبية خلفية مشتركة رغم الاختلافات الشكلية، هذا ما نلاحظه من خلال وحدة الكتابة ووجود حروف متشابهة في مختلف الأبجديات، لكن في هذه الرقعة الجغرافية الواسعة المعروفة بتحركات بشرية متبوعة بطبيعة الحال بحركية مستمرة للمعتقدات والأفكار بتحفيز المساهمات الخارجية. يظهر إذن أن تراكب المجموعات البشرية أدى بصفة طبيعية إلى تراكب التظاهرات الثقافية. فالكتابة الليبية، رغم النقص الذي مازال يسودها تبين لنا إفريقيا موحدة في إطار حركة مستمرة وحدود جغرافية ليست أقل سيولة للكتابة والدول القائمة[712].

ت. التقاليد والعادات والأعراف

لا شك أنه ليس من السهل التعرف على كل تقاليد الفترة النوميدية ولا حصرها في فترة زمنية محددة أو في ميدان معين لأن أغلبها متجذرة في أعماق التاريخ وقد تكتسي طابع أسطوري نظرا لارتباطها بعدة مجلات (الولادة، الزواج، تقاليد مرتبطة بالبناء، حفر الآبار...)، عادة ما يغلب عليها الجانب الخرافي مما يصعب الفرز بين الحقيقة والخيال.

زيادة إلى ذلك، فكل ما دون على النوميديين إنما كان على يد كتاب أجانب من العالم الإغريقي اللاتيني لا تهمهم الموضوعية العلمية وحقيقة بعض الممارسات التى وصفت بشيء من الغرابة بطبيعة الحال، ترتبط أغلب العادات والتقاليد بالجانب الجنائزي الذي يقدم لنا معلومات من خلال البقايا الأثرية التى عثر عليها وما ورد في المصادر القديمة.

من بين هذه التقاليد أو الممارسات الجنائزية الكثيرة والمتنوعة، يمكن ذكر ما يلي كمجرد أمثلة من البعض:

-تقاليد الوشم

يقول قزال أن عادة تزين الجسد برسومات استمرت منذ فترة ما قبل التاريخ كتلك التى وجدت على أجسام بعض القادة الليبيين التى زينت بعض المعالم المصرية من الألف الثاني، لكن ليس من السهل التعرف إذا يتعلق الأمر بطلاء عادي أو وشم لا يمحى. قد نجد الإشارة إلى مثل هذا الوشم على

- ف فرحاني، المرجع السابق، ص320.

711 Galand, L., 1989, « Les alphabets libyques », *AntAfr.*, 25, p. 69- 81.

712 Galand, L., *Les alphabets* ...op cit, p. 81.

جبهات النساء عند الشاعر البيزنطي كوريبوس (Corripus) وأيضا في مصدر أخر ألا وهو الكاتب الإفريقي من القرن الخامس كاسيوس فليكس (Cassius Félix) وهنا بالتأكيد، يتعلق بالوشم عند المور من خلال مصطلح (Stigmata Characteres) ومن خلال وصف طرق إزالتها يبدوا أن هدف هذا الوشم كان أصلا للحماية، فهي إذن بمثابة طلاسم دائمة (Amulettes permanentes)، لكن مع مرور الوقت أصبح مجرد تزيين على مختلف أجزاء الجسم وهو مستعمل خاصة في القرى.

ذهب البعض إلى القول بأن بعض أوشام تونس ما هي إلا تجسيد لرمز تانيت، لكن هذا يبدوا مجرد وهم وبعض الرسومات على شكل نجوم داخل أهلة، توحي بأنها تأثيرات قرطاجية، لكن إذا ثبت أن أغلب الأوشام تعود إلى الفترة القديمة لا يمكن على ضوء المعطيات الحالية تأكيد ذلك [713].

-تقاليد متعلقة بطرق تصفيف الشعر

لا توجد أدلة كافية للقول بأن الليبيين اعتمدوا أو قلدوا ما كان موجود عند المصريين القدماء من حيث بعض أساليب وخصوصيات تسريحة أو تصفيف الشعر. من المعروف أنه من المعتاد حلاقة كاملة للجمجمة، لكن هناك بعض الطرق تذكرنا بالفتيلة أو الجديلة الجانبية للأفارقة القدماء.

في القرن الخامس، قام هيردوت بوصف طرقة تصفيف الشعر عند بعض شعوب منطقة سيرت (Syrtes) و تيرتوليان (Tertullien) يخبرنا كيف كان النوميديون يحلقون شعرهم إلى غاية الجلد باستثناء أعلى الجمجمة حيث يربطون ما يسمى " بذيل الحصان " (La queue de cheval) التى تدخل ضمن طرق تصفيف شعرهم. والغريب في الأمر أن كل العملات التي تم سكها بنوميديا وموريتانيا منذ القرن الثالث ق.م، إلى غاية القرن الأول ب – م، لم تبين هاته الطرق الغريبة بحيث يظهر عليها الشعر قصير وغير مجعد. ماسينيسا وسيفاكس يظهرون بتجاعيد كثيفة وتصفيف الشعر للملك يوبا الأول (Juba 1er)وصفها بسخرية الكاتب كيكيرون (Ciceron).

نصوص أخرى تذكر أن الأهالي يتميزون بشعر طويل، فحسب سترابون (Strabon)، تتمثل أحد طرق التجميل في طريقة الشعر وصيانة اللحية ونوعية الحلي وتنظيف الأسنان وقطع الأظافر.

713 Gsell, S., *HAAN*, VI, p. 14-15.

طريقة أخرى ذكرت من طرف مارسيال (Martial) كأحد خصوصيات الموريين وتتمثل في الشعر الملت[714].

يقول مثل شعبي مغربي بأن " الذقن الحليق ليس لبربري " فبصفة تقريبا كلية، كل الأشخاص ملتحون وأفضل الأمثلة على ذلك: ماسينيسا، سيفاكس، المحاربين المنقوشين على أنصاب منطقة القبائل...وفي أغلب الحالات تظهر مدببة. هذا ما تؤكده منحوتات عمود تراجان (Colonne Trajane) وعملات يوبا الأول.[715]

-تقليد حمل القضيبة (Etui phallique)

تظهر على معالم مصرية من الألفية الثانية، ليبين من الشرق يحملون قضيبهم في حالات (Etuis) قد تكون من الجلد لكن بالنسبة للفترات التاريخية، لم تعرف ولا حالة واحدة، ربما تم التخلي عن هذا الإجراء في وقت مبكر.[716]

-تقليد حمل التمائم (Le port d'amulettes)

منذ العصر الحجري وإلى يومنا هذا، حمل الأفارقة أدوات تزينيه وهي في الحقيقة تمائم يعتقد أنها تضمن الحماية الصادرة عن الآلهة أو الأرواح الحامية[717].

-تقاليد أو عادات الدفن

عرفت مختلف عمليات الدفن عدة أنماط وبني أو أماكن ووضعيات جنائزية متعددة الأشكال، كما اعتمدت شعائر دينية متنوعة كتعرية الجسم من لحمه(Décharnement)[718] أو الترميد (Incinération) عرف هذا الإجراء بقرطاج منذ القرن الخامس لكن يبدوا أنه غير ممارس في نوميديا ثم وصلت إلى المدن الساحلية واعتمدها أيضا العائلات الملكية في كل من ضريح الخروب والمدغاسن[719].

---

[714] *Ibid*, p. 17-19.

[715] Ibid p. 20-21.

[716] Gsell, S., *HAAN*, VI, p. 22.

[717] *Ibid*, p. 24.

[718] Picard, GC., 1954, *Les religions de l'Afrique antique*, Paris, p. 3-4.

[719] Camps, G., 1979, « Les Numides et la civilisation punique », *AntAfr.*, 14, p. 52.

وفيما يتعلق بظاهرة تقديم القرابين لروح الأموات، فهذا يلاحظ خاصة من خلال ما وجد في مختلف المدافن (أواني فخارية، مواد غذائية، بقايا عظمية ....) أو ما دون على النقوش الجنائزية[720].

-**الحضانة** (Incubation)

للكشف عن بعض أمور المستقبل، لجأ النوميديون إلى عدة عمليات أحدها تتمثل في عملية الحضانة. فحسب هيرودوت، يلجأ النازامون (أحد القبائل) إلى الرقود فوق قبور أجدادهم وذلك بعد الصلاة ويمتثلون بما يأتي في الحلم.

يقول المؤرخ بروكوب بأن عند الموريون، يمنع للرجال بالتنبؤ لكنه مسموح بالنسبة للنساء ويقال إن أم ماسينيسا من بين النساء التى باستطاعتها التنبؤ.

أشار كوريبوس أيضا إلى ظاهرة تنبأ الأفارقة بالمستقبل من خلال أحشاء الضحايا

بطبيعة الحال، هناك العديد من العادات والتقاليد كانت متواجدة منذ العصور الغابرة على غرار الاحتفال بالسنة الفلاحية " يناير" وكل الأعراف المرتبطة بهذه الاحتفالية من منطقة لأخرى.

فالمظاهر الثقافية جد متعددة، البعض منه يجسد ماديا من خلال الفنون المختلفة والكتابة والبعض الأخر أكثر خفية يلمح إليه من خلال بعض التظاهرات اللامادية يصعب إدراكه خاصة في ظل نقص المراجع والمصادر الجدية وغياب الحفريات الأثرية

[720] طه البشير،1963، *تاريخ الأديان وفلسفتها*، بيروت، ص. 219

الخاتمة

1. تطرقنا في المحور الأول الى التاريخ السياسي والعسكري لبلاد المغرب القديم قبل الاحتلال الروماني، في الفترة الممتدة من نهاية القرن الثالث ق.م الى غاية النصف الاول من القرن الأول الميلادي، ولعل اختيارنا لهذه الفترة يعود لكونها فترة مهمة في تاريخ العالم القديم الذي شهد صراعا قويا بين الحضارتين القرطاجية و الرومانية، حيث تعرفنا من خلال هذا الصراع على الأنظمة السياسية التي اقتسمت الشمال الافريقي القديم، والتي تمثلت في المملكة النوميدية و المملكة الموريطانية ،وذلك من خلال مشاركتها في الرهانات السياسية و العسكرية التي عرفها الحوض الغربي من المتوسط، حيث اصبحت الانظمة الليبية القديمة طرفا فاعلا في الحرب البونية الثانية ، وايضا في سلسلة الحروب المدنية الرومانية ومن جملة النتائج التي توصلنا اليها في نهاية هذه الدراسة :

-ان جل المعلومات المتوفرة حول التاريخ السياسي لمنطقة الشمال الافريقي القديم تعود الى احداث القرن الثالث ق.م، حيث كل ما كتب حول تاريخ الممالك الامازيغية قبل هذا التاريخ يعد من باب الفرضيات.

-ان معارفنا حول تاريخ بلاد المغرب القديم في الفترة القديمة مستمدة اساسا من كتابات صادرة من اطراف خارجية اغريقية ولاتينية فهي بذلك كتابات بعيدة عن الواقع المعاش و الحقيقة كونها صدرت عن مؤلفين يجهلون تاريخ و شعوب المنطقة، ولهذا فان كتاباتهم جاءت مليئة بالخطابات الرسمية اي انها كانت نافذة لتمرير الخطاب الرسمي للدولة الرومانية، ولا براز عظمة الرومان وشرعية تواجدهم بالمنطقة، ولا تأخذ بعين الاعتبار الخصائص الجغرافية التاريخية و الاجتماعية لبلاد المغرب القديم، كما انها كتابات لا تخلو من الاحكام المسبقة.

-احتفظت لنا النصوص الاغريقية واللاتينية بأسامي وانجازات ملوك الأفارقة الذين شاركوا في حروب مختلفة كالحرب البونية الثانية او الحروب المدنية الرومانية.

-دخل الملوك الامازيغ في سياسة التحالفات مع القوى المتحاربة، وبموجب هذه السياسة قاموا بتوفير القوات العسكرية التي سخرت لخدمة أحد أطراف القوى المتحاربة من قرطاجيين او رومان.

-كان الحصول على الدعم العسكري النوميدي سببا كافيا للتنافس بين القرطاجيين او الرومان، أو بين قيصر وبومبي.

-شارك الملوك الامازيغ في حروب مختلفة لا لشيء الا للدفاع عن وجود ممالكهم واراضيهم، هذا ما يتضح على سبيل المثال في الخطاب الذي وجهه بوكوس الاول لسولا، وقبله ماسينيسا الذي فضل التحالف مع قوة اجنبية خارج الاراضي الافريقية، للقضاء على الوجود القرطاجي في افريقيا ومن ثم بناء مشروعه الحضاري الافريقي.

- من رموز السيادة في الممالك الافريقية الجيش الذي شكل الدعامة الاساسية لتطبيق النظام واستمراريته. خدمت الجيوش النوميدية والمورية لصالح قضايا خارجية، ونذكر هنا مشاركة الملك ماسينيسا روما في معاركها ضد قرطاج، ومشاركة بوكوس الثاني وبوغود قيصر في حربه ضد يوبا الاول.

-من رموز ومعالم السيادة نذكر المدن التي اختلف تصنيفها باختلاف المهام والوظائف المنوطة بها حيث نجد مدن عواصم ملكية، مدن الخزينة، مدن الاسواق، مدن التي قامت بضرب العملة.

-توفرت المدن في بلاد المغرب القديم على تنظيم إداري أصيل هذا ما كشفت عنه نقوش مدينة دوقة النوميدية.

-بالرغم من وجود المدن في بلاد المغرب القديم استمر تواجد القبيلة والكنفدراليات القبلية التي أدت دورا سياسيا مهما في تاريخ بلاد المغرب في المرحلة القديمة، فقد حرص الملوك على ضمان الاتصال وضمان التحالف مع مختلف زعماء القبائل.

-سقوط الأنظمة السياسية في المنطقة بعد صمودها الطويل امام السياسة الرومانية، فقد استمرت المملكة النوميدية في الوجود بعد ماسينيسا ازيد من قرن من الزمن الى غاية عهد يوبا الاول الذي مثل عهده نهاية الوجود المستقل للممالك النوميدية.

ارتبط مصير المملكة المورية بالرومان منذ الملك بوكوس الاول، الذي ربط علاقات

تحالف مع الرومان، حيث تحصل على اراضي الملك يوغرطة وعلى لقب حليف وصديق الشعب الروماني بعد الدور الذي قام به في احداث حرب يوغرطة، غير ان علاقات الصداقة التي ربطت المملكة الموريطانية بالشعب الروماني او بالقادة الرومان لم تمنع تعرض موريطانيا لنفس مصير المملكة النوميدية.

-بتنصيب يوبا الثاني على عرش موريطانيا تبدأ مرحلة جديدة من التاريخ السياسي للكيانات الوطنية، وهو مرحلة الممالك التابعة والخاضعة للنفوذ الروماني.

-قام الرومان بكبح عجلة التطور الحضاري للممالك الامازيغية وعملوا على إلحاق بلاد المغرب القديم بممتلكات الامبراطورية الرومانية، وذلك بدءا من الأراضي النوميدية في 46ق.م، ليأتي بعدها دور الأراضي الواقعة في أقاصي بلاد المغرب بعد ان أنهى الرومان وجود أخر الكيانات الامازيغية المستقلة وان كان استقلال مملكة يوبا الثاني وبطليموس شكليا عن الرومان، فقد فضل الامازيغ سلطة يوبا الثاني وابنه بطليموس على السلطة الرومانية المباشرة التي من شانها خلق تنظيمات وقوانين جديدة تقضي على استقرار ونشاط القبائل في المنطقة.

2. أما بخصوص الاقتصاد، يمكن القول إن الممالك النوميدية عاشت تذبذبا اقتصاديا فرضته العديد من التغيرات السياسية والعسكرية في المنطقة، لكن المجهودات التي بذلها العديد من ملوك نوميديا حققت تطورات هامة في مختلف الإنجازات الاقتصادية وحتى في جوانب أخرى ذات الطابع الثقافي والسياسي حسب ما جاء في ا المصادر الأدبية والمادية التي تصف كلها المستوى التطوري الذي عرفته هذه الممالك منذ نشأتها، وهي الصورة التي تعكس درجة الرقي والمكانة الأساسية التي كانت تحتلها في أنظار العديد من الشعوب.

وكان مجمل اقتصاد الممالك النوميدية القديمة مرتكزا على الجانب الزراعي كما هو الشأن عند مختلف الحضارات القديمة، هذا بالإضافة إلى الجانب الصناعي وممارستها للتجارة مع الدول المجاورة كقرطاجة وروما، وقد عثرنا على مجموعة من العملات النقدية للملوك مثل سيفاكس وهذا بالإضافة إلى إبنه فيرمينا الذي خلفه في إدارة مملكة الماسيسيل وهذا ما يبين المستوى الاقتصادي الذي وصلت إليه هذه المملكة. وكاذا

بالنسبة لمملكة الماسيل شرقها والتي كانت تحت قيادة الملك المعروف ماسينسا والذي اتخذ سيرتا كعاصمة له. وتحدثت العديد من النصوص القديمة عن الأهمية الكبرى التي منحها هذا الملك للجانب الزراعي خاصة والاقتصادي بصفة عامة والأدلة المادية حولها كثيرة. فإذا تحدثنا عن العملات النقدية لهذا الملك فنجد أنها كثيرة وتمدنا بمعلومات هامة تخص التطور الاقتصادي لنوميديا خاصة بعد توحيدها، وتعبر أيضا عن مكانتها بين الدول المعاصرة لها.

وان دراسة المستوى الاقتصادي للشعوب التي عاصرت فترة الملك ماسينسا أعطت رؤية أكثر وضوحا حول الاقتصاد النوميدي وذلك من خلال واردات وصادرات المملكة، فكما هو معروف لدى المختصين في المجال الاقتصادي، قيمة المنتوج تقاس من خلال درجة وفرته أو ندرته، لذا كانت العملة مرتبطة بوفرة السلع في الأسواق الداخلية والخارجية، وعلى هذا الأساس ظهر ما يسميه المختصين بالقيمة النقدية التي تقاس بالمقارنة مع العملات الأجنبية المعاصرة.

وأشرنا أعلاه ان المستوى الاقتصادي للمملكة النوميدية لم يكن دائما مستقرا وكان يتأثر بالظروف الطبيعية والتغيرات السياسية والعسكرية في المنطقة، فأثناء الحروب مثلا يكون انتباه الشعوب موجها كليا نحو الإنتاج العسكري وكل ضروريات الحرب وهذا ما حدث خلال الفترات الأخيرة من ملوك المملكة النوميدية وعلى سبيل المثال ماحدث خلال فترة الملك يوبا الأول، الذي واصل سياسة أسلافه في التطوير الاقتصادي الى أن تعرضت مملكته للهجوم الروماني اثرى الحروب الاهلية الرومانية. استغل يوبا الأول كل إمكانيات مملكته من أجل مواجهة المعارك المسلحة ضد التواجد الروماني في المنطقة. وهي الحرب التي كلفته أموالا طائلة ومما أثر سلبيا على التنمية الاقتصادية للمملكة، وهذا بالرغم من الاحتياطات التي كان يحتفظ بها الملوك النوميديين لمواجهة التحولات السياسية والعسكرية. وهكذا دخلت المنطقة خلال فترة الملك يوبا الأول في مرحلة جديدة، تحت السيطرة الرومانية.

3.وبخصوص الحياة الاجتماعية والعقائدية في نوميديا، فمن الواضح أنه ليس من السهل الوصول إلى نتائج ثابتة ومؤكدة في مثل هذه الدراسات التي كما سبق ذكره، تفتقر إلى مصادر كافية وموضوعية ولم تدرس في أحسن الاحوال إلا في إطارها الشامل وطبقا لمتطلبات الدراسات التاريخية المرتبطة بالعالم الروماني بالدرجة الأولى وأقل ما يمكن قوله، أن الدراسات ليست فقط قليلة فحسب بل متفاوتة الأهمية من موضوع لأخر.

من الطبيعي أن الجانب الاجتماعي لمجتمع يحتوي على عدة جوانب متكاملة ومتداخلة في آن واحد، فالمجتمع النوميدي منحصر في رقعة جغرافية كانت ولا تزال استراتيجية وتجلب اطماع مختلف القوى النافذة بالمنطقة وهذا راجع أساسا إلى الثروات المتوفرة والموقع الجغرافي.

بعدما قمنا بتسليط الضوء ولو بصفة جزئية على أهم المصادر الإغريقية اللاتينية التي تناولت تاريخ نوميديا بمختلف أركانه وكذلك لمحة حول المصادر المادية التي قد تساعدنا في تأويل وفهم المعطيات الأدبية، قمنا بتحديد الإطار الجغرافي لهذا الكيان مع ذكر أغلب مكوناته البشرية أي اسماء القبائل الرئيسية (مع بروز قبيلتين: الماسيل والماسيسيل) وكذلك لمحة وجيزة حول أصل ومعنى تسمية نوميديا طبقا لما ورد في المصادر والمراجع.

بطبيعة الحال، في هذا الحد من الدراسة استنتجنا أن الحدود نادرا ما كانت ثابتة ومستقرة تغيرت بتغير نفوذ القوى الفاعلة بالمنطقة أي طبقا لمتطلبات الحركات العسكرية والتحالفات الناتجة عنها ولم تنطبق الحدود التي ذكرناها إلا على فترة محدودة من تاريخها الطويل.

هذا الكيان الجغرافي الاستراتيجي الذي يقع في قلب العالم القديم، أثر وتأثر بالقوى المجاورة لكن لم يتمكن ان يفرض نفسه إلا في إطار تفاعلاتها السياسية، فهذا لم يسمح له بإبراز مظاهر حيوية مستقلة ومجتمع متماسك دينيا وثقافيا.

فعندما نعرج على المجتمع النوميدي، نلاحظ أن المعطيات الواردة الينا جد متضاربة ولا يمكن عزلها عن الجانب الجنائزي الذي يعتبر الممون الرئيسي لكن للأسف يبقى هو الأخر رهينة نقص الأبحاث الأثرية مما جعله يكتفى بما ورد في المصادر القديمة التي في أغلب الحالات يكتنفها الغموض والذاتية.

كباقي الشعوب، عرفت نوميديا منظومة اجتماعية تتميز بوجود طبقات في إطار قبلي ونظام ملكي ينتقل طبقا لقوانين تخص العائلة الحاكمة وكثيرا ما تتدخل فيها القوى المتنازعة في المنطقة لفرض منطقها عسكريا وسياسيا ومن ثمة إضعاف السيادة وتفكيك المعارضة المحتملة.

في هذا الصدد، أدت التدخلات القرطاجية والرومانية إلى تعميق الخلافات بين الممالك واستغلت الضعف المزمن لفرض سيطرتها، لكن هذا لم يمنع من وجود مجتمع عرف حضارة مادية وفكرية وعرف نمط عمراني يتجلى خاصة في المجال الديني (وجود أضرحة كبيرة وأنماط معمارية مختلفة)

تمركز هذا المجتمع خاصة في المجال الريفي وعرف ممارسات وأنشطة مختلفة لكن هذا لم يمنعه من الحياة الحضرية في عدة مدن أو تجمعات سكنية خاصة على السواحل وهذا بمختلف الفئات الفاعلة في المجتمع كالأحرار والعبيد (مع العلم أنه من لصعب تحديد النطاق الفعلي لكل فئة سواء في المدن أو الأرياف مع التأكيد على تفشى ظاهرة الفقر بينها) خاصة إبان حكم المملكة الماسيلية التى عرفت نوع من الاستقرار السياسي والاجتماعي والإقتصادي الذي أثر ايجابيا خاصة خلال فترة حكم الأقليد ماسينيسا

قد يكون حال هذه الطبقات غير مختلف جدا من زمن لأخر لأن العالم النوميدي إن صح التعبير، لم يعرف اضطرابات جذرية إلا ربما في حدود تقاربه وتأثره بالحضارات المهيمنة بالمنطقة وقد يكون في عدة حالات جد مستنسخ منها في عدة جوانب لكن لم يفقد تماما روحه والذي ينفرد ببعض الخصوصيات في المجال العقائدي والجنائزي واللغوي خاصة.

يبدو أن للحكام عدة زوجات أو بالأحرى جواري لكن النظام السائد هو الزواج الشرعي الذي يسمع بالتوريث والتبني وكان مرتكز أساسا على العائلة من الأب (مع السماح بتعدد الزوجات) وذلك على الأقل منذ الألفية الثانية.

لقد تطرقنا أيضا في أحد فصول هذا البحث إلى بعض مظاهر الحياة النوميدية في عدة مجالات امتزج أغلبها مع العالم القرطاجي والروماني خاصة بعد" الانخراط " طوعا أو حتما في الحروب البونيقية التى أدخلت نوميديا في التاريخ الرسمي.

بطبيعة الحال ليس من السهل تقديم معطيات دقيقة وشاملة على كل مظاهر الحياة بمختلف جوانبها، فلذلك اقتصر حديثنا على البعض منها على غرار النظام الإداري والقضائى الذي تتجلى بعض خصوصيته من خلال بعض المسكوكات وأيضا بروز أسماء بعض النظم والمدن المنظمة على النمط القرطاجي في حين بقيت الأرياف مهيكلة على شكلها القبلي التقليدي.

كان الجيش أحد ركائز النظام الملكي لمواجعه الأخطار الداخلية والخارجية خاصة في عهد ماسينيسا وتتمثل الأسلحة خاصة في بعض أنواع السيوف والرمح لا تختلف كثيرا عن تلك المستعملة في ذلك الوقت.

كسائر الشعوب، يرتكز الإقتصاد على عدة محاور متكاملة تعتمد بالدرجة الأولى على الثروة الحيوانية والطبيعية المتنوعة والمستعملة في عدة نشاطات حرفية وتجارية وعلى الزراعة كقاطرة أمامية بإعتبرها المجال التقليدي المعتاد وبامتياز نظرا لتوفر الأراضي الخصبة واليد العاملة الكافية، رغم أقدمية النشاط الزراعي في شمال إفريقيا، يبدو أن تطورها من خلال استصلاح الأراضي لم يكون ملحوظ إلا في عهد ماسينسيسا وخلفائه مع الملاحظة أن الأدوات عرفت ركودا في أشكالها واستعمالاتها لعدة قرون.

لا شك أن كل هذا النشاط كان ممارس في إطار عقائدي وديني ميزته ممارسات وطقوس تخص الجانب المادي والروحي لهذا المجتمع الذي لم يكن في لحظة ما منعزلا عن محيطه، فهذا الجانب انفرد بعمارة جنائزية جعلته في الواجهة زيادة إلى هياكل جنائزية لا تقل اهمية رغم بساطتها الهيكلية.

تبلورت أيضا عدة معبودات امتزجت فيها العناصر المحلية (عبادة القوى الطبيعية) بالعناصر الأجنبية في إطار ثقافي متنوع ومتميز بكتابة خصت بالدرجة الأولى المجال الجنائزي مع العلم أن هذه الثقافة كانت متواجدة بصفة أو بأخرى عبر كل مراحل الحياة الثقافية منذ العهد البوني إلى الفترة الرومانية مع بروز رواد وشخصيات أدبية مرموقة سجلت اسمائها بالحروف الذهبية.

المصادر والبيبليوغرافيا

1. المصادر

أ. المصادر المترجمة الى اللغة العربية

سترابون، وصف ليبيا ومصر، ترجمة الدويب، م، بنغازي،2003.

ب. المصادر المترجمة الى اللغة الفرنسية

Appien, *Histoire Romaine*, IV, livre VIII L'Africain, trad. P.Goukowsky, Paris, 2002.

Appien, *Histoire Romaine*, II, livre, VI L'Ibérique, trad. P. Goukowsky, Paris, 2003.

César, *Guerre d'Afrique*, trad.A.Bouvet, paris,1949.

César, *Guerre civile*, I et II, trad. P. Fabre, Paris 1936.

Corpus Inscriptionum Latinarum (CIL), Berlin, 1881, VIII, 5306, et 5369.

Dion Cassius, *Histoire Romaine,* t. I, trad. E. Gros, Paris, 1845.

Florus, *Les Œuvres* trad.P.Jal,paris,1969.

Hérodote, *Histoire*s, trad. P. Larcher, Paris, 1980.

Justin, *Histoire Universelle*, trad. J.Pierrot, Paris,1833.

Lucain, *La Pharsale*, trad. A. Bourgery , Paris ,1926.

Pline L'ancien, *Histoire Naturelle*, V, trad. J.Désanges, Paris, 1980.

Polybe, *Histoire*, trad. D.Roussel, paris,1970.

Pomponius Mela, *Des sitis Orbis*, I, 41, collection Nisaid, Paris, 1850.

Plutarque, *Les Vies des Hommes Illustres*, trad. J.Amyot, Paris, 1951.

Plutarque, *Vies parallèles (Marius, Sylla, Pompée…*), trad. R. Flaceliere et P. chambry, Paris, 1914- 1938.

Salluste, *Guerre de Jugurtha*, trad. G.Walter, Paris, 1968.

Silius Italicus, *La Guerre Punique*, trad.p. Miniconi,et g.Devallet, Paris,1979.

Strabon, *Géographie*, trad. A. tardieu, Paris,1880.

Tacite, *Annales*, trad. H.Bornecque, Paris,1965

Tite-Live, *Histoire Romaine*, trad. E. Lasserre, Paris, 1949.

Tite-Live, *Histoire romaine*, XXXI, 19, 4, XXXII, 27, 2, XXIX, 31, 8, W. Weissenborn , HS, Paris, 1933.

Valère Maxime, *Faits et Dits Mémorables*, trad.R.Combes, Paris, 1995.

2. المراجع

أ. المراجع العربية

اكرير، ع.، 1975 ، تاريخ المغرب قبل الإسلام الممالك المورية الامازيغية قبل الاحتلال الروماني .

اكرير ع . ،2016، تاريخ المغرب القديم من الملك يوبا الثاني الى مجيء الاسلام

أكلي، ن.، 2012، *الحرف والحرفيون في نوميديا قبل العهد الروماني*، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار القديمة، جامعة الجزائر.

الاعشي، م،1980، العلاقات العسكرية والسياسية في موريتانيا الطنجية بين المغاربة والرومان من سنة 140م-285م، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا، جامعة محمد الخامس، الرباط.

التازي، س.،1977-1978، *المغرب في عهد يوبا الثاني وبطليموس (25ق.م-40م)*، اطروحة لنيل دكتوراه دولة، جامعة محمد الخامس، الرباط.

الناضوري، ر.، 1981، تاريخ *المغرب القديم، العصور القديمة*، ج 1، بيروت.

أورفه لي، خ.، 2007، "كلاما (قالمة) دراسة وصفية للبقايا الأثرية للمدينة"، *مجلة أثار*، 06، الجزائر.

أورفه لي، خ.، 2007، " جوانب من المبادلات الثقافية والفنية والمعمارية بين البونيين النوميديين خلال النصف الثاني من الألف الأول ق.م.، "، *كتالوج" معرض الجزائر النوميدية*، الجزائر.

أيت عمارة، و.، 2015، "الفروسية النوميدية في عصر الملوك"، *كتالوج، قرطا-سيرتا والممالك النوميدية، من القرن الخامس الى القرن الأول قبل الميلاد*، قسنطينة، الجزائر.

بلعيد، م.ل.، 1978، دور الملوك النوميديين في الحرب البونية الثانية، مذكرة الدراسات المعمقة، جامعة تونس.

بورونية، ش.،الطاهر، م.، 1999، قرطاج البونية تاريخ حضارة.

حارش، م.هـ. ، 1994، ثورة تاكفاريناس (17-24 م)، م.د.ت، ع.، الجزائر

حارش،م.هـ،2015، ماسينيسا و السيادة النوميدية من منظور المصادر القديمة ، "ماسينيسا في قلب تاسيس اول دولة نوميدية".

حارش، م.هـ، 1992، التاريخ المغاربي القديم السياسي و الحضاري منذ فجر التاريخ الى الفتح الاسلامي ، الجزائر.

حارش،م.هـ.،2001، دراسات و نصوص في تاريخ الجزائر و بلدان المغرب في العصور القديمة، الجزائر.

خادم الله بنت ابيش، 2000، *الثورات الوطنية ضد الاحتلال الروماني في شمال افريقيا (القرن الاول ق.م القرن الاول م)* بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا ،جامعة محمد الخامس، الرباط .

ساحد، ع.، 2009-2010، *التعمير البشري ببلاد المغرب في فترة فجر التاريخ – نموذج المعالم الجنائزية بمنطقة الأوراس*، أطروحة انسل شهادة الدكتوراه، جامعة الجزائر، معهد الآثار.

سليماني، ا.، 1991، ماسينيسا ويوغرطة، الجزائر.

سي الهادي، ذ.، 2012-2013، *الممالك النوميدية بين قرطاج وروما من نهاية القرن الثالث ق – م إلى القرن الأول ق – م دراسة سياسية وعسكرية)*، ماجستير في التاريخ القديم، جامعة الجزائر 2.

شارن، ش. ،2001، *النشاط التجاري في نوميديا وموريطانيا القيصرية أثناء الاحتلال الروماني*، اطروحة لنيل الدكتوراة في التاريخ القديم، جامعة الجزائر.

شنيتي، م.ب.،1985، سياسة الرومنة في بلاد المغرب من سقوط الدولة القرطاجية الى سقوط موريطانيا (146ق.م -40 م)، ط.2، الجزائر.

شنيتي، م.ب.، 2003، أضواء على تاريخ الجزائر القديم، الجزائر.

طه، ب.، 1963، *تاريخ الأديان وفلسفتها*، بيروت.

عادل – زرارقة، و.، 2010-2011، *دراسة المعالم الجنائزية لمقبرة شنيور (عين العربي –قالمة-) المعالم الميغاليثية والشبه ميغاليثية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الآثار. – تخصص أثار قديمة*، جامعة 08 ماي 1945 – قالمة.

عقون، ع.،2017، " ماسينيسا وبناء الدولة النوميدية " ليبيكا،ع.2، نوميديا ، ماسينيسا و التاريخ، وقائع الملتقى الدولي قسنطينة14-15و16ماي2016.

عيساوي، م.، 2009-2010، *المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم (من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي)*، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ المغرب القديم، جامعة منتوري قسنطينة.

غاقي، **م**.،2007، تونس عبر التاريخ ،ج.1، تونس .

غانم ، **م.ص**.،2011 ، المظاهر الحضارية و التراثية لتاريخ الجزائر القديم ، ج.3، الجزائر.

غانم ، **م.ص**.،2007، المقاومة و التاريخ العسكري المغاربي القديم ، الجزائر.

غانم ، **م.ص**.، 2006، *المملكة النوميدية والحضارة البونية*، الجزائر .

فرحاتي، ف.، 2007، *نوميديا من حكم الملك حايا إلى بداية الاحتلال الروماني 213- 46 – ق. م.* ، الجزائر.

فنطر، **م**.، 1970، يوغرطة من ملوك شمال إفريقيا و أبطالها ، تونس .

قزال، **س**.، تاريخ شمال افريقيا القديم ، تر. سعود، م.ت.، الرباط ،2007.

كامبس،2014، البربر تاريخ و هوية ، ترجمة ،عبد الرحيم حزل،المغرب.

كامبس،2009، في اصول بلاد البربر ماسينيسا او بدايات التاريخ ،تعريب وتحقبق العربي عقون، الجزائر.

لحسن ، ر.، 1998-1999، *مدافن حكام المور والنوميد، دراسة أثرية وتاريخية لأهم الأضرحة المغربية المشيدة في الفترة ما بين القرن الرابع ق- م والسابع م*، رسالة ماجستير في التاريخ والآثار, جامعة الجزائر.

مسرحي ،**ج** ،2008 المقاومة النوميدية للاحتلال الروماني في الجنوب الشرق الجزائري ثورات الاوراس و التخوم الصحراوية نموذجا ، مذكرة ماجستر،جامعة منتوري ،قسنطينة .

ب.المراجع الأجنبية

Aggoun, ML., 2008, « Réfutation des thèses historicistes et affirmation des origines numides de la confédération cirtéenne », *Revue des sciences humaines*, 30 université Mentouri (Constantine).

Ait Amara, O., 2007, *Recherche sur les Numides et les Maures face A la guerre, depuis les guerres puniques jusqu'à l'époque de Juba 1er*, thèse de doctorat, université Lyon III.

-2013, *Numides et Maures au combat. États et armées en Afrique du Nord Jusqu'à l'époque de Juba Ier*, Studi di Storia Antica e di Archeologia, Ortacesus, Italie, 262 p. 82 fig.
-2009, *Les Soldats d'Hannibal*, France.

-2017, "Le rôle de Massinissa dans la deuxième guerre punique", *La Numidie, Massinissa et l'Histoire*, Actes du colloque international (Constantine, 14, 15 et 16 mai 2016), *Libyca*, Nouvelle série n°02, Cnrpah, p.169-201.

-2014, «La logistique de l'armée numide jusqu'à la mort de Juba Ier », *Rivista di Studi Militari*, 3, Boulogne, p. 29-46.

-2015, "Les armes de protection des combattants numides à l'époque de Massinissa", *Massinissa au cœur de la consécration du premier État numide*, Actes du colloque international (El Khroub (Constantine) du 20 au 22 septembre 2014), p. 275-340.

-2014-2015, «Le cheval en Numidie : bilan des connaissances», *Aquila Legionis*, 17-18, Madrid, p. 23-44.

-2014, « L'épée dans l'armement offensif des Numides », *Spatha, spada, épée, IIdeologia e prassi*, (Cagliari, 20-21 novembre 2014) Atti del convegno a cura di Antonio M. Corda e Michel-Yves Perrin (à paraître).

-2018, « Le cheval et le cavalier numides : la statuette de Canosa », *dans Sandra COSTA ET Claire MAITRE (dir.), L'animal : une source d'inspiration dans les arts, Paris, Édition électronique du CTHS (Actes des congrès des sociétés historiques et scientifiques).*

Aoulad Taher, M., 2004, « l'Hellénisme dans le royaume Numide au II eme siècle av JC », *Antiquités Africaines*, 40-41.

Basset, H, 1921, « Les influences puniques chez les Berbères », Revue Africaine, 26, 65.

Basset ,R, 1906, *Le nom du chameau chez les Berbères*, Paris.

Bates, O., 1919, *The eastern Libyans*, London.

Belkadi, A., 2002, *Recherche Sur Le Royaume De Numidie à La veille De L'absorption par Rome*, thèse de doctorat, université de Paris I, Sorbonne.

Berthier, A., 1981, *La Numidie Rome et le Maghreb*, Paris.

Berthier, A, 1956, Charlier, R., « Le sanctuaire punique d'El Hofra à Constantine », *Antiquité Classique*.

Bourguignat, J.R., 1868, *Histoire des Monuments mégalithiques de Roknia*, Paris.

***Boutchich, B.ek**., 2004, « Les relations politiques de Rome avec le Royaume de Numidie pendant la III^e^ guerre punique », AfrRom., V. 15, t.3, Roma.*

Brixi, R., 2003, Siga, Capitale de la Numidie, Dans *L'Algérie Aux Temps Des Royaumes Numides,*

Brizzi, G., 1997, « Une coutume de guerre des Numides : réflexions d'après quelques épisodes des campagnes d'Hannibal », *BCTH, XXIV.*

Brizzi, G., 2011, « L'apport des peuples de l'Algérie à l'armée de Carthage » dans *Les Phéniciens en Algérie les voies du commerce entre la méditerranée et l'Afrique noire, Algérie.*

C**ampardou**, J., "1921, « Notes sur la région de Taza », *B.S.G.A.O.*, XLI.

Camps, G., 1960, Aux Origines de la Berbérie, Massinissa au les Débuts de l'Histoire, *Libyca* VIII, Paris.

Camps, G, 1979, « Les Numides et la civilisation punique », *Antiquités africaines*, 14.

Camps, G., 1956, « La céramique des sépultures berbères de Tiddis », *Libyca*, III.

Camps, G., 1990, « Qui sont les Dii Mauri ? », antiquités africaines 26.

Camps, G., 1953, « Les Dolmens de Béni Messous », *Libyca*, I.

Camps, G., 1969, « Amekini, Néolithique ancien du Hoggar », *Mémoire du CRAPE*, I.

Camps, G., 1967, « Origine du royaume Massyle », R*evue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb*, 3.

Camps, G., 1991, « Bocchus », *EB*, X, Aix-en-Provence.

Camps, G., 2011, *Les Berbères mémoire et identité*, Alger.

Carthy, M., 1865, « Etudes critiques sur la géographie comparée et la géographie positive de la guerre d'Afrique de Jules César », *Revue Africaine.*

Chaker, S., 2008, « Libyque : écriture et langue », Encyclopédie Berbère, Aix-en Provence, Edisud, 28-29.

Charle, A-J., 1931, *Histoire de l'Afrique du nord, Tunisie, Algérie, Maroc*, Paris.

Christol, M., 1990, *Rome et son empire, des Origines aux invasions barbares*, Paris.

Churruca, J., *Le commerce comme élément de civilisation dans la Géographie de Strabon,* Univ. Deusto, S.A.P.

Cintas, P, 1953, « Fouilles puniques à Tipaza » *RA*, XCII.

Colonna, C., 2003, «L'Algérie au temps des royaumes numides. » *Doss, Arch*, 286.Coltelloni-Trannoy**, M,** Desanges, J., 1997, *Le Royaume de Maurétanie sous Juba II et ptolémée (25 av JC- 40 ap JC)*, Paris.

Cornevin, R., 1967, *Histoire de l'Afrique des origines au XVI siècle*, Paris.

Courtois, R., 1953, *Les Vandales en Afrique*, Paris.

Daho- Kitouni, K., 2003, «Présentation de l'exposition « Algérie Numide », *L'Algérie aux temps de royaumes Numides*.

Daho-Kitouni, K., 2003, « L'Algérie Numide», Dans *L'Algérie aux temps des Royaumes Numides.*

Daho-Kitouni, K., 2003, « Cirta et Le Royaume Numide »,Dans *L'Algerie aux temps des Royaumes Numides.*

Daressy, G., 1895, « Une flotte phénicienne d'après une peinture égyptienne », *Revue archéologique*, XXVII.

Decret, F., Fantar, MH., 1981, *L'Afrique du nord dans l'Antiquité*, Paris.

De la malle, D., 1852, *Histoire des guerres des Romains des Byzantins et des Vandales*, Paris.

Demeyer, L., 1962, L'étymologie de Macellum « marché », *Ant. Class*., Paris.

Djennas, M., 2010, *La Saga des rois numides, entre Carthage et Rome,* Casbah-Editions, Alger.

Denis, L., 1907, « Notes sur quelques nécropoles mégalithiques du centre tunisien », *Revue Tunisienne*.

Desanges, J., 1962, *Catalogues des tribus africaines de l'antiquité classique à l'Ouest du Nil,* Dakar.

Desanges, J., 1978, *« L'Afrique romaine et libyco berbère » dans C. Nicolet, Rome et la conquête du monde méditerranéen*, t.2, Paris.

Desanges, .J., 1980, *Les protoberbères*, Paris.

Desanges, J., 1980, «Permanence d'une structure indigène en Marge de l'administration romaine ; la Numidie traditionnelle » *AntAfr*.

Desanges, J., 2017, « Le Massinissa de Strabon », Libyca, N.02, La Numidie, Massinissa et L'Histoire, Actes du colloque internationel Constantine, les 14,15et 16mai2016.

Dessigny, Cne., 1909, «Notice sur quelques monuments de la région d'Ain Sefra », *B.A.C*.

Etienne, R., 1954, « Une inscription sur bronze découverte à Volubilis (Maroc) », *CRAI*, 98, 2.

Diehl, C., 1931, *L'Afrique Byzantines de la domination byzantine en Afrique, 533- 709,* Paris.

Doukalis, P., 2002, « Un livre sur l'économie grecque antique, 28 », *Dialogue d'Histoire ancienne*, Paris.

Fantar, MH., 1998, *Carthage* I, Tunis.

Fantar,MH., 2017, ”La politique culturelle de Massinissa , *Libyca, N.02,la Numidie Massinissa et l'histoire », Actes du colloque international Constantine , les 14,15et 16mai,* 2016. **Ferroukhi, M**., 2009, *Nos ancêtres les rois numides*, Alger.

Ficheur, E., 1980, *Description géologique de la Kabylie de Djurdjura*, Alger.

Ficheur, E., 1972, « Les monnaies antiques de l'Afrique du nord trouvées en Gaule », XXXVI, *supplément à Gallia*, Paris.

Gernet, L., 1955, *Droit et société dans la Grèce ancienne*, Paris.

Georges, M., 2004, *Villes et compagnes d'Algérie.*

G**haki,M.,**2017, "Questions autour d'un siècle numide(205-105av.j.c)» Dans *libyca La Numidie Massinissa et L'Histoire, Actes du colloque international, Constantine, les 14,15et 16mai,* 2016.

Gaid, M., 1972, *Aguellids et Romains en Berbérie*, Alger.

Galand, L., 1989 , « Les alphabets libyques », *Antiquités Africaines,* 25.

Gsell, S., 1913, Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord, I, les conditions du développement historique, Paris.

Gsell, S., 1928, *Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord, VI, Les royaumes indigènes,* Paris.

Gsell, S., 1927, *Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord,* V, les royaumes indigènes, organisation sociale, politique et économique, Paris.

Gsell, S., 1928, *Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord*, VII, La République romaine et les rois indigènes, Paris.

Gsell, S., 1920, *Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord*, III, *Histoire militaire de Carthage*, Paris.

Gsell, S., 1896, *Guide archéologique des environs d'Alger (Cherchell, Tipaza, Tombeau de la chrétienne),* Alger.

Gsell, S., «Veilles exploitations dans l'Afrique du Nord », H*esperis*, VIII.

Gsell, S., 1997, *Atlas Archéologique de l'Algérie,* Alger, 2eme édition.

Hachi, S., 2003, « Les cultures de l'Homme de Mechta-Afalou. Le gisement d'Afalou Bou Rhummel (massif des Babors, Algérie). Les niveaux supérieurs 13000-11000 BP », *Mémoires du Centre National de Recherches préhistoriques, anthropologiques, et historiques (CNRPAH),* nouvelle série no 2, Alger.

Hamdoune, Ch., 1999, *Les auxilia externa africains des armées Romains III^e^siécle av.j.-c.-IV^e^siécle ap.j.-c. ,* Montpellier.

Hamdoune , Chr., 2007 , « Les armes du cavalier africain : de la réalité à la symbolique », *Les armes dans l'antiquité de la technique à l'imaginaire.*

Hecren, S., (s.d ;), *Politique et commerce des peuples de l'Antiquité*, Trad. Française, Paris.

Jolly, J., 2011, *L'Afrique et son environnement européen et asiatique*, Algérie.

Julien, Ch. A., 1972, *Histoire de l'Afrique du nord des origines à la Conquête arabe (647ap.j-c),* 2éd, Paris.

Keddache, M., 1993, *L'Algérie dans l'Antiquité*, Alger.

Kotula, T., 1965, « Les principes Gentis et les principes civitatis en Afrique romaine », *EOS*, LV.

Lacroix, F., 1868, « Afrique ancienne, produits végétaux » *Revue Africaine*, 12.

Lancel , S., 2003, *L'Algérie antique de Massinissa à saint Augustin,* Paris.

Lapeyre, G .G., 1942, *Carthage punique*, 814-146 av.-J .C, Paris.

Laporte, JP., 2004, « Kabylie antique », *Encyclopédie Berbère*, XXVI, Aix en Provence.

Lassére, J.M., 2015, A*frica, Quasi Roma (256 av.j.C-711 ap.j.C.),* Paris.

Lassere, JM., 1980, «Remarques sur le peuplement de la Colonia Iulia Augusta Numidica Simithus », Ant.af*r.*, 16.

Lasserre, J-M., 1982, « un confit routier : observations sur les causes de la guerre de Tacfarinas », *An.Af.*, 18.

Lefebvre, S.,2017 , « Massinissa et Rome à l'aune des sources littéraires *», Libyca ,N.02,La Numidie , Massinissa et L'Histoire , Actes du colloque international Constantine , les 14,15et 16 mai*, 2016.

Leglay, M., 1968, *Série de conférences Musée des Antiquités*, Alger.

Leschi, L., 1947, « Miliaires des environs de Sétif « , *B.A.C.*

Letourneux, A., 1867, « Sur les monuments funéraires de l'Algérie orientale », *Arch.fur.anthropologie*, II.

Lezine, A., *Carthage, Utique, études d'architecture et d'urbanisme*, Paris.

Lhote, H., 1997, *Les Touaregs du Hoggar Ahaggar*, Paris.

Lévy, J-P., 1964, *L'économie antique*, Paris.

Martin, R., 1974, *L'urbanisme dans la Grèce antique*, Paris.

Mazard, J., 1955, *Corpus Nummorun Numidae Mauretanieque*, Paris.

Migeotte, L., 2001, *L'économie des cités grecques : de l'archaïsme au Haut-Empire romain*, Paris.

Minaud, G., 2004, *Essai d'histoire économique sur la pensée comptable commerciale et privé dans le monde antique romain*, Bordeaux.

Monceaux, P., 2016, *Les auteurs latins d'Afrique, (la littérature latine d'Afrique),* Alger.

Monceau, P., 1894, *Les Africains, Etude sur la littérature latine d'Afrique, les païens* Vol I, Paris.

Morel, J-P ., 1995, *Productions et exportations africaines, actualités archéologiques en Afrique et méditerranée*, C.T.H.S, Paris.

Moses, I., 1992, *Economie et société, en grecque ancienne*, France.

Moyne, J., 1955, *Des documents relatifs à l'artisanat punique à Carthage*, C.T.H.S, France.

Muller, L., 1874, *Numismatique de l'ancienne Afrique*, Copenhague.

Olivier, P.G., 2010, *L''économie du monde romain*, France.

Pais, E., 1940, *Histoire Romaine, I., des origines a L'achèvement de La conquête133av.j.-c.*, Paris.

Pauphelet, D., 1953, « Monuments mégalithiques à Mactar », *Carthago* V.

Pavy, A., 1977, *Histoire de la Tunisie* ,2éd, Tunis.

Peyras, J., 2015, *La loi agraire de 643 Av .J.-C,111 A.-J.-C, en Afrique*, France. **Peyras, J.,** 1996, « L'Afrique de nord antique cultures et paysages », *Colloque de Nantes*, France.

Picard, G. C., 1957, «Civitas Mactarinas », *Karthago*, VIII.

Picard, G. C ., 1954, *Les religions de l'Afrique antique*, Paris.

Poinssot, Cl., Salomonson, W., 1959, «Le Mausolée libyco-punique de Dougga et les papiers du Comte Borgia », *C.R.A.I.*

Poinssot, Cl., 1942, « Une inscription de Souani El Adani », *Revue Tunisienne*.

Poinssot, Cl., « Introduction à la fin de la préhistoire en Afrique subsaharienne ».

Rakob F,1979, "Numidische Königsarchitektur in Nordafrika", in Die Numider, sous la direction de Heinz Günter Horn et Christoph B.Ruger, Bonn.

Reygasse, M., 1950, *Les Monuments funéraires préislamiques de l'Afrique du nord*, Paris.

Roffo, Dr., 1951, « Sépultures indigènes Préislamiques en pierres sèches, études sur trois nécropoles de l'Algérie centrale », *R.Afr*., LXXXII. Salama (P), Les voies romaines de l'Afrique du nord, Alger.

Roman, Y., 2004, *L'économie antique, une économie de marché ?,* Paris.

Rougé, 1994, *Recherche sur l'organisation du commerce maritime en méditerranée sous l'empire romain*, Paris.

Saint, M., 2008, *La voie de Rome, entre la méditerranée Atlantique*, Paris.

Salama, P., 1958-1959, « Le Sahara pendant l'Antiquité classique », *Afr.Ancienne*.

Souville, G., Le Tumulus de Sidi Allal el Bouhraoui, Libyca, Anthrop. Préhist. Ethnog , T.VI-VII.

Thebert, Y., Coareli, F., 1988, « Architecture funéraire et pouvoir : réflexions sur l'hellénisme numide », MEFR, 100-2.

Thouvernot, R., 1960, *L'Afrique romaine aux trois premiers siècles*, France.

Tlili, MH., 2008, *Etendue et limites de la Numidie archaique. Esquisse d'une nouvelle géographie historique des royaumes autochtones*, thèse de doctorat, université de Franche-Comté.

Tricot, J., 1989, *ARISTOTE. Les Economiques*, Paris.

Troussel, M. 1948, « Le trésor monétaire de Tiddis », *RSAC*, LXVI.

Valier, J., 2005, *Brève histoire de la pensée économique d'Aristote à nos Jours*, Paris.

Viré, C., 1898, « Archéologie de canton de Bordj Menail », *R.S.A.C*, , XXXII.

Vuillemot, G., 1964, « Fouilles du Mausolée de Beni Rhénane en Oranie », *CRAI.*

Yves, C., 1972, *Les Grandes Etapes de l'Histoire économique*, Coetz.

Walter, G., 1937, *La destruction de Carthage*, Paris.

Weber, M., 2001, Économie et société dans l'Antiquité ; les causes sociales du déclin de la civilisation antique, trad. de l'allemand par C. Colliot-Thélène, Paris.

الفهارس

فهرس الصور والأشكال والخرائط

1. نصب ابيزار يمثل فارسا راكبا فوق حصان يمسك بيده درعا وثلاثة رماح.....ص.76
2. عملة نوميدية، من معدن البرونز، تحمل في وجهها الأول رأس الملك ماسينيسا وعلى وجهها الثاني حصان في حالة عدو نحو اليسار.....ص.77
3. عملة نوميدية، تظهر في وجهها الأمامي صورة الملك يوغرطة وهو ينظر نحو اليسار، وتظهر في وجهها الخلفي صورة الفيل متجها نحو اليمين.....ص.78
4. قطع نقدية محفوظة بالمتحف الوطني للآثار ص.99
5. النمط الأول من عملات الملك سيفاكس.....ص.104
6. النمط الثاني من عملات الملك سيفاكس عليها صورة ابنه فيرمينا.....ص.105
7. النمط الأول: عملة الملك ماسينسا قبل توحيد المملكة النوميدية.....ص.106
8. النمط الثاني: عملة الملك ماسينسا قبل توحيد المملكتين.....ص.106
9. النمط الأول للعملات النقدية للملك ماسينسا بعد توحيد المملكتين.....ص.107
10. النمط الثاني من عملات الملك ماسينسا بعد توحيده لنوميديا.....ص.108
11. عملة مدينة سيرتا خلال الفترة النوميدية.....ص.108
12. ضريح مدغاسن بباتنة الحالية، يعود إلى الفترة النوميدية.....ص.109
13. خريطة نوميديا.....ص.111
14. مختلف قطع نقدية للملك ماسينيسا.....ص.112
15. نماذج من الفخار النوميدي.....ص.114
16. سلسلة نقدية للمملكة النوميدية قبل التوحيد (سيفاكس في الوجه) ص.119
17. سلسلة نقدية للمملكة النوميدية الموحدة تحت حكم ماسينسا.....ص.120
18. صور لعملات نقدية تبين اهتمام يوبا الأول بالجانب الزراعي (قرن رمز للخصوبة والفيل رمز القوة).....ص.128
19. منجل يعود إلى نهاية القرن الأول قبل الميلاد.....ص.128

20. رأس الملك يوبا الأول على قطعة نقدية من معدن الفضة ص.129
21. قطع نقدية وصور للملك يوبا الأول.....ص.133
22. نماذج من القطع النقدية الرومانية المعاصرة للفترة النوميدية.....ص.139
23. خريطة جغرافية توضع المناطق التابعة لقرطاجة خلال بداية الحروب البونية.ص.143
24. نماذج من القطع النقدية البونية والتي تعود إلى الحرب البونية الثانية.....ص.145
25. خريطة الحدود النوميدية الرومانية.....ص.151
26. مشهد للمبادلات التجارية ص.156

فهرس المحتوى

قائمة المختصرات.....03

المقدمة..... 05

المحور الأول: التنظيم السياسي وألياته في نوميديا قبل الاحتلال الروماني.....10

الفصل الأول: المصادر والبيبليوغرافية المتعلقة بالتاريخ السياسي والعسكري لنوميديا.....12

الفصل الثاني: التعريف بالممالك النوميدية.....19

1. الممالك النوميدية 20

أ. المملكة الماسيلية.....21

ب.المملكة الماسيسيلية 22

2. العلاقات بين المملكتين النوميديتين..... 25

3. المملكة النوميدية الموحدة.....25

4. أصل الممالك النوميدية 28

5. نوميديا والمملكة المورية.....29

6. نوميديا وقرطاجة.....34

7. نوميديا والرومان 35

الفصل الثالث: النظام السياسي في نوميديا.....39

1. أصل النظام السياسي 40

2. النظام الملكي.....43

3. الملك النوميدي وسلطته.....44

4. ماسينيسا والعرش في نوميديا.....45

أ. شخصية ماسينيسا.....46
ب. ماسينيسا في المصادر الكلاسيكية.....47
ت. خلافة ماسينيسا للعرش النوميدي.....52
الفصل الرابع: مظاهر النظام السياسي في نوميديا 57
1. المدن النوميدية 58
أ. المدن الملكية.....58
•سيرتا.....59
•سيقا.....62
•زاما ريجيا.....63
•مدينة كلاما.....64
ب. المدن المحصنة.....64
•مدينة باجة.....65
•مدينة سيكا.....65
ت. المدن المنعزلة.....66
•مدينة تالة.....66
•مدينة قفصة.....66
2. تسيير المدن النوميدية.....67
3. التنظيم البلدي 68
الفصل الخامس : أليات السلطة "الجيش".....70

الفصل السادس: الوجود الروماني والمقاومة المحلية.....81

1. ثورة اكفاريناس.....84
2. ثورة ايدمون.....90

المحور الثاني: التطورات الاقتصادية للممالك النوميدية من النشأة الى الاحتلال الروماني.....95

الفصل الأول: مصادر دراسة الاقتصاد النوميدي 96

1. أنواع المعارف 97
أ. المصادر الأدبية.....97
ت.المصادر المادية والأثرية.....98
ث.المراجع.....100
2. المسكوكات كمصدر لدراسة الاقتصاد النوميدي.....103
أ. المسكوكات النوميدية قبل توحيد المملكتين.....104
- مسكوكات سيفاكس.....104
-مسكوكات ماسينسا.....105
ب. العملات النوميدية بعد توحيد المملكتين.....107
-عملات الملك ماسينسا.....107
-عملات المدن النوميدية.....108
3. التغيرات الاقتصادية حسب المصادر القديمة.....110

الفصل الثاني: السياسة الاقتصادية النوميدية.....115

1. علاقة الاقتصاد بالوسط السياسي..... 116
2.المعايير المتحكمة في الوسط الاقتصادي 118

3. الحروب والأزمات الاقتصادية في الفترة النوميدية.....122

الفصل الثالث: الاقتصاد النوميدي في فترة يوبا الأول (نهاية مملكة نوميديا).....123

1.شخصية يوبا الأول ومحاربته لأعداء مملكته.....124

2. التوجهات الاقتصادية للملك يوبا الأول 125

3.اسس الاقتصاد النوميدي خلال النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد.....126

4. المعايير المتحكمة في اقتصاد مملكة يوبا الأول.....129

5.التسيير الاقتصادي لمملكة يوبا خلال الحروب 131

الفصل الرابع: علاقة نوميديا باقتصاد العالم القديم.....134

1. الاقتصاد الروماني ونوميديا.....136

2.الاقتصاد القرطاجي ونوميديا 142

- الصناعة 145
- ضرب العملات 145
- المبادلات التجارية 146

الفصل الخامس: مكانة الاقتصاد النوميدي في العالم القديم.....148

1. وضعية استغلال الأرض في في نوميديا 149

2. المقومات الأساسية للاقتصاد النوميدي.....150

3. وسائل القياس والضوابط العامة للاقتصاد النوميدي 159

المحور الثالث: الحياة الاجتماعية في نوميديا (من الحرب البونية الثانية إلى بداية الاحتلال الرومانى).....163

الفصل الأول: جرد المصادر والمراجع حول الموضوع.....164

1. نظرة نقدية حول المصادر.....166
2. أهم المصادر الإغريقية اللاتينية حول نوميديا وشمال إفريقيا.....167
3. المصادر المادية (الأثرية).....170
4. أهم المراجع حول الموضوع.....172

الفصل الثاني: النطاق الجغرافي والبشري للمجتمع النوميدي 173

1. لمحة حول اسماء الممالك المكونة لنوميديا (المسايسيل، الماسيل المور...).....174
2. لمحة حول تسمية نوميديا وأصلها 177

الفصل الثالث: المجتمع النوميدي.....179

1. الطبقات الاجتماعية 180

أ.الطبقة الحاكمة..... 180

ب.الطبقة العاملة (الحرة والذليلة) 181

2. مكانة المرأة (الزواج، الوراثة...).....184
الفصل الرابع: بعض مظاهر الحضارة فى نوميديا.....186
1. النظام الإداري والقضائي.....187
2. مظاهر الحياة الاقتصادية 190
3. مظاهر الحياة الدينية 200
4. مظاهر الحياة الثقافية 211
الخاتمة.....224
المصادر والبيبليوغرافيا.....233
الفهارس.....**245**
فهرس الأعلام.....**246**
فهرس الأماكن.....**251**
فهرس الشعوب والقبائل.....**255**

فهرس الصور والأشكال والخرائط.....**257**
فهرس المحتوى.....**259**